

AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY



3 8534 00856 9448

US  
22  
H  
1  
V



FROM THE  
LIBRARY OF  
THE  
AMERICAN UNIVERSITY  
IN  
CAIRO

من مكتبة  
الجامعة الامريكية بالقاهرة



*[Faint, illegible handwriting]*

*[Faint, illegible handwriting]*

*[Faint, illegible handwriting]*

*[Faint, illegible handwriting]*

*[Faint, illegible handwriting]*

*[Faint, illegible handwriting]*

06-B 2795 Put

SITY

الج



تاريخ دول العرب والاسلام

تأليف

محمد طلعت حرب

مدير قلم قضايا الدائرة السنية وأحد أعضاء الجمعية

الجغرافية الخديوية

ملك الفقهاء على الأصناف

الجزء الاول

في تاريخ العرب وما كانوا عليه قبل الاسلام  
حتى دولة الخلفاء الراشدين

اطلع عليه حضرة الفاضل اسماعيل بك رأفت مدرس الجغرافيا  
والتاريخ بالمدارس الاميرية وبالاظهر الشريف

( جميع الحقوق محفوظة للمؤلف )

﴿ الطبعة الثانية ﴾

تفحت وزيد عليها زيادات كثيرة مفيدة

مطبعة جريدة ترك بالقاهرة بشارع قوله نمرة ١٧

سنة ١٣٢٣ هجرية — ١٩٠٥ ميلادية







# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد  
وآله اجمعين

وبعد فاني احمد الله ان وفقني الى جمع تاريخ دول العرب  
والاسلام واقدرني على طبع جزئه الاول من نحو سبع سنين  
وكنيت ووقتت عن طبع باقي الاجزاء لاسبير رغبات الناس  
في اقتناء اسفار التواريخ ومحبة الاطلاع على الحقائق  
وقد ظهر لي ان نشيء الامة المصرية ونابذة محبي اللغة العربية  
والامة الاسلامية نشيء حتى له شغف بالوقوف على التواريخ

الصادقة وولع بالعلوم القديمة والحديثة فاقدمت على اعادة  
 طبع ذلك الجزء بعد ان نفذ كل ما عندي منه ووردت  
 على الرسائل من الاصدقاء والمحيين بطلب ذلك ونقحت  
 في الكتاب مواضع كثيرة وزدت فيه زيادات متممة لقوائده  
 واستخرت الله في تمثيله للطبع مع دقة التصحيح حسب  
 الامكان وسأتبع هذا الجزء بباقي الاجزاء اسعافاً للطلابين  
 واجابة للراغبين سائلاً واهب القدر والقوى أن يوفقي  
 لتحقيق أمنية حضرة استاذي وصديقي الناضل حفي بك ناصف  
 في خطاب ارسله الى فكان من أقوى البواعث على التشمير  
 للعمل وبعث روح الامل . اما الخطاب فهو :

قال حفظه الله ؟

صديقي الوفي محمد طلعت حرب ( بك )

تطاولت الايام . وتصرمت الاعوام . دون اتمام .  
 كتاب دول العرب والاسلام . ولو كنت تعلم ما عند الطلاب .  
 من الارتقاب . لظهور باقى الكتاب . لخففت عنهم الم الانتظار .  
 وقصرت عليهم مدى الاضطبار . وانجزت الوعود . وابرزت



باقى الكتاب الى الوجود . ولم تكن هذه الرقى لقلّة من  
 كتب . فى تاريخ العرب . بل لانك جمعت فى اوراق قليلة .  
 ماتفرق فى اسفار جليّة . واقتصرت على اللباب . وانتصرت  
 للصواب . وسهلت على الباحث . تناول المباحث . كما رأينا .  
 فى الجزء الذى قرأناه . والكتاب كما قيل يعرف من عنوانه .  
 والمرء باصغريه قلبه ولسانه . ولقد تحظف الناس الجزء الاول  
 اثر ظهوره . واصبحوا الآن ينشدونه فلا يجدونه لندوره .  
 فايقنت انك اخلصت النية فى تأليفه . ولم تقصد غير وجه الله  
 فى جمعه وترصيفه . ولم يشب جمعه وطبعه . رياء ولا سمعه .  
 وكم طلب الى طالب ان استنهض همته . واشحذ عزيمته .  
 لاتمام الجمع . واعادة الطبع . وابرار الكتاب دفعة واحدة .  
 وادناء جناه لامتطف الفائدة . فلم أر بدا من مكاشفتك باماني  
 الطلاب . وسؤالك اتمام هذا الكتاب . فليس فى عيوب  
 الانام . كمنهص القادرين على التمام . وانت تعلم ان التاريخ صربى  
 النفوس ومهذب الاخلاق ومشذب الطباع . وحاجة الارواح  
 اليه حاجة الجسوم الى الاغذية . وذوى الادواء الى الادوية

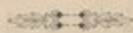
وقد تهافت على التأليف فيه . كثير من غير عارفيه . خلطوا  
 وخبطوا . وصعدوا وهبطوا . وكم من حوادث تراها اليوم  
 بعينيك . وتسميها باذنيك . تذهب فيها الكتاب المذاهب .  
 وتأتي في حكايتها بالغرائب . والتاريخ مزلة الاقلام . بل مزلة  
 الاقدام . فيحتاج الكاتب فيه الى قوة تمحيص . وقدرة على  
 التلخيص والتخليص . ومثانة في التصحيح . ومكانة في التعديل  
 والتجريح . وبعد عن التشيع والغواية . وثبت في النقل  
 والرواية . ونفرة عن الكذب والاختلاق . ووفرة من  
 تهذيب الاخلاق . وكل هذه الشرائط متوفرة والحمد لله لديك .  
 وتحقيق امانى الطلاب سهل عليك . فشمير الساعد للعمل . وارباباً  
 بنفسك ان ترعى مع الهمل . وفقك الله . الى ما يحبه ويرضاه»

صديقك

حفي ناصف



## مقدمة الطبعة الاولى



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خيرة النبيين  
 وخلاصة الهادين المنزل عليه في محم الكتاب المبين ( وكلا  
 نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في  
 هذه الحق وموعظة وذكري للمؤمنين )

وبعد فان الواجب على كل فرد من أفراد الامة أن  
 يقوم بما يعود عليها بالنفع العميم والفضل الجسيم وأن يهتدى  
 الى أفراد أمتة من معلوماته ما يعتمد فيه الخير والمنفعة لحالها  
 وما لها بقدر ما تصل اليه يد الامكان ويساعد عليه الزمان  
 ولو كان من طفيف المتاع

ولما كان علم التاريخ من أنفس العلوم قدرا وأجلها شأننا  
 وذكر امدحه عقلاء الشرق وحافظ على مطالعته نهباء الغرب  
 وحشت عليه أعاضم الحكماء في كل وقت وبين كل أمة اذ هو  
 نور الحقيقة ومصباح الهداية ومرشد الخلف لاحوال السلف

ومدرسة جامعة تقوم الاخلاق والآداب وتشرف عتول  
أولى الاباب وقد بلغ من مزيتته وفضله أن كل أمة شغفت  
بمطالته وأكثر من التنقيب في زواياه واظهار خباياه  
نالت من السعادة تدرأ مجيدا ومن السؤدد شأوا بعيدا كما  
هو ظاهر للعيان ولا يختلف فيه اثنان ومن الادلة على  
ذلك أن أوروبا وهي التماضية على صولجان المدنية الحاضرة  
يشتغل كثير من علماءها وفلاسفتها بالتأليف في هذا الفن  
الجليل وقد بلغ من اعتنائهم بذلك وتقريبهم هذا العلم من  
أفهام العامة أن جعلوه في قالب الروايات والاقاصيص حتى  
يسهل على الكل ادراك مغزاه وفهم مؤداه فيعرفون أسباب  
الترقي والفلاح فيأخذون بها وتتخصص أمام اعينهم عوامل  
التقهتر والانحطاط فيفرون منها ولحسن ظني بتطلع جمهورنا  
الى اقتناء فوائد التاريخ واحتياجهم في هذا الزمن الى معرفة  
حالة الاسبيةين وما كانوا عليه من عرب وعجم وعشائر وأمم  
ظننت في نفسى المقدرة - اعتماداً على سجايهم وان كانت  
بضاعتي في ذلك مزجاة - على أن أضع في هذا الباب تأليفاً



مختصراً شاملاً بعد أن راجعت أصحاب الدراية في هذا الشأن وعرضت عليهم ما كتبتة واقتطفته من أشهر المؤلفات القديمة والحديثة بين عربية وأعجمية وسميته ( تاريخ دول العرب والاسلام ) وقسمته الى أربعة أجزاء \* الاول في تاريخ العرب وما كانوا عليه وتصاريف أحوالهم قبل الاسلام حتى دولة الخلفاء الراشدين \* والثاني يتبدى بدولة الخلفاء الراشدين وينتهي بسقوط بغداد \* والثالث في الدول التي انشقت من بني العباس ودول الاسلام بالاندلس \* والرابع في تاريخ الدولة العثمانية

وقد راعيت في هذا المؤلف ذكر احوال الدول وما كانت عليه بعبارة سلسة وجيزة واستنباطات مفيدة تكميلاً للفائدة وقد ذكرت في أوائل الدول الكبيرة بعض ملحوظات بيان ما كان عليه العالم وقت ظهور تلك الدولة ليكون المطلع على بصيرة ولا تضل فكرته في استنتاج الاسباب التي أدت الى ضعف تلك الدولة أو ارتفاعها أو تأخرها أو غير ذلك وليتمكن من المقارنة بين أحوال تلك الدول الغابرة وأحوال الدول

الحاضرة فتحصل له ملكة التاريخ ونعمت المنفعة منفعته التي  
أهمها اعتبار الحاضرين بما كان للسالفين  
والله المسئول أن يجعل عملنا هذا مقرونا بالنجاح انه

نعم المحيب

هذا والمأمول ممن يطلع على هذا المؤلف أن يفض الطرف  
عما يجده فيه من الهفوات أو الإبهام ويسبل عليه ستار العفو  
لان اشتغالي بوظيفتي ربما عاقني عن استتباع الاخبار واستنتاج  
التتائج كما يطلبه المتبحرون في هذا العلم فقد يكبو الجواد ويفوت  
المرء السداد والله ولي التوفيق

محمد طلعت

شعبان سنة ١٣١٥

حرب



## ( تمهيد )

« حدود بلاد العرب — مواطن العرب وحاصلات بلادهم ومناخها — مساحتها وعدد سكانها — اشوف الافرنج الى بلاد العرب وذكر أشهر سياحيهم بها »

قبل أن نرعى للقلم الننان في تاريخ الامة العربية نذكر أشهر المواطن التي كانت تقيم فيها محمدين لها من جهاتها الاربع بوصفها الطبيعي من حيث الجبال والنبات وجودة المناخ الى غير ذلك ثم نذكر أصول القبائل ومواطنها الشهيرة وما كانت عليه حالها وحال الامم المجاورة لها فنقول

حدود بلاد العرب — بلاد العرب وتسمى جزيرة العرب هي قطعة أرض متسعة الأرجاء مستطيلة الهيئة كثيرة الجبال والسهول والصحارى وهي في الجنوب الغربي من آسيا محصورة بين البحر الاحمر وبلاد الشام والعراق والخليج الفارسي وخليج عمان والمحيط الهندي وخليج عدن

وبموقعها هذا تكون أقرب البلدان اليها بلاد الحبشة والسودان ومصر وتنفصل عنها بالبحر الاحمر ثم الاقطار الشامية والعراق وهي متصلة بها وبلاد العجم وهي منفصلة

عنها بالخليج الفارسي ويتوصل منها لبلاد الهند بجزراً بواسطة  
المحيط الهندي

### مواطن العرب وماصلت بلادهم ومناضرها

قد قسم علماء الجغرافيا بلاد العرب الحقيقية الى ثمانية  
أقاليم حسب طبيعة أراضيها وهي الحجاز واليمن وحضرموت  
ومهرة وعمان والاحساء المسمى ايضاً بالبحرين ونجد والاحقاف  
(الاول) إقليم الحجاز - موقعه في الغرب من بلاد  
العرب ويمتد على ساحل البحر الاحمر ومن مدنه مكة المشرفة  
المسماة ايضاً بكة وام القري وهي فاران المذكورة في التوراة  
(١) وبها بيت الله الحرام الذي فرض الله حجه على كل مسلم  
استطاع اليه سبيلاً وهو أول بيت وضع للناس كانت تؤم  
الوفود من قديم الزمان للحج والعبادة ومن أماكن مكة  
الشهيرة في مناسك الحج الصفا والمروة ومنى وجبل عرفات  
والمزدلفة والمشعر الحرام

---

(١) فاران اسم لحيال بمكة وسميت مكة به ايضاً ومذكور في التوراة  
أنه سيخرج من فاران نبي وهذا تصديق لنبوّة النبي محمد صلى الله عليه وسلم



ومن مدن هذا الاقليم أيضاً المدينة وكان اسمها قبل  
 هجرة النبي صلى الله عليه وسلم يثرب فبدله بطيبة كراهة  
 في التثريب الذي هو العتب واللوم وبها مقامه الشريف  
 وتصل لهاتين المدينتين الارزاق من مدن أخرى لعدم  
 خصوبة أراضيها فتستمد مكة أرزاقها من جدة التي هي فرضتها  
 على البحر الاحمر وتستمد المدينة من ينبع المعروفة بينبع البحر  
 ويوجد بوسط هذا الاقليم كيشان وآكام تنبت المراعى  
 وهى مساكن القبائل وحولها قرى وضياع وفى تلك الآكام  
 قلاع يلجئون اليها عند هجوم الاعداء وبمنحدراتها بعض  
 حبوب وثمار وكلاللمواشى وعيون ماء . وبقرى احدى تلك  
 الآكام مدينة الطائف وهى بستان مكة ومصيف أغنياء أهلها  
 ولتواكفها شهرة ومياه مكة زعاق لا تسوغ لشارب وأطيبها  
 ماء بئر زمزم

ويلحق بالحجاز أرض تهامة وهى البلاد الممتدة من سفح  
 الجبل الى البحر الاحمر وعلماء الجغرافيا لا يطلعون تهامة الا  
 على الساحل لمقابلته بنجد الذى معناه المحل المرتفع ولذلك

سمى الحجاز حجازاً لوتووعه حازراً بين تهامة ونجد . ويسمون  
أيضاً تهامة ( الغور )

( الثاني ) افليم اليمن - سمي بذلك ليمنه وبركته ولذا

سماه قدماء المؤرخين وعلماء الفرنج « بلاد العرب السعيدة »

أو ذات اليمن وقيل سمي بذلك لكونه على يمين الكعبة

وقيل غير ذلك . وهو بالجزء الجنوبي من جزيرة العرب في

شمال بلاد العسير أهل من قديم بالعمران ومتوفرة فيه

الحضارة وسكانه يسمون عند التدماء بنى حمير خالطوا المصريين

والا تيويين والفرس وجميع الامم التي تسافر في بحر الهند

فانتظمت حكومتهم من عهد بعيد ولهذا الاختلاط ووفرة

خيرات هذه البلاد تطلع لها الاجانب من الفرس والروم

والحبشة فأغاروا عليها في أزمنة مختلفة حتى انها في زمننا هذا لم

تسلم من أطماع الاجانب فقد احتل الانكليز بلاداً منها

كعدن واتخذوها مرسأ لسفنهم الجارية بين الشرق والغرب

وفي كل يوم نسمع بثورة جديدة وفتنة عظيمة تدبرها

يد أجنبية وتذكرى نارها دولة اوربية . وبينما نحن نكتب هذه



السطور الآن سنة ١٩٠٥ نرى الخلاف قائماً بين الدولة العثمانية والحكومة الانكليزية على تحديد منطقة نفوذ كل منهما فيما وراء عدن والثورة مستعرة نارها بين الجنود العثمانية واهالي اليمن الذين يحاصرون الجنود في صنعاء لطف الله بالحال (١) ومن مدن هذا الاقليم مخا والحديدة وصنعاء التي تقربها اطلال

(١) كتبت جريدة الاوروبيان التي تصدر في باريس مقالة بعنوان اللورد كورزون ضد الباب العالي جاء فيها ما مؤداه :  
 « لايزال اللورد كورزون حاكم الهند يلح في طلب توسيع منطقة الاملاك الانكليزية في عدن . وغرضه من ذلك وضع يده على الطرق الداخلية في بلاد العرب والاستيلاء على ثغر « شيخ سعيد » العديم المثال . ولايزال جلالة السلطان يرفض اجابة انكلترا الى طلبها بكل قوة وشدة . فلما عيل صبر هذه الدولة أمرت أحد الممالين من أبناءها بان يشتري ما فوق ثغر « شيخ سعيد » من الاراضي بحيث صارت الجنود التركية المحتلة له في معزل عن بقية الجهات . وقد كانت « شيخ سعيد » من نحو عشرين عاماً تحت رحمة فرنسا فأهملها الضباط الفرنسيون واستولى عاها جلالة السلطان في الحال وطمت فيها انكلترا الآن

ونضلا عن ذلك فان أميراً عربياً « ابن سعود » قام يحارب سلطة جلالة السلطان في نجد ويحاصر « صنعاء » . وفي كل حركة

مأرب وسبأ المذكورة في القرآن الكريم .

وبمدينة مأرب وجدت الآثار المنقوشة على الصخور

باخط المسند الحميري الذي حين حلت رموزه وقف المتأخرون

بعض الشيء على تاريخ هذه البلاد . وصنعاء المذكورة هي المنافسة

لمكة من عدة قرون في التلقب بعاصمة جزيرة العرب ولذا اتخذها

التبابعة ومن خلفهم عليها من عمال الفرس والحبشة دار اقامة

وهي الآن مقر أقوى أمراء اليمن شوكة وبها دار واليها

واشتهرت بقبرها نجران وكان بها قبة عظيمة تسمى بكعبة

نجران بناها عبد المسيح بن داوس بن عدى أحد أمراء اليمن

في الزمن الاول من انتشار النصرانية بتلك الارحاء وكان اذا

نزل بها مستجير أجير او خائف أمن أو جائع أشبع أو طالب

حاجة قضيت . وكانت العرب تقصد زيارتها كما تقصد زيارة

كعبة بيت الله الحرام بمكة .

ثورية في نجد أو في اليمن يجد الانسان ايدي الانكليز عاملة طلبا

لما ربههم من العالم الاسلامي . وان الجهات البريطانية تعمل في تلك

الجهات النائبة عمالا كبيرا كما عملت في الكويت »

انظر العدد الثاني من جريدة العالم الاسلامي الصادر في ١٧ مارس سنة ١٩٠٥



ولبلاد اقليم اليمن شهرة عظيمة بزراعة البن وتجارته فينسب  
اليه فيقال بن مخا وبن عدن الخ ويملك الانكليز على ساحل  
بلاد اليمن مدينة عدن كما أسلفنا لكونها في طريق الهند ثم  
جزيرة قران بالقرب من الساحل الغربي لبلاد اليمن على البحر  
الاحمر ثم جزيرة بريم في بوغاز باب المندب ولا تخفى أهمية  
مراكز هذه الجهات لدولة تريد ان تكون سيدة البحار وان  
يكون بيدها مناتيج بلاد العجم والعرب والهند والسند

الثالث - اقليم حضرموت - وهو واقع في ساحل بحر  
الهند في شرق اليمن ومتصل به ومشابه له في المناخ والمزايا  
الطبيعية ومنه العود الثاقلي ومن مدنه ظفار وشيبان

الرابع - اقليم موه - واقع شرقي حضرموت وهو  
وان كان متصلًا به الا أنه أقل منه خصوبة ولذلك استمد  
سكانه وسائل تعيشهم من البلاد الاخرى والبحر عندهم كثير  
السماك يقتاتون به هم ومواشيهم واليه تنسب الابل المهرية  
الخامس - اقليم عمان او سحر عمان - وهو متصل

بالخليج الفارسي وخليج عمان والمحيط الهندي وبقايم موهرة

وهو تجاه الهند وبه قليل من النحاس والرصاص والبقول  
والتمر وقلّة حاصلاته حرم من المظور التجاري ولم تجلب اليه  
تجارة الهند لعدم وجود شيء فيه يصلح للتبادل ومن مدن  
هذا الاقليم مسقط وصحار .

السادس - اقليم الراهماء - ويسمى أيضاً بالبحرين

لوقوعه على بحري عمان والفرس . وجزائر هذه الجهة مشهورة  
بمغاص اللؤلؤ وقيل ان السفن المشتغلة بالغوص عليه في موسمه  
تبلغ الستة آلاف سفينة وأن عدد الاشخاص الذين يشتغلون  
بذلك نحو سبعين ألف غواص وأن قيمة ما يستخرج من  
اللؤلؤ في السنة يساوي ١٢ مليوناً ونصفاً من الفرنكات . (١)  
ولا يرى هذا الاقليم أهلاً بالناس الا في فصل غوص البحر  
فترى الناس يفدون اليه أفواجا من كل صوب حتى اذا  
أخرجوا اللؤلؤ قفلوا راجعين بمتاجرهم الى أسواق الهند وبلاد  
الفرس وغيرها ويصبح الاقليم قاءاً صفة صفاً . وأشهر مدن هذا  
الاقليم الهنوف والقطيف على بحر عمان . ولحمير هذا الاقليم شهيرة

(١) هذا التقدير كان من سنوات ولا بد وان يكون قد زاد الآن عن ذلك كثيراً



ولموضع هذا الاقليم الجغرافي ولتجارة اللؤلؤ الذي  
يستخرج منه طمع فيه الاجانب واصبحت جزائر البحرين  
القائمة في وسط هذه السواحل ملك الهند الانكليزية !!

السابع - اقليم نجد - وهو في جنوب صحارى الشام  
شاغل جميع الجزء الاوسط من جزيرة العرب وهو ما بين  
الحجاز والاحساء والاحقاف الذي كان به مدينة هجر وأغلبه  
هضاب رملية ويتصل ببلاد العراق شرقاً

وبه كثير من الواحات التي تنبت السكك والنباتات  
النفيسة مثل العرار - وهو النرجس البري - والشيخ والقيصوم  
وبه أرض عالية التي حماها كليب بن ربيعة وأفضى ذلك  
الى قتله وانتشاب حرب البسوس كما سيجيء

ونخيل هذا الاقليم وابله شهرة فائقة وكانت العرب  
تسميه بلاد الابل ومن مدنه مدينة الرياض وهي عاصمة  
الوهابين الذين سنتكلم عليهم فيما بعد

الثامن - اقليم الاحقاف - هو صحراء مقفرة في قلب  
جزيرة العرب تلحق به في بعض الكتب أرض اليمامة وحاله

مجهول وهو واقع بين عمان والاحساء ونجد وحضر موت ومهرة

ويخترق بلاد العرب كما قدمنا في معظم جهاتها جبال وهضاب كثيرة وصحار واسعة أشهرها صحراء الاحقاف وصحراء النفود جهة الشمال والربع الخالي جهة الجنوب ولا يعلم بها بحيرات ولا أنهار ولكن فيها شئ من الجداول والعيون والابار وهي شهيرة بنباتاتها الثمينة العطرية ومن محصولاتها البن والزيتون والتمر وكثير من الفواكه والمشمومات وبها كثير من الحيوانات المستأنسة والوحوش الكاسرة ولظباؤها وحيرها وخيولها وابلها شهرة عظيمة وبها كثير من الطيور والحشرات ومناخ هذه البلاد حار على الوجه العام معتدل فوق النجود العالية حيث تكثر النباتات والمياه

وتبدى من بضع سنوات في مدسكة حديدية تصل الشام بهذه البلاد ولا تخفى اهميتها الاقتصادية والعسكرية والدينية فتسهل الحجاج على المسلمين كما تسهل وسائل الدفاع عن البلاد وكبح جماح الثأرين . وقد تم جزء عظيم من هذا الخط وافتتح رسمياً من شهور



مساحة جزيرة العرب وعمد سطرها — قد اختلفت  
 أقوال الجغرافيين في مقدار مساحتها فبعضهم قال انها نحو ١٢٦  
 ألف فرسخ مربع أى ضعف مسطح بلاد فرنسا وقال البعض  
 الآخر ان مساحة بلاد العرب أكبر من مساحة بلاد فرنسا  
 بنحو خمس مرات وقال آخرون انها أكبر منها بست مرات (١)  
 كما اختلفت أيضاً أقوالهم في مقدار عدد سكانها فن قائل  
 انها تبلغ اثني عشر مليوناً من النفوس وقائل بنصف ذلك  
 وقائل انها تبلغ ثمانية ملايين منها خمسة خاضعة لحكم الدولة  
 العلية وهى فى الحجاز واليمن والاحساء والباقي مستقل يحكمه

(١) مساحة القطر المصرى نحو ٦٠٠ الف كيلو مترا مربعا  
 بما فيه الصحارى اى نحو ١٥٠ مليون فدان ومن غير الصحارى نحو  
 ٢٦ الف كيلو مترا مربعا اى نحو ٦١٥٨٠٧٧ فدانا ومساحة بلاد  
 فرنسا كيلو مترا ٥٣٧ الف كيلو مترا مربعا ومساحة انكلترا ٣١٥  
 الف كيلو مترا مربعا ومساحة جزيرة العرب ٢٥٠٧٤٠٠ كيلو مترا  
 حسب قول ايايزيه ريكلى Elisée Reclus و ٢٨٥٠٠٠٠٠ كيلو مترا  
 كما جاء بدائرة المعارف الفرنسية و ٣١٠٠٠٠٠٠ حسب قول الجغرافى شرادر  
 و ٢٧٠٠٠٠٠٠ كيلو مترا حسب كتاب التحفة الازهرية لحضرة  
 اسماعيل افندى على .

أمة من العرب في نجد وتهامة واليمامة ومسقط وعمان  
وحضرموت

ولعمر الحق ما هذا الاختلاف بالامر الغريب لتعلقه  
ببلاد قلما دخلها أوربي او عالم اجنبي لشدة حرارتها ووعورة  
مسالكها وجهل لغات اهلها وعوائدهم وتمسكهم بدينهم  
وشدة اباؤهم دخول الاجنبي بلادهم

توف الافرنج الى بلاد العرب وذكر اشهر بيابانها  
من تصفح كتب الغربيين علم انهم متطعون من زمن  
غير قريب معرفة تلك البلاد طامعون فيها متشوفون للوقوف  
على حتمية احوالها حيث لم تشف غلظتهم ما ذكره عن بعضها  
جماعة من مؤرخي اليونان والروم الاقدمين مما لا يخلو من  
النتص في مواضع والحشو والرجم بالغيب في غيرها. ولا يخفى  
على القارئ اللبيب دواعي هذه الاطماع فاسكل دين وطباع  
وعوائد وتجارة وصوالح يمتنى ان تسود على ما سواها وان  
يتلاشى ما عداها ولنا في خروج أمير الكويت الآن عن  
طاعة السلطان وتسابق الدول لبسط نفوذها على تلك البلاد



وقيام الفتنة في اليمن وتوسيع الخرق بين مبارك بن الصباح شيخ الكويت وابن سعود وابن رشيد وغيرهم اعظم عبرة لمن يعتبر ومن اراد ان يعرف ما وصلت اليه الحال هناك فليقرأ ما كتبه المسيو الكسندر اولار الكاتب الفرنسي الشهير من ضمن مقالة نشرتها المجلة الفرنسية في عددها الصادر في اول فبراير سنة ١٩٠٥ على «الهند والمنافسة بين انكرا والروسيا» وعربتها عنها جريدة العالم الاسلامي في عددها الاول الصادر في ١٠ مارس سنة ١٩٠٥ . قال :

«ان الحوادث الجارية في قلب بلاد العرب تخدم السياسة البريطانية أكثر مما يقع في سواحل البحر الاحمر . فما لا يجوله القراء أن في نجد بجنوب البلاد العربية حزبا كبيرا اسمه « الوهابيون » قام من منتصف القرن الثامن عشر بتأسيس امارة مستقلة حاربتها تركيا وقبائل شمال العرب وقد تحالف اولئك الوهابيون من مدة مع شيخ الكويت لينالوا بواسطته الاساحة اللازمة لهم من الخليج الفارسي . ولما أعلن مشروع سكة حديد بغداد في عام ١٩٠١ وصرح بأن

في النية جعل الكويت آخر محطة له استولت انكثرا بغتة  
 على هذه النمطة المهمة . وأخذت الحادثة دورا كبيرا واضطر  
 الانكناز للانسحاب . ولكنهم منحوا الشيخ مبارك امتيازات  
 جعلته يرضى بالسيادة البريطانية ويقاوم مولاه التركي وانتهى  
 الحال بان قبل في صيف عام ١٩٠٤ اقامة معتمد انكنازي في  
 بلاده . وهو لا يزال بها وسيبقى الى الابد . فبارك الصباح  
 بمخالفته لابن سعود صار آلة الهند الانكليزية ضد حلفاء  
 جلالة السلطان من العرب والبدو . وقد قام زعميهم ابن  
 الرشيد بمحاربة ابن سعود حتى نفذت ذخائر الفريقين وانتهكت  
 الحرب قواهما . وكانت الحرب بينهما حربا بين انكثرا وروسيا  
 في الحقيقة ! وبينما كان الرهايون يأخذون ما يحتاجون اليه  
 من الاسلحة من الكويت كان ابن الرشيدوا تحببه يأخذون  
 بطرق لا يعرفها احد متذوقات روسية ! ! وقد كان النصر  
 في آخر الامر للوهابين واضطر محاربوهم لان يخلوا من شهر  
 أغسطس الماضي البلاد العربية وقيموا في جنوب نهر الزرات  
 وبذلك تغلبت انكثرا على جلالتى السلطان واليصر مجتمعين



ومن المؤكد ان العلائق ليست بوطيدة بين الهند الانكليزية  
والوهابيين . ولكن مبارك الصباح يتكفل بتقويتها . وعلى  
كل حال فان امياهم حليفهم البعيد محتمة . وهذه النتيجة  
كافية لانها تسمح للانكليز متى سنحت الفرصة بان يضيفوا  
الى الخطوط التي ذكرناها قبلا خطاً جديداً خطير الشأن  
يتمد من بورسعيد الى الخليج الفارسي مختاراً ارضي الشام . . . . .

وقال ايضاً: « ان انكلترا تريد ان تجعل الخليج الفارسي  
او « البحر الابيض للشرق الاوسط » بحيرة انكليزية .  
وترى في اقامة قاعدة بحرية في هذه الجهات لاية دولة اجنبية  
اعلان حرب عليها . ولذلك كانت مشكلة الخليج الفارسي دقيقة  
للغاية . وقد تمكن الانكليز من توطيد سيادتهم في الكويت  
ومسقط . أما البلاد الواقعة بينهما فان اصحابها يتأثرون بسياسة  
شيخ الكويت وسلطان مسقط . وقد زاد احترامهم للانكليز  
من عهد زيارة اللورد كورزون<sup>(١)</sup> للشواطي العربية في عام ١٩٠٣

(١) حاكم عموم الهند حالا

وفضلاً عن ذلك فإن جزائر البحرين القائمة في وسط هذه السواحل هي ملك للهند الانكليزية ولاكن الامر بخلاف ذلك بشأن الشواطئ الفارسية . وان مسئلتها مرتبطة تمام الارتباط بمستقبل المملكة الايرانية . وهذا المستقبل هو أهم أمر في السياسة العامة يخشى وقوع حرب بين انكلترا والروسيا بسببه «.....»

وكان معظم اهتمام الفرنج باكتشاف تلك البلاد في القرن الماضي وجاء في كتاب الجغرافى الفرنساوى لانيه Lanier عند كلامه على بلاد العرب ان اول من باشر البحث عن هذه البلاد من الاوروبيين هو الالماني نيوبهر المشهور Niebuhr رئيس الارسالية الدانيمركية سنة ١٧٦٢ - ١٧٦٣ وكانت رحلته لبلاد اليمن لاكتشافات علمية على ما يؤكدون وبعد ذلك بنحو نصف قرن توصل الاسبانى باديا Badia بواسطة تغيير زيه واسمه ملقباً نفسه «على بك العباسى» الى مدينة مكة المكرمة وكان اتى مصر اولاً وتظاهر بالاسلام ومنها ذهب



لببلاد العرب بالصنفة السابقة في سنة ١٨٠٧ بعد ان تحصل في  
 حلب على اوراق رسمية تثبت نسبته الى الاشراف  
 وفي سنة ١٨١٠ ذهب الالماني سيتزن Seetzen لبلاد  
 اليمن وقتل هناك وفي سنة ١٨١٤ وسنة ١٨١٥ احتمال السائح  
 الانكليزي بورك هارد Burckhard حتى دخل مكة والمدينة  
 ورجع مستمداً ببعض معلومات عن حالة البلاد الجغرافية  
 وعن أهاليها وتظاهرها في آخر أمره بالاسلام وعليه مات  
 وقبره بمصر واسمه عليه هكذا «عبدالله بوركهارد»  
 ومشهور عند العامة باسم الشيخ بركات.

ثم حمل المصريون في هذا الوقت على الوهابيين فسهلوا  
 بعض التسهيل دخول الاجانب بلاد العرب فتمكن بعض  
 الفرنسيين من وصف مكة والمدينة المشرفتين وضواحيهما  
 وأول من اجتاز الطريق من الخليج الفارسي للبحر الاحمر كما  
 ورد بكتاب لانيه المذكور هو الضابط الانكليزي سادليه  
 Sadlier بأمر من حكومة الهند . والالماني رايل Rappel  
 عبر بلاد الحجاز في سنة ١٨٢٦ والجهات المجاورة لخليج العقبة

وفي هذا الوقت بينما كان بعض الضباط البحريين من الانكليز  
مكافئين من قبل حكومتهم بعمل خريطات لسواحل البحر  
الاحمر اعترف أحدهم وهو الملازم ويلستيد Wellsted وذهب  
الى بلاد عمان في سنة ١٨٢٨ وفي سنتي ١٨٣٧ و ١٨٤٢ قام  
الطبيعي بوتا Bota والملازم Bassama باسما بما قام به من  
قبل نيوهر الالماني ونجح بعض النجاح في اكتشافاتهم العلمية وفي  
ذلك الحين زار الفرنسيان ارنو Arnaud وفوجانس فريسنل  
Fulgence fresnel شواطيء بلاد العرب الغربية والقبليّة فزار  
أولهما مدينة سبأ وآثار مأرب ونقل صور كتابات كثيرة  
حميرية ودخل الثاني بلاد العرب وكان قنصلا لفرنسا في جدة وله  
علاقة بشريف مكة محمد بن عون الذي كان يسميه « الشيخ  
فريزيل » وفي ذلك الوقت ايضاً اى في سنة ١٨٤١ - ١٨٤٢  
دخل الفرنسيان ليون روش Léon Roche في بلاد الحجاز  
وزار المدينة ومكة المشرفتين لغاية في نفسه يريد قضاءها ونزل  
على شريف مكة محمد بن عون بتوصية من فريسنل سالف  
الذكر فاكرمه الشريف وخلصه من الموت الذي كاد يذوقه



من العرب حينما اكتشفوا امره وفضحه بعض الحجاج المغاربة  
وقد حكى روش المذكور عن نفسه « في كتابه الذي  
وضعه بالفرنساوية بعنوان عشر سنوات في الاسلام  
« Dixans à travers l'Islam » انه ولد بمدينة جرينوبل  
Grenoble من اعمال فرنسا سنة ١٨٠٩ ودرس الحقوق على غير  
ميل منه لها ثم سافر الى بلاد الجزائر في سنة ١٨٣٢ ليستقر  
مع والده ارضاً بتلك الجهات التي فتحها الفرنسيون في ذلك العهد  
بعضها وصادف ان لمع نتاجه مغربية كانت تسكن بجانبه فعشقها  
وعشقتة على ما يقول وولع بها ولعا شديداً دعاه الى تعلم العربية  
وكان الفرنسيون في ذلك العهد في هدنة مع الامير  
عبد القادر الجزائري فاحتال روش على الامير ودخل في خدمته  
وادعى الاسلام وحاز ثقة الامير حتى اهلته بمسامة واطلعه على كل  
سرايره ودخائله واتخذ كاتبا سره حتى اذا ما قامت الحرب  
بين الفرنسيين والامير فرروش الى اهله وخان الامير وكان  
عيناً عليه في جيش الفرنسيين وهذا جزء من يغتر بالظواهر  
ومن يستسلم لكل دخيل في الدين !!

ثم رأى الفرنسيون ان لا ترسخ لهم قدم في بلاد الجزائر  
الا اذا افهموا الجزائريين أن الدين لا يمنعهم من الخضوع  
للفرنساويين ومسالمتهم ماداموا هم اصحاب القوة ولا يكون  
ذلك الا اذا حصلوا على فتوى من علماء المسلمين يتوكلون عليها  
ويؤثرون بها في عقولهم فقام روش بهذه المهمة وجاء القيروان ومصر  
وحصل من علماءهما على الفتوى المقصودة والضالة المنشودة  
بطرق وحيل أماط اللثام عنها في كتابه وكان للدينار وبفض  
امراء المسلمين لبعضهم القديح المعلى وسافر الى الحجاز ليذكي  
تلك الفتوى من علماء مكة والمدينة فاكرمه الشريف كما اسلفنا  
وانطلت عليه حيلته كما انطلت على عبد القادر من قبل فلمحه  
بعض المغاربة في نزولهم من جبل عرفات فعرفوا انه ذلك الخائن  
الهارب فقاموا عليه وارادوا التنكيل به لولا ان تدخل الشريف  
تخلصه وآمنه على نفسه وجباه بنقود يستعين بها على سفره  
واشخصه الى جدة ورجع منها الى بلاده مسرورا بفوزه ضاحكا  
على حلى المسلمين الذين لعب على عقولهم في الشرق والغرب  
ولله في خلقه شؤون !!



وفي العهد المذكور ايضاً اجترأ العالم الالماني البلرون  
 وريد Wrede على التوغل حتى بلاد حضر موت التي لم  
 يسبقه ولم يلحقه اليها أحد من الاجانب كما قال لانيه السابق  
 ذكره وفي سنة ١٨٤٥ دخل العالم الفنلاندي أوجستوس والين  
 Augustus wallin في الجوف وجبل شمر بزي مسلم  
 واجتاز بلاد العرب من الغرب للشرق وفي سنة ١٨٥٣ رافق  
 الحج المسيو ريشار برتون Richard Burton بزي مسلم ايضاً  
 ووصل الى مكة والمدينة المكرمتين

وفي سنة ١٨٦٢ و ١٨٦٣ تمكن ويليام بلجراف  
 William Palgrave الانكليزي من زيارة بلاد العرب من جهة  
 الشام وشواطئ عمان وملخص ترجمته وقصته على ما جاء في  
 الكتاب السالف الذكر هو أنه ولد بوستمنستر من أعمال انكلترا  
 سنة ١٨٢٢ وكان أبوه مثيراً ومؤرخاً انكليزياً شهيراً وتخرج  
 على مدرسة أو كسفورد ثم خدم في الجيش الهندي وأقام بعدها  
 عدة سنين في الشام تعلم في أثنائها العربية وتعرف ببعض الابهاء  
 اليسوعيين بها ثم حدثته نفسه بالرحيل لبلاد العرب وساعده

هؤلاء الآباء على انماء هذه النكرة وحصلوا على تعضيد نابليون الثالث امبراطور فرنسا وقتئذ له وصبغوا رحلته بصبغة دينية سياسية سرية نفقة انها دفعت من جيب الامبراطور الخاص فساغر بلجراف مؤملا الوصول الى تحريك ذلك الدم العربي الراكد حسب زعمه وتمدين بلاد العرب بواسطة تسهيله طرق اختلاطهم بالغربيين ومضمراً انتهاز فرصة الشقاق الذي كان بين أهالي نجد لاحداث ثورة دينية سياسية عله يستفيد منها أن يبدلوا دينهم بالدين المسيحي كما هجس بخاطره فتزيا بزى أحد أغنياء العرب وادعى أنه حكيم واستصحب معه بعض أهل البادية يجرسونه ومسيحياً شامياً جعله تلميذاً له وكان يحمل معه على ظهر ركائبه بعض أدوية وعتاقير تدل على صنعة الطب التي اتكلها لنفسه ولما وصل الى نجد أقام مدة بالرياض عاصمة الوهابيين وكان يحكم عليها وقتها الامير فيصل والمدكاد هذا المخاطر بنفسه يلقى منيته هناك من يد ابن هذا الامير الذي أوجس منه الخيفة وقد انتضح بعض أمره لولا ركونه الى الفرار فاجتاز النفود الشرقية وأقام بالهفوف من أعمال الاحساء



وزار القطيف وجزائر البحرين وتوجه لعمان ماراً على هرمز  
ومسقط ثم قفل راجعاً الى الشام عن طريق البصرة والموصل  
وماردين وديار بكر

وفي سنة ١٨٦٤ رسم الايطالى كارلو جوارمانى  
Carlo Guarmani قطعة من بلاد العرب على حدود الشام ثم  
ن الالماني وتيزتين Wetztein قنصل بروسيا بدمشق اذ  
ذاك وضع كتاباً فى جغرافية بلاد العرب حسب الملتقطه من  
أفواه بعض الحجاج ورؤساء القوافل التجارية

وفي سنتى ١٨٦٩ و١٨٧٠ ساح الالماني مالتزان De Maltzan  
والسويسرى مونزنجر Munzinger والفرنساوى هالفى  
Halevy منفردين بالجهة القبليه الغربيه من جزيرة العرب  
وحصلوا كما يقولون على بعض معلومات مهمه

وفي سنة ١٨٧٩ اجتاز الانكليزى بلونت وامرأته (١)

---

( ١ ) مستعرب شهير من اغنياء انكلترا وزوجته من اعظم  
عائلات الانكليز وهى حفيده اللورد بيرون شاعرهم المشهور الذى  
مات وهو يقاتل متطوعاً مع اليونان فى حربها الاول ضد الدولة

الفرات ثم وصل الى الحائل من بلاد نجد واقاما بضع شهور  
عند ابن الرشيد

وفي سنة ١٨٨١ اخترق هو بر Huber صحارى بلاد العرب  
البحرية والغربية ومن سنة ١٨٨٢ الى سنة ١٨٨٧ جعل الفلكي  
النمساوي جلازير Glaser بلاد اليمن موضع بحثه

هذا ولا زلنا نسمع كل يوم بالجراند وغيرها أن بعضاً  
عن الفرنج تد بارح بلاده قاصداً السياحة والتروح ببلاد العرب  
والله أعلم بما يضمرون وما يلاقون هناك وما يكتشفون  
وكذلك كل يوم نقرأ اخبار دسياسة جديدة توفنته حديثة ولنترك  
للمستقبل كشف الستار عن هذه الاطماع ونتيجة تلك الغايات

---

العلية . والمستر بلونت المذكور وامراته مشهوران بزيمهما  
العربي وولعهما بالمعيشة البدوية . وكان له شأن في الحوادث العربية  
وصداقة بعربي زعيمها وله كتابات في ذلك طبعت بالانكليزية كما ان  
لزوجه رحلة في نجد والبلاد التي زارها مترجمة الى الفرنسية وقد  
ترجما المعلقات الى الانكليزية وفي كل عام يقضيان فصل الشتاء  
بتحاهما المعروف في عين شمس بضواحي القاهرة . . .



واتماما للفائدة ثبتت هنا رسالة لمكاتب جريدة «جرنال  
دى سان بطرسبورج» الروسية في البصرة عبرتها عنها جريدة  
العالم الاسلامي في عددها الثالث الصادر في ٢٤ مارس  
سنة ١٩٠٥ قال المكاتب المذكور:

« لقد علمت من اخبار الكويت انه يوجد بها ثلاثة  
قناصل من الانكليز . أولهم الذي عين في شهر اغسطس  
الماضي والذي كان موظفا في قنصلاتو انكلترا بوشبير وثانيهم  
قنصل البحرين . وثالثهم الرئيس الاكبر وهو قنصل بوشبير  
الذي بيده قيادة قلم المخبرات ونشر المنشورات في دائرة  
الخليج الفارسي . ومعهم بارجة حربية يشتغل بحارتها باختبار حالة  
الميناء وأخذمقاييسها . وقد وضعوا رسومات لتشييد برجين ليرفع  
على كل منهما فانار . واني لست محتاجا لان اقول ان موظفي  
هذين الفنارين لا يكونون عثمانين بل يكونون انكليزا  
كالقنصل ومساعديه وخدامه والطبيب والحاجب وعمال  
التغراف وعمال شركة الملاحة وبائع نسخ التوراة — ذلك  
الذي لا أفهم له وجودا في مدينة اسلامية محضة —

«وان عمل البحارة واضح وظاهر . ولكن عمل القناصل غامض . الا ان الجهات التي ترسل اليها الرسائل وأمورا أخرى دلتني على ان الحكومة الهندية الانكليزية غيرت خطتها الاولى التي كانت ترمى الى الاستفادة من الشقاق المرفوعة أعلامه فوق أهالي بلاد العرب الداخلية والانقسام السائد بين الزعيمين الكبيرين ابن الرشيد وابن سعود . حيث كانت تعضد هذا الاخير الذي كان ضعيفاً ومعادياً للسلطة التركية ومحالفاً لشيخ الكويت وقد صار الآن قويا بفضل المساعدات المالية والاسلحة الحربية التي جاءته من الكويت . ويقال انه انتصر على ابن الرشيد وجمع تحت امرته كافة القبائل في تلك الجهات وفتح بلاد الجزيرة كلها

«ولكن ابن سعود أفلح بدون مساعدة انكلترا وأخذ ١٢ مدفعا من الامدادات التركية التي أرسلت من بغداد أولا ومن المدينة ثانيا . وضمها الى المدافع الاربعة التي أعطتها انكلترا لشيخ الكويت . ويقال انه استولى كذلك على ثلاث رايات تركية أرسل من رجاله من عرضها على كافة القبائل



وأصبح بذلك في غنى عن الانكليز

«وعندئذ أخذ القناصل الانكليزيين يخبرون خصمه. ولكن نظرا لكون حكومة الهند الانكليزية ارتبطت من قبل مع ابن سعود ارتباطا فاضحا والكون القناصل الانكليزي هم ضيوف مبارك الصباح فقد جعلوا وجهتهم في مخبراتهم مع ابن الرشيد عمدة الصلح بينه وبين عدويه وأرسلوا اليه يقولون: «اذا قبلت تداخنا حفظنا لك البقية الباقية من بلادك وتركناك أميراً على حائل وشمر الجنوبية كما كان آباؤك من قبل. وجعلنا ابن سعود أميراً على بلاد الوهابيين ومنعناه من التقدم الى الامام. واذا دعت الحاجة تقدم لك الاسلحة والعدد لمقاومته ونحميك حماية أفضل وأنفع من حماية ساطانك لك !»

«ولكن أهم ما في الموضوع معرفة مصلحة مبارك الصباح فيه لان نجاح الامر مرتبط به دون سواه. فلننظر في ذلك: «انه لو نجحت خطة القناصل الانكليز لصارت بلاد العرب الشرقية خاضعة للسيادة الانكليزية وكانت مؤلفة من ثلاث امارات قواعدها «الرياض» وأميرها ابن سعود و«حائل»

وأمرها ابن الرشيد و « الكويت » وأميرها ابن الصباح .  
وهذه المدائن الثلاث تحكم بلاد العرب في الحقيقة ووقوعها  
تحت السيطرة البريطانية يعرض سيادة الدولة العلية لخطر  
جسيم . ولما كانت قوة الاتراك عظيمة في كل الثغور الا في  
الكويت فان هذا الثغر يكون مصدرا للأسلحة والذخائر  
الواردة من مسقط والهند . وفضلا عن ذلك فان ابن الصباح  
يعطي يومئذ دائرة واسعة لنفوذه تمتد من العراق لغاية  
« شط العرب » وتصل في الشمال الى أخصب منطقة لوادي  
الفرات حيث ينتظر هناك صديقه « سعدون » اقل إشارة  
لاشغال نيران الفتنة .

« هذا ما يريد القناصل الانكيز . وهو في الحقيقة هدم  
اركان السيادة التركية في كل البلاد العربية . وقد يستفيد  
الامراء الثلاثة من ذلك ( ! ) وخصوصاً ابن الصباح . ولكن  
طلب القناصل جاء متأخرا اذا صح ان دوائلو مصطفى نوري  
باشا والى البصرة السابق — الذي عزل بسبب الدسائس  
ووصل الى الاستانة في آخر اكتوبر اى خمسة أسابيع قبل



احتجاج تركيا على تعيين قنصل انكايى فى الكويت —  
توصل الى اقناع حكومة جلالة السلطان بوجوب العفو عن  
الامراء الثائرين واستماتهم اليها وكان حقا ما يقال من ان جلالتة  
عفا فعلا عن ابن السعود وابن الصباح و امر ابن الرشيد بان يبتى  
سا كناً فى بلاده . ولكن هل قبل الامراء ذلك ؟ ان الامر  
مختص فى الحقيقة بمبارك الصباح لانه الواسطة الى ابن سعود  
«ومما لاشك فيه ان هذا الشيخ شعر الآن بعجزه عن  
نيل الاستقلال وباضطراره للاختيار بين أحد امرين . اما  
تبعيته لسيادة تركية مركزها بعيد عن بلاده . واما خضوعه  
لسيطرة بريطانية ستقضى حتما باستعباده . وان الهند مع  
امرائها الخاضعين المستعبدين ليست بعيدة عنه . وكثير من  
رعاياه يذهبون اليها فى كل عام ليلتقطوا اللؤلؤ فى البحرين .  
وهذه جزائر البحرين على مقربة منه . وقد عرف كيف صار  
سلطانها فى أتعس حال بتغلب الهنود عليه واستيلائهم على  
الثروة كلها . ولكنه يعلم من جهة أخرى ان الموظفين العثمانيين  
يستطيعون يوما ما الهجوم على أرضه ومحو آثار اماراته . وهو

يخاف بنوع خاص - وكم قال له الانكليز ذلك؟ - أن تصدر  
ارادة سلطانية يجعل الكويت آخر محطة لسكة حديد بغداد  
وترتعد فرائصه لهذا التداخل المخيف

« غير ان أحد أصدقائه من الاوروبيين اقترح عليه حلا  
بسيطاً » ويقال انه قبله « . وهو ان تضمن له الروسيان فرنسا  
بالاتفاق مع انكلترا استقلاله الداخلي تحت سيادة الباب  
العالى . وقد استطلع رأى هذه الحكومات بصفة غير رسمية  
ولم تنته النتيجة بعد . ولكن عمال الحكومة الهندية الذين  
يسبتون على الدوام الحكومة الانكليزية يحاولون عقد  
اتفاق يقضى بسيادة انكلترا على اتحاد الامارات العربية »

هذا هو مجمل حال جزيرة العرب في الوقت الحاضر فالدسائس  
تلعب بها وبامراءها ولا يعلم غير الله ما سيكون من امرها ولا  
يسعنا الا ان نسأله سبحانه وتعالى ان ينير بصائر القوم حتى  
يعرفوا الضار والنافع لهم ويتجسم لنظرهم الخطر المحقق بهم -  
المهدد لبلادهم فيعملون الى تلافيه ويعتبرون بما حصل لغيرهم !!



## الباب الاول

فيما كان عليه العرب قبل الاسلام

## ﴿ الفصل الاول ﴾

نسب العرب وطبقاتهم — طبائعهم وأحوالهم وصفاتهم وذكر بعض عاداتهم  
الزواج والطلاق عندهم وكيفية أحكامهم — معتقداتهم الدينية وحروبهم  
وأسلحتهم وتقويمهم — لغتهم وأشعارهم وشعراؤهم وأسوافهم والكتابة عندهم  
آدابهم وعلومهم وتجارتهم وصناعاتهم وتقودهم

العرب أمة قديمة الرياسة على الامم طائفة الصيت في  
الآفاق نالت من الغز والمنعة امداً بعيداً حتى بلغت من العظمة  
وسمو المنزلة ما لم يبلغه غيرها من الامم المضروب بها الامثال  
نسب العرب وطبقاتهم — وخلاصة ماورد في الكتب  
عن نسبها أنه يتصل بسام أحد اولاد نوح الذين نجوا معه  
من الطوفان وهي تنقسم الى طبقة بادت ودرست أخبارها ولم  
يرد في التواريخ منها الا القليل ومع ذلك فانه مشوب بالخلط  
لا يعلم فاسده من صحيحه وسنذكر فيما يأتي طرفاً من ذكر  
بعض قبائلها مثل عاد وثمود وطسم وجديس . والى طبقة

باقية وعربها يرجعون كلهم الى قحطان أبي العرب كلهم كما  
 سيجي والى عدنان ولد اسمعيل عليه السلام ولهذه الطبقة  
 حالان حال الجاهلية وحال الاسلام وعرب الطبقتين متحدون.  
 فى الطبائع والعادات على اختلاف طبقاتهم الست التى هى  
 الشعوب والقبائل والعماير والبطون والانخادز والفصائل. وبنو  
 قحطان يسمون العرب العاربة وبنو اسمعيل العرب المستعربة  
 نسبة الى أبيهم اسماعيل الذى كان عبرانياً اعجمي اللهجة وانما  
 استعرب لمخالطة العرب العرباء ومصاهرته لهم كما سيأتى  
 والعرب العاربة يسمون أيضاً القحطانيين والسبئيين والحميريين  
 والكهلانيين واليمنيين والكليبيين نسبة الى بعض أولاد  
 قحطان. وتعرف بنو عدنان بالاسماعيليين والمعديين والمضريين  
 والقيسيين

وفى تسمية هذه الامة بالعرب أقوال أشهرها انها  
 سميت بذلك نسبة الى لغتها أى لفصاحة لسان أهلها وعدم  
 لحهم فى الاعراب وقيل نسبة الى يعرب بن قحطان أبى اليمن  
 كلهم وقيل غير ذلك



وجاء في كتاب موسوعات العلوم القرنساوى المطبوع  
بباريس أن قحطان المذكور هو يقطان بن عابر بن سام المذكور  
في التوراة

طبائع العرب واصولهم وصفاتهم وبعض عاداتهم -  
ومن عهد التاريخ القديم الذي تكوّنت فيه الممالك القديمة  
والدول العظيمة كدول مصر ودول اليونان ودول الفرس  
الاولى كانت أمة العرب عريقة في القدم قائمة الملك على  
ساق وقدم وان لم تكن لها دولة تضبطها ولا روابط سياسية  
تربطها. حريتها فطرية تأنف الخضوع والذل. فلهذا لم تكن  
في الاحقاب الخالية تحت استرعاء دولة من الدول واذا غالبها  
جيش قوى بالقوة أو الكثرة لا يكاد يتمكن من ادخالها  
تحت الطاعة ولا يستطيع أن يغير أخلاق أهلها ولا طباعهم  
ولا يمكنه أن يبدل صفاتهم المميزة لهم. فان كانت لهم طاعة  
اقتضتها صروف الحدثان فهي طاعة صورية يتصلون منها  
عند الامكان

وكان لهم من الحرية والعزة أعلى مزيه فلهذا بقيت

أخلاقهم على تداول الدهر واحدة اذا خرجوا الى النجعة  
قل أن يعزموا على الرجعة

ولما تغلب قيروش ملك الفرس على مصر والشام وخلفه  
على تلك البلاد ابنه قامبيز طمع لقربه من بلاد العرب في أن  
يسترعيهم كما استرعى من بجوارهم فلم يستطع وخاب أمله حيث  
استمروا على الحرية ولم يذوقوا طعم ذل التبعية وكذلك  
لما تغلب الاسكندر الاكبر على بلاد المشرق والمغرب لم ترض  
العرب أن تنتظم تحت لوائه ولا حلت تحت حكمه وولائه  
ولما حكم الرومانيون جميع بلاد الدنيا وصارت دولتهم في أيامهم  
هي العليا ولم يسلم من حكمهم الا ما ندر من البلاد ولا خلا  
من أسرها الا قليل من العباد بقيت جزيرة العرب في دولتهم  
مستبدة بأمرها مستقلة بنفسها يحكمها شيوخها وأمرؤها  
وملوكتها وكبرائها ولم تنقد للدولة الرومانية طرفه عين ولا  
دخلت تحت استعبادها. نعم كان للرومانيين والفرس بعض  
ولاء على طرف من بلاد العرب القريبة للسواحل  
ولكن لم يستطع أحد منهم أن يمس استقلال باقيها وحرية



ولم يدع من تطاولت عليهم يد الاجانب اى فرصة بدون أن  
 ينتهزوها للخلاص من ذلك الاسر ورفع نير الاسترقاق  
 والذل. على أنه لم تملكهم الاجانب الابنفس الوسائل والدسائس  
 التى ضاع بها كثير من البلدان فى كل الازمان حتى فى عصرنا  
 هذا كما رأيت وسترى فيما بعد

والعرب على اختلاف طبقاتهم وفى كل أجيالهم اما  
 حضريون يأون القرى والضياع ويسكنون الدور  
 والمساكن وهم أهل الامصار والمدن وهؤلاء يصح فى بعضهم  
 الآن ما قاله عنهم ابن خلدون منذ سنين من « أنهم تلوثت  
 أنفسهم بكثير من مذمومات الخلق والشر وبعدت عليهم  
 طرق الخير ومسالكه بقدر ما حصل لهم من فنون الملاذ  
 وعوائد الترف والاقبال على الدنيا والعكوف على حب المال  
 والكذب والشهوات حتى لقد ذهبت عنهم مذاهب الحشمة  
 فى أحوالهم فتجد الكثير منهم يقذعون فى أقوال الفحشاء  
 فى مجالسهم وبين كبارهم وأهل محارمهم لا يصدّم عنه  
 وازع الحشمة لما أخذتهم به عوائد السوء من التظاهر بالفواحش

قولاً وعملاً وبالجملة فهم اهل غدر ومكر وخديعة ونقض عهداه . على أن هذا الوصف لا ينطبق على كل اهل المدن والامصار فان منهم من هو على غير ما ذكر فهو ذو صفات حميدة منها أنه كثير الصدقات والزكاة مواظب على العمل عفيف النفس طاهر الذيل قائم بشعار دينه الذي ينهيه عن الفحشاء والمنكر ويأمره بالمعروف والعدل والاحسان وبأن يعمل لدنياه كأنه لا يموت أبداً ولا آخرته كأنه يموت غداً وان كان عدد اولئك قليلاً

واما رحالة اضطروا لسكنى البادية لانهم وجدوا في ارض قفرة تراكت عليها الرمال المحرقة لا تثبت لهم حباً ولا بقللاً آبارهم تجف في حرارة القيظ وتبخل بالماء على بعد قاعها فيظعنون لورود غيرها من المناهل . وفي خلق الابل لهم نعمة كبرى: فهم يعيشون من البانها ولحومها ويرتادون المسارح بها ويتطلبون المرعى والكلاً لها ولا يزالون في حل وترحال في طلب العشب وابتغاء المياه: ذلك دأبهم زمان الصيف والربيع فاذا جاء الشتاء واقشعرت الارض انكمشوا الى بلاد الحضر



فشتوا هناك مقاسين جهد الزمان مصطبرين على بؤس العيش .  
 وسكناهم في البادية امر طيبي . وهم وان نزلوا الامصار  
 ورفعوا بيوتهم من الحجارة لما اتسعت من حولهم المزارع  
 والمسارح لحيواناتهم لكنهم يحتسبون المدن مجسالا صبر لهم  
 عليه لان الحرية عندهم من افضل ما منحهم الله وهم يبذلون  
 نفوسهم ونفائسهم في استبقائها فيهم

ويمتاز أهل البدو منهم بقسوتهم ومع كونهم أصعب  
 الامم انقيادا للغلبة والانفة وبعد الهمة والمنافسة في الرياسة  
 حتى قلما تجتمع احوالهم هم أسرع الناس قبولا للحق والهدى  
 لسلامة طباعهم . وهم كما قال العلامة ابن خلدون «أهل انتهاب  
 وعيث يتهبون ما قدروا عليه من غير مغالبة ولا ركوب خطر  
 ويفرون الى منتجعهم بالتقفر ورئيسهم محتاج اليهم غالباً للعصبية  
 التي بها المدافعة فكان مضطرا الى احسان ملكتهم وترك  
 مراغمتهم لئلا يختل عليه شأن عصبية فيكون فيها هلاكه  
 وهلاكهم»

وقال العلامة المذكور: «ولما كانت سياسة الملك تقضى

ان يكون السائس وازعا بالقهر والا لم تستقر سياسته وكانت  
طبيعة العرب أخذ ما في أيدي الناس خاصة والتجاني عما  
سوى ذلك من الاحكام بينهم بعدت طباعهم عن سياسة  
الملك وانما صارت اليها بعد انقلاب طباعهم وتبدلها بصيغة  
دينية مسحت ذلك منهم وجعلت الوازع لهم من أنفسهم  
وحملتهم على دفاع الناس بعضهم عن بعض وعلمتهم مكارم  
الاخلاق والآداب ونهتهم عن السلب والنهب والاثم والعدوان»  
وأول صفة من صفات العرب حب المحمدة والشهامة  
والحرص على ما يوجب الذكر الجميل من العظامم والثناء الحميد  
من المكارم وهذه الصفة كعلو الهمة والحمية والنجدة من  
أركان الشجاعة التي هي صفة جامعة لذلك فكانوا يحبون المحامد  
والمفاخر وبعد الصيت بما يعدونه عندهم من الفعل الجميل  
كانتصارهم على الاعداء وكسب الغنائم فكانت النصره عندهم  
تقوم مقام الحقوق المدنية عند الاجانب لما يترتب عليها من  
المزايا الاجتماعية أو هي عين حقوق الحرب والصالح عند الامم  
المتمدنة وانما كان يتولاها صاحب الحق بنفسه أو بقبيلته لان



افراد العرب جميعهم كانوا كما قدمنا ليسوسون انفسهم بأنفسهم  
 وكانوا ينتقمون من العدو بأخذ الثار فيكان القصاص عندهم  
 يستوى فيه سائر العشائر والقبائل فلا قبيلة الا وتأخذ ثارها  
 من القبيلة الاخرى ولا عشيرة الا وتستوفى ثارها وتبقى عارها  
 فكانت المحمودة على الخير والشر باعثة لهم على كسب المحامد  
 أو المثالب كما يحكى أن بعض العرب وقف على قبر عامر بن  
 الطفيل بن مالك العامري فقال يرثيه: «أنتم ظلما أبا على فلفقد  
 كنت تشن الغارة. وتحمى الجارة. سرىعا الى المولى بوعدك.  
 بظيئاعنه بوعيدك. وكنت لا تضل حتى يضل النجم. ولا تهاب  
 حتى يهاب السيف. ولا تعطش حتى يعطش البعير. وكنت خير  
 ما تكون حيث لا تظن نفس بنفس خيرا.» فقدمدحه بأحسن  
 ما يوصف به عربى

وقد كان بقاء ذكر الانسان بعد الموت يعد بمنزلة الحياة:

قال بعضهم

فأثنوا علينا لا أبا لا بيكم      بافعالنا ان الشاء هو الخلد

وقال آخر

فان يك انته الميالى فأوشكت فان له ذكرا سينى اللياليا  
 ومن صفاتهم ايضا النجدة وعدم الجزع عند المخاوف  
 فكانوا منها على مكانة عالية فكانت احلامهم تحمل اجسامهم  
 مالا يطاق وسواء فى ذلك الشخص او القبيلة كما قيل فى الاول  
 اكر على الكتيبة لا ابالى فيها كان حتى ام سواها  
 ولى نفس تتوق الى المعالى ستلتف او ابغها مناها  
 وقيل فى الثانى

وكفى تستقل بحمل سيفى وبنى ممن يهضمنى امتناع  
 وحولى من بنى قحطان شيب وشبان الى الهيجا سراع  
 اذا نزعوا نأمرهمو جميع وان لاتوا فايديهم شعاع  
 فكان اذا خطر بقبيلة منهم ذات يوم فكرة انتحام  
 خطر من الاخطار لقضاء وطر من الاوطار اتحد افراد القبيلة  
 وصاروا على قلب رجل واحد وهموا بانجاز ما أضمره وقل  
 ان يفوتهم نجاظه كما قيل

كانوا على الاعداء نار اتبظى ولقومهم حرما من الاحرام  
 وكان طريق وصولهم الى مقصودهم بشيئين متوفرين



عندهم وهما : اتحاد القبيلة في اللغة واتحادها في الدين اذ كان لكل قبيلة لغة ودين خاصين بها . ولو كانت القبائل العربية في تلك الازمان الاولى يجمعها لسان واحد ولهجة واحدة مع التمسك بدين واحد لما ساواها غيرها من الامم في السطوة والبأس ولا خلص من الدخول في دولتها امة من الامم ولا احد من الناس ولا بقيت مجهولة مددة من ازمان واكبر شاهد واعظم دليل على ذلك وعلى فضل الاتحاد ومزاياه التي لا تنكر ما وقع من العرب بعد ان اتحدوا في المعتقد وجمعتهم جامعة دين واحد في الاسلام فكم فتحوا امصاراً ودوخوا ائماً واقطاراً حتى اكبرتهم كل الأمم وصارت لهم هبة في كل القلوب ومن صفات العرب كذلك الحمية والنيرة على العرض وشرفه وحفظ ناموسه وهذه الصفة بعينها هي التي بعثتهم جميعاً مع اختلاف قبائلهم على علو الهمة وكمال الشجاعة وكرم النفس وقد تعالى بعضهم في شرف المحافظة على العرض حتى اذام الغلوفيه الى صفات ذميمة كواد البنات الا انهم كانوا يرون الباعث عليه حميداً وهو دفع العار او خشية الاملاق

المرتب عليه عدم وجود الكفء للزواج فيخشي عليهن  
 التفریط في العرض او الميل لغير الكفء للعجز عن التكسب  
 ولما اعتنق العرب الدين الاسلامي الحنيف تخلصوا من  
 كثير من العادات الذميمة والاخلاق الفاسدة ومنها هذه  
 العادة: قال الله تعالى « ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق: نحن  
 نرزقكم وايامهم »

وكان صعصعة جد الفرزدق يشتري البنات ويخلصهن  
 من القتل كما قال الفرزدق منتهجاً

ومنا الذي منع الوائدات وأحيا الوئيدة لم توأد  
 والظاهر ان الوأد لم يكن مع ذلك كثيراً وان كان واقعاً  
 فان العرب كغيرها من الأمم تحرص على النسل حيث هو  
 أمر طبيعي. بل كان نادراً فقد عهد عندهم زواج الفقيرة لابناء  
 الملوك وزواج امرئ القيس وبجته في احياء العرب عن  
 ذات عقل يؤيد ذلك كما يؤيده ايضاً قصة بنات الملق الكلابي  
 وقد كان كذلك لدى الامة العربية كثير من الصفات  
 التي تبرهن على ميلها للسعادة والارتقاء الى درجة الامم



العظيمة وان كانت بقيت محتاجة لاحكام الرابطة وتوحيد  
الكلمة الى زمن ظهور الاسلام واقبالها عليه . فمن تلك  
الصفات الشريفة ما امتازت به عن سائر الأمم من علو الهمة  
وشرف النفس وحفظ حرمة الجوار والمحاماة عن المظلوم  
والوفاء بالوعد وصدق العهد والجرأة والاقدام وحب عظام  
الامور والكرم والجود . وحسب الانسان ترديد نظراته في  
ديوان تاريخها ومفاخرها يجد اشعارها مشحونة بكل ما ذكر  
فمن نظر في أقوال شعراء العرب وخطباءهم عرف  
مقدار ما كانوا عليه من الصفات المدوحة والسجيا الفاضلة  
واستدل على شؤونهم وأحوالهم

وأى شئ أدل على الوفاء وعلو النفس والتفاخر من

قصيدة السمؤال التي مطلعها

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه

فكل رداء يرتديه جميل

وعلى الكرم وحفظ الجوار من قول عمرو بن الايهم التغلبي

ونكرم جارنا مادام فينا ونبتعه الكرامة حيث مالا

وعلى الجود وعلو الهمة وشرف النفس من قول حاتم طي  
أماوى ان المال غاد ورائح ويبقى من المال الاحاديث والذكر  
وقد علم الاتوام لو ان حاتما أراد ثراء المال كان له وفر  
يفك به العانى ويأكل طيبا ويحفظ عرضا ان هذا هو النخر  
والشواهد كثيرة على تلك الصفات الجميلة التى كانت  
تعد لها المناخرات وتقام لاجلها المنافرات بأسواتهم الشهيرة  
كعكاظ وذى المجاز وغيرها تشد فيها قصائدهم الغرر المتضمنة  
للفخر والحماسة وذكرى الحوادث والحروب والمدح والتدح  
مما سندكر طرفا منها حين التكلم على الشعر والشعراء  
والعرب الآن على حالتهم الاصلية لكون علائق  
المعاش بينهم مستمرة على ما هى عليه ولم يخالطوا أنسابهم  
بالاجانب فتراهم أكثر أهل المشرق سفكا للدماء وكرما وأشد  
الناس انتقاما واىواء للضيوف وأكثرهم كبرا ومعروفا واذا  
ساع تشبيهه الناس بكرائم الحيوانات— وهو تشبيه لا يفضب  
البدو فكم رأينا منهم من يكون على فرسهم كأنهم يكون اعز  
أصحابهم— صرح أن يقال فى العرب: ان لهم حمية وقناعة وصبرا كابلهم



وتد اصاب السائح بورك هارت في وصفه البدو اذ  
قال : يمتاز البدوي بحب الضيافة والكرم وحفظ الذمام ورعاية  
الغريب والشهامة والحماسة والذكاء وخفة الروح والانتاة  
وحب البدوي للحرية يحمله على احتتار أهل الحضرة فانه  
بمعاملتهم قد عرف منهم الخداع والمكر اه

ومن محاسنهم التي يحسن ان يقدوا فيها غض الطرف  
عن عورة الجار وعدم التعرض لحرمة فقد كان الرجل منهم  
يسافر ويترك زوجته في بيته فيبونها جاره وهو أنزه الناس  
عن التعرض لها بسوء بل انه يكون ذليها أكثر ذيرة من  
زوجها لكونها في رعايته حتى يعود كما قال في ذلك عنتر العبيسي :  
وانض دار في حين انظر جارتى حتى يوارى جارتى مأواها  
ومن صفات العرب أيضا الفصاحة والمشهورون بها  
كثيرون لا يمحسون. والحكمة ومن مشاهيرهم فيها القمان ابن  
عاد كان من حكماء العرب ودهاتهم. والخطابة ومن اشتهر فيها  
سحبان وائل. ومن عوائدهم ايضا التي حفظتهم وحفظت أنسابهم  
وقوتهم انهم كانوا لا يخاطون غير جنسهم الا مخالطة التجارة

ولا يدخلون في أنسابهم دخيلاً من غيرهم لا من جهة العصب  
ولا من جهة الرحم ويستنكرون ذلك استنكاراً عظيماً حتى إن  
ذلك إذا كان في خيلهم أو بلههم استنكروه واستنكروا منه (١)  
وبجانب هذه الصفات الحميدة كان لدى العرب من العوائد

( ١ ) كان اسماعيل أول دخيل من العجم في ولد قطان الذين  
هم العرب ثم كانوا بعد ذلك يتحاشون غابة التحاشي من مداخلة العجم  
ومع ذلك فربما كان بعض الوضعا أو من غلبت عليه الهيمنة داخل  
غير العرب وكان منه نسل فاذا كان الفحل عربياً والاثني غير عربية  
سمى النسل الحاصل هجيناً ومنه اشتقاق الهجنة وهجنه أى قبح أمره  
وإذا كانت الاثني عربية والفحل غير عربي سمي النسل مقرفاً فالعرب  
كانوا يتحاشون الهجنة والاقراف بل كان بعض القبائل يحافظون على  
أنفسهم ولا يخالطون غيرهم من العرب كما سبق إيضاحه حتى إن أياداً  
أحد شعوبهم لما ساكنت الفرس وخالطتهم سقطت منزلتهم بين العرب  
واحتقروا احتقاراً شديداً وعدوا من العجم وأتقت مداخلتهم يرشدك  
إلى تحقيق ذلك أن قبيلتي تغلب وبكر اللتين يجمعهما وأئل ابن ربيعة  
قوى أمرها وعزها في العرب وقهراً كثيراً من الناس وفي بعض الأيام  
نزل منهم رجل بناحية قريبة من بلاد الفرس من منازل أياد ومعه  
ابنته وكانت من أجمل نساء العالم فوشى بها رجل من أياد لدى ملك  
الفرس فاغتصبها من أيها ثم عرض عليها جميع المشتهيات وخوفها بجميع



القيحة التي تقشعت غيومها بظهور أنوار الديانة الاسلامية  
مانذكر بعضاً منه فمن ذلك الاشتغال بالخر والميسر والانصاب  
والازلام المحرمة في قوله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا انما الخمر  
والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم

العقوبات ومساها بكثير من المؤامات ليري وجهها فابت وخيرته بين  
أن يقتلها أو يعيدها لابلها فلما يتس منها اسكنها في موضع وأجرى  
عابها الوظائف الترفهية واكتفى برؤية قامتها تحت ملابسها في بعض  
الاحيان وبسبب ذلك نشبت حروب بين العرب والفرس وانقضى  
الامر بقتل ملك الفرس ونخليص الفتاة ومن كلامها ( وكان اسمها  
إلى بنت لكيز ) في أثناء ما حصل لها تحت أهلها والعرب على  
تخليصها ونفى العار عنهم

ليت للبراق عينا فترى	ما ألقى من بلاء وعنا
يا كلييا وعقيليا اخوتي	يا جنيدا اسعدوني بالبكا
عذبت أحتكمو ياويلكم	بعذاب النكر صبحا ومسا
غللوني قيدوني ضربوا	لملمس العفة مني بالعصا
يكذب الاعجم مايقربني	ومعي بض حشاشات الحيا
قيدوني غللووني وافعلوا	كل ماشتم جميعا من بلا
فأنا كارهة بفيكم	ويقين الموت شئ يرمحي
يا بني كهلان يا اهل العلا	أندلون على الاعجبا

تفلقون) أما الخمر فقد كانت لهم مغالاة في شربها و من اواخراتهم  
مشحونة بذكرها وأوصافها وأسمائها وكان شربهم لها في معظم  
أوقات اليوم وكانوا يسدون الشرب في كل وقت باسم خاص  
به ولا يخفى ما في شربها من المضار البدنية والعقلية والمالية  
وما تنتج من وخيم العواقب

أما الميسر فمن الامور التي قادم اليها حب الفهور بالثروة  
والغنى وحيث كانت هذه العادة قبيحة جالبة للشتم مسببة  
للحسد والضغائن والشح ممن لم يكن لهم حظ في الغنم وكان  
من نصيبهم الغرم حظرها الاسلام

يا ايادا خسرت ايديكمو	خالط المنظر من برد عمى
فاصطبارا وعزاء حسنا	كل نصر بمد ضرير تجي
أصبحت ليلي يغلل كفها	مثل تغليل الملوك العظما
وتقيد وتكبل جهرة	وتطالب بقبائح المنا
قل لعنان هديتم شمروا	لبنى مبعوض تشمير الوفا
واعقدوا الرايات في اقطارها	واشهروا البيض وسيروا الى فحى
يا بنى تغلب سيروا وانصروا	وذروا الغنلة عنكم والكرى
احذروا العار على اعقابكم	وعليكم ما بقيتم في الدنا



أما الانصاب فكانت حجارة أو قطعاً من الصخر يقيمونها  
على أشكال مختلفة ويتقربون إليها بأنواع القرابين زاعمين أنها  
تشهد لهم بأعمالهم عند الله وتشفع لهم ولا يخفى ما في ذلك من  
الشرك والضلال أما الزلام فكانت على جملة أشكال منها  
اجالة التمداح ومنها ما هو عبارة عن ثلاث قطع من الخشب  
واحدتها زلم وتسمى ازلام الاستخارة وازلام الاستسام كان  
يكتب على أحدها أمر وعلى الثاني ناه والثالث يبقى غفلاً ثم  
يخلطها الرجل عند ما يعتد عزيمته على أمر ثم يخرج منها واحداً  
فإن كان الأمر أتدب على ما عزم عليه وإن كان الناهي أحجم  
وإن كان الغفل استأنف الخلط وغير خاف ما في ذلك من البعد  
عن الحق والضلال في الاعتقاد بنسبه الأمور لغير فاعلها المختار  
فنهى الإسلام عنه كما نهى عن غيره من المعتقدات الخمسة  
وكان من عوائدهم كذلك الاستسقاء بالعرش وذلك  
أنهم كانوا يخرجون في أوقات الجذب واحتباس المطر لطاب  
السبيا فيجمعون حزم الببات المسمى بالعرش والسلع ويربطونها  
في اذنان البئر ثم يشعلونها بالنار ويصعدون البئر على هذه

الحال الى الجبال والربوات المرتفعة مفرقين بينها وبين اولادها.  
 هذا وقد جرب بعض علماء التمرنج حديثا انزال المطر  
 باطلاق الدخان الكثير المتكاثف فنجحت بعض التجارب  
 يا مريكا وهو المسمى بالامطار الصناعى

ومن عوائدهم التبيحة أيضاً معاملتهم للمرأة معاملة  
 الرقيق وهى من العوائد التى أبطلها الاسلام باعطائه للمرأة  
 حقوقا وامتيازات لا توجد لها فى قانون آخر كما يعلمه كل من  
 له الملم بعلم الحقوق والشريعة الاسلامية الغراء كما كانوا  
 لا يورثون النساء والاطفال ويقولون لا يرث الا من طاعن  
 بالرماح وذاد عن الحوزة وحاز الغنيمة فلما جاء الاسلام جعل  
 لهن نصيبا مفروضاً كما قال تعالى ( للرجال نصيب مما ترك  
 الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون  
 مما قل منه أو أكثر نصيبا مفروضاً )

وكانوا يتجرون بالرقيق ويقتنون كثيرا من الجوارى  
 ويعدون اولادهم منهن عبيدا ويعاملونهم معاملة الارقاء الا  
 اذا اظهر أحدهم نجابة أو بسالة أو مكرمة مما يفخر به العرب



فحينذاك يعترفون بهم ويخولونهم حقوق البنوة كما وقع ذلك  
لعنترة العبسي فلما جاء الاسلام قيد الاسترقاق بقيود جعلته  
نادرا وأوصى بالرفق بالرقيق وحسن معاملته وحث على العتق  
كما لا يخفى على كل مطلع غير ذي غرض  
وكانت العرب في الجاهلية تفعل أشياء اقرّ الاسلام  
كثيرا منها فكانوا يحجون البيت ويعتمرون ويظوفون  
ويسعون ويقفون المواقف كلها ويرمون الجمار ويغتسلون من  
الجنابة ويداومون على المضمضة والاستنشاق وفرق الرأس  
والسواك والاستنجاء وتقليم الاظافر ونتف الابط وحلق  
العانة والختان. قال صلى الله عليه وسلم: خمس من الفطرة: الختان  
والاستحداد وقص الشارب وتقليم الاظافر ونتف الابط  
وكذلك في حديث البخاري المتعلق برسول ملك غسان الى  
هرقل ما يدل دلالة صريحة على انه كان من عادة العرب  
الختان. وكان من عادتهم أيضا قطع يد السارق اليمنى فأبقاها  
الاسلام وكانوا يقتلون أسرى الحرب الا اذا أكل الاسير  
أو شرب من مال من أسره فانه يأمن القتل فاذا أمنوه

أطلقوه وجزوا ناصيته وكان الشريف اذا أسر فدى باليمن  
من الابل

ولما جاء الاسلام ابطل الاسر بين العرب وجعل لذلك  
شروطا وحدودا حائلا على العتق والتحرير واحسان معاملة الاسير.  
ويحسن بنا بعد ذكر صفات الرجال وعاداتهم ان  
نتفك بوصف البدويات: فهن في البادية أكثر من الرجال  
عددا وبالطبع ألين جانبا وأرق طبعا ولسن مع ذلك دون  
الرجال نخوة وشهامة: يطقن التعب وتحمل المشاق وتجشم  
المصاعب ويساطرن رجالهن كل أنواع المتاعب فيتمن بكل  
ادارة بيوتهن ويساعدنهم حتى في غزواتهم ولهن بهم تعلق  
شديد. وهن أشد تعلقا بالبدوة من الرجال ينفرن من الحضارة  
أى تفور وعندهن من الاحكام السائرة: أنه اذا طلبت احدى  
بناتهم لرجل من الحضرة أن تقول « صكاك باب ما أريدنه »  
أى إنه اذا نام أغلق بابه فهو اذا جبان لا يليق بها. ولهن عدا  
ذلك مهارة و طرق لطيفة في نقد الرجال. وزى الملابس عندهن  
على نمط واحد يكاد لا يتغير فالبنات البكر فى اكثر الاوقات



يقصصن الغرة أو الطرة ويبرزن شعورهن فوق الجبين الى  
قرب قمة الرأس واذا تزوجن أرخينها وسترن شعورهن  
بالمزيدل وهي علامة فارقة بين البكر والثيب. ويستعملن بلا  
تكان أموراً كثيرة لو خطرت ببال نساء الفرنج لعقدن لها  
مجلساً وصنقن لها بالايدي وأذعنها بصحف الاخبار ومادرن  
ان البدويات سبتهن اليها ولم يباهيهن بها والفرق بين الزيين  
ان تلك ثابتة وهذه متقلبة فتراها كل يوم في شان. فزى البدو  
إذا حضري مألوف وزى الحضر بدوى مخلوف. فالاردان  
المتسعة المهمة تند نساء الفرنج مستعملة في البادية وكذلك  
الاردان الضيقة المستعملة الآن ووجه ذلك أن يجمعن بين  
الهيئتين. والنساء المثریات يلبسن الثوب الضيق الاردان  
ويتردن فوقه بكساء متسع الاردان ضافي الحواشي. أما الذبول  
الطويلة المنحصر استعمالها بين بنات التمدن في ملابس العرس  
او الاثواب البيتية فلها استعمال شائع في كل بادية العرب.  
وجر الذيل في كلام الشعراء لا يكاد يخلو منه كلام منظوم  
وعندهن أيضاً المشد المستعمل لدى نساء الفرنج المعروف

« بالكورساج » ( Corsage ) فقد اتخذن نوعاً منه يصنع من نسيج خام فهو أكثر ليونة والطف بنية من مشدات الحديد والفولاذ ولا يستعمل الا قليلاً بحيث لا يضايقهن . ولهن نوع آخر منه لتعظيم الصدر في النساء الضئيلات . وغير ذلك . ومع أن الذوق العصري يغالى بجمال الملابس المذكورة ويدعى الاسبقية في استنباطها فهي معرونة في البداية منذ عشرات المئات من السنين تفنن فيها بدو العرب وحضرم منذ التدم ودعوها العظامه والمرقد والعجيزة وقالوا فيها غير ذلك . فقط لم يصلوا بشيء من تفننهم الى انماها وترقيتها الى حد مقتضيات النمو والارتقاء في الزمن الحالى . وجملة ما يقال : ان ملابسهن سهلة المنال لا تكلفهن مالا جزيلاً ولا وقتاً طويلاً وهن وان تزين بأخضر ما عندهن رشقات القد خفيفات الحركة لا يلجئن ضغط الملابس الى التكلف والتضرر والاستثقال . والمخدرات منهن يتبرقعن خارج الخدر ويسدلن على وجوههن المنديل الاسود ويؤثرن في الملابس كثرة الالوان واحسنها الاحمر ولبسن من الحلى الضخم الثقيل



كالخلاخل والحجول الكبيرة ذهباً وفضة كل على ما  
 وسعته حاله ويلقن الخزيمات المتسعة بأنوفهم وأكثرها  
 مصوغ من الذهب مرصع بالحجارة القليلة الثمن كفضوص  
 النيروزج الصغيرة. ولهن أقراط طويلة عريضة قد تبلغ  
 القيراطين طولاً بعرض قيراط واحد. ويصفن الذهب والفضة  
 عقوداً وقلادات طويلة على ضروب شتى. ولهن من أنواع  
 التزين الحناء نهى شائعة الاستعمال فيصفن بها الاكف  
 والاصابع والاذافر وأخامص الاقدام واصابع الارجل -  
 والخضاب الاحمر على الشفاه. وتكحيل العيون بالاثمد. وقد  
 يزرجن حواجبهن ويطلين شعورهن بالدهن المصنفي. ولهن ولع  
 خاص بالوشم. ويحالين بالصبغة الزرقاء والسوداء جلود أيديهن  
 بنقوش مختلفة ويجعلن نقطاً صغيرة في منتصف الجبهة ومارن  
 الانف والذقن وربما وشممن الشفاه السفلى والوجنات  
 والسواعد والاقدام

أما أخلاقتهم فهي بالجملة حسنة وخير ما يزينهن عزة  
 النفس وشدة التعلق بالاهل والازواج وقيامهن مقامهم في

اكثر الاعمال ولا يقوم الرجال بشيء من أعمالهن . فاشتغال  
 البدوى متصور على الغارات والغزوات والمرأة رفيقة ومعينة  
 له في كثير منها وجميع مابقى منروض على المرأة بحيث لو  
 انقطع الرجل مدة في طلب السلب والدفاع كانت هي ربة  
 البيت مكانة بكل ما تستلزمه ادارة المعيشة والتربية فاعتماده  
 عليها تام أو يكاد واعتمادهما عليه ناقص . وهي مع ذلك راضية وهو  
 غير راض وذلك أمر حتمى في كل هيئة غير عريقة في التمدن .  
 ومما كان ولا يزال شائعاً بين العرب العشق والهيام المؤدى في  
 أغلب الاحيان الى الجنون ولكن في الغالب كان عشقتهم مع الغنة  
 التي لم يسمع بمثلها في البلاد ولذا كثيراً ما رأينا أشعارهم مشحونة  
 بالغزل والتشبيب ولكن ندر فيهم ما امكن الخيانة وعدم الغنة  
 أقضية العرب وترتيب حكوماتهم — سبق القول بان من  
 العرب من كانوا يقسمون الى دول عظيمة يتوارثها ملوك والباقي  
 كانوا قبائل شتى والاحكام في البادية موكولة الى الشيوخ  
 والامراء وهي بكل فروعها وماجاتها تمثل مبادئ الحكم  
 الفطرى . فالقوة لمن غلب وتتبعها السلطة والثروة والنهوض المطلق



وقد مرّ بنا أن البدو هم دائماً بين عدو وصديق ونزید  
الآن ان التضامن والتصافي قد يبلغان عندهم حدّ التحالف  
الفعلی وقد يتطرفان الى ما وراء ذلك بأن تحالف قبائل كثيرة  
تحت لواء واحد فمن ثم يصبح صاحب ذلك اللواء متسلطاً  
عليها جميعاً . وقد ينفرد بين جماعة من الشيوخ رجل واحد  
فيتسلط إما بقوته وإما بحزمه وإما بدسائسه . ولا يفضل  
عندهم الامير على الشيخ ولا الشيخ على الامير الا بنسبة متامه  
وللشيوخ والامراء الحكم المطلق والنفوذ المفرد فسلطتهم اذاً  
نافذة في كل شيء : يقضون بما يشاؤون معتمدين على الشرع  
المعروف والعرف المشروع وما من شافع لديهم الا ذمتهم وما  
حملت . والبدو من حيث الطمع والاذعان جامعون بين الضدين  
فاذا غلت أيديهم عن التحامل وضاق بهم الحيل قنعوا باليسير  
وأخذوا وان تبنوا سبيلاً الى الاستطالة هبطوا اليه ويطلق  
هذا الحكم على الرفيع منهم والوضيع وهو نتيجة كل سلطة  
مطلقة ولهذا لم يكن الشيوخ في مأمن من فتك  
أقاربهم الا اذا استتب لهم كل الامر . والحكم عندهم وراثي

للأرشد ولكثرتهم لا يراعون ذلك الا حيث غلبت قوة الراشد  
 فيهم وايس لهم قوانين مكتوبة ومجالس معقودة ومع ذلك  
 يقوم العرف أحيانا مقام القانون النافذ فيرجعون بالتقاضى  
 اليه فالتتيل مثلا يقوم أهله وأقاربه للاخذ بثاره. وان كان  
 القاتل من عشيرة حليفة فينهم الدية توزع على العائلة ( أى  
 على أئارب الأتال ) وتدفع لاهل الممتول وان اختلفوا فى  
 أمر أشكن عليهم ولم يشاؤا أن يحكوا السيف رفعوا امرهم  
 الى العارنين والعارف عندهم بمقام التاضى يحكم بما اكتسبه  
 من الاختبار مما جرى عليه العرب فى كل زمن وهو بمقام  
 الفيصل أو الفاروق فى العهد القديم وله عندهم منزلة كبرى (١)  
 وكانوا اذا اعتدى فرد من قبيلة على آخر من قبيلة أخرى  
 يرفع المظلوم منهما ظلامته الى رئيس القبيلة التى منها خصمه

---

( ١ ) وقد عرفت اوروبا حديثنا فضل التحكم ومزاياه فشكوا محكمة مخصوصة  
 بمدينة لاهاى عاصمة هولاندا للتحكيم تفصل فيما يشجر بين الدول وبعضها مما  
 لا يمس بالشرف ولا يسقط الكرامة وعقدت معاهدات بين كثير منها  
 عدوها منتهى المدنية وأرأمن آثار اوروبا ونبتاً من مبتكرات افكارها !



فان أنصفه فيها والاقامت الحرب بين القبيلتين وسفكت  
الدماء أشهراً وربما دامت الحروب سنوات حتى تنفرد إحدى  
القبيلتين بالآخرى أو توسط أحد بينهما في الصلح وينة من الحرب  
فما ذكر يتضح جلياً أن العرب لم يكن لهم طبيعة الانتظام  
فان ارواحهم الوطنية قد منيت من فطرتهم بسوس قبيح  
أبقاها ما كلاً للشقاق ومرتعاً للانقسام وقد تشابه العرب  
واليونان القدماء في هذا الداء - داء الاستفراد - تشابهاً غريباً  
فان من أكبر الرذائل والادواء التي اودت باليونان جهم  
الاستفراد أو القيام بالذات أى رغبة كل مدينة من مدنها  
في الاستئثار بالامر والسلطة مما جعلهم كالمسكيتا كلون  
ويغنى بعضهم بعضاً. حتى ان من يطالع تاريخ حروبهم - خصوصاً  
حروب اسبرطه (Sparte) واثينا (Athènes) - لا يسعه الا  
استغراب تلك الرغبة الشديدة التي كانت لكل من المدينتين  
المذكورتين في التغلب على ائها. ولعل هذا الخلق نتيجة  
لازمة لقوة النفس وشدة حب التسلط وقد فطر العرب على  
مثل ذلك فكان دأبهم التقاطع وغزو بعضهم بعضاً قبل

تألفهم والانقسام والخروج عن طاعة الدولة الحاكمة بعده .  
 فدلوا بذلك على أنهم لا يحسنون سياسة الملك وان احسنوا  
 تأسيسه كما قال ابن خلدون وبين الامرين فرق واضح .  
 فالتأسيس يقتضى التوجه والبسالة العسكرية والصبر على الشدائد .  
 اما السياسة فأول ما تستوجبه اتحاد الكامة والثبات والخضوع  
 لصاحب الامر وقابلية الانتظام وهذا الذى كان ناقصاً في  
 الأخلاق العربية ومن الأسف أن قد سرى هذا الداء في  
 جميع دول الاسلام بعد ذلك فنخر عظام المسلمين حتى تدايت  
 كل الأعضاء او كادت وتفرقت أجزاء الجسم الواحد فصارت  
 هدفاً للأعداء ولقمة سهل عليهم ازدرادها .

أممهم العرب في الجاهلية — ان حكم العرب في التصاص  
 كان مختلفاً فتارة يوجبون التمل وتارة اخذ الدية وتارة ينفذون  
 الحكيم فاذا كان المتقول شريفاً في قومه كانوا يقتلون به  
 عدداً أو يأخذون دية أضعاف دية الوضيع بل ربما تناهى  
 أولياء الدم في طلباتهم وطلبوا المستحيل تعجيزاً فيكون لا  
 مناص من التصاص



ولما بعث النبي صلى الله عليه وسلم اوجب الله رعاية العدل وساوى بين عباده في حكم القصاص نأزل « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى: الحر بالحر والبدن بالبدن والاشي بالاشي » وكان القصاص في يد اولياء الدم فجعله الاسلام في يد الحاكم ينتقم عدلاً من الجاني على جنايته، ووجب أحكام الشريعة الغراء . واذا اختلف في شأن قتيل بان وجد في محلة ولم يعلم قتله رجوا للقسامة وهي ايمان يحلفها خمسون رجلاً من المحلة او الخلط يتخيرهم ولى الدم كل واحد يقول بالله ماتت ولا عدت له قاتلاً . وكانوا اذا سرق واحد منهم شيئاً يقضون يده اليمنى واذا لم يعرف الجاني يقصون أثره ولا تزال هذه المادة موجودة عند البدو الحاليين ولهم فيها شهرة عظيمة

حروب العرب وتعرف بايام العرب - ينسب العرب هذه الحروب الى الامكنة التي وقعت فيها وايامهم كثيرة لا تحصى فان ابا الفرج الاصبهاني وضع فيها كتاباً جمع فيه ألفاً وتسعمائة يوم . واشهر حروب العرب وايامهم هي يوم

عويرض بين بكر وتغلب وكذلك يوم النهمي ويوم عنيزة وفيه  
قتل مرة أبو جساس . ويوم العقبة وفيه وقع المهلهل في أسر  
الحرث بن عباد اليشكري . ويوم واردات وفيه قتل همام بن  
مرة . ويوم الجند . ويوم شعب الذنائب وهي أيام حرب البسوس  
الشهيرة التي مكثت اربعين عاماً من سنة ٤٠٩ الى سنة ٥٣٠  
مسيحية وسببها قتل ناقة وسيأتي خبرها فيما بعد ! ويوم شعواء .  
ويوم الهباءة . ويوم المرتب . ويوم قطن . ويوم حسي . ويوم القروق  
بين عبس وفزارة وهي أيام حرب سباق الخيل المعروف بحرب  
داحس ونبراء وهما فرسان الاول ائيس بن زهير سيد بني  
عبس والثانية حذيفة بن بدر سيد بني فزارة وهذه الحروب  
هي من أشهر المواعع التي شهدتها بنترة وقد ذكرها ابن  
الأثير في خبر طويل لا محل له هنا وزبدته أن ائيس بن زهير  
العبسي عتد بينه وبين حذيفة النزاري رهناً على سباق هذين  
الفرسين ثم ارسلوهما في المضمار ولكن حذيفة أضمر الخيانة  
وانفذ رجلاً يقف في مكنن على طريقهما حتى اذا سبقت داحس  
ينفره لتسبقت الغبراء وكان كذلك فوقع الخلاف بين الحيين



ثم انتشبت الحرب وقتل خلق كثير من الفريقين ودامت الحرب بينهم من سنة ٥٦٨ لسنة ٦٠٨ مسيحية ثم اصطاحت عيس وفزارة وانفردتيس عن بنى عيس وساح في الارض حتى انتهى الى عمان فتنصر بها ومات. وتكفينا هاتان الحربان دليلاً على ان العرب كانوا سريري الغضب الفوا التمال يخلتقون الشر من لا شىء.

وكان اسفار العرب للغزوات والحروب بظعونهم وسائر حلالهم وأحيائهم من الاهل والولد. وكان الشعر في حروب الجاهلية يتوم متام الآلات الموسيقية فكانوا في خروجهم للغزوات يتغنون بالشعر في مواكبهم فيطربون وتبجيش همم الابطال ويسارعون الى مجال الحرب. وكانوا ينصبون الرايات على أبواب بيوتهم لتعرف بها ويفتخرون بالراية الصفراء لانها راية ملوك اليمن وأما الرايات الحمر فهي لأهل الحجاز وكانوا يتاتلون بالكر والفر ولا يعتبرون قتال الزحف صفوفا وهو المعتبر عند سواهم من الاعاجم<sup>(١)</sup> ويلبسون

(١) لما شرع العرب في مقابلة الفرس والروم وغيرهم اضطروا الى

في حروبهم الدروع السلوقية ويعتقلون الرماح ويتكبدون  
القسي ويضربون بالسيوف المشرفية والرماح السميرية  
والردينية وكان من سلاحهم أيضاً النبال والتروس والدرق  
والمجانيق وعرادات لرمي الحجارة مرمى بعيداً الخ

**الزواج والطلاق في الجاهلية** - قد كانت الانكحة

في الجاهلية مختلفة فمنها ان يتفق ولي الزوج والزوجة على مهر  
فيتم النكاح بايجاب وقبول كما يحصل الآن ومنها نكاح السفاح  
وهو ان تبضع المرأة رجلاً ثم اذا أعجبته وأعجبها عتد عليها  
ومنها نكاح البغايا وهو ان يعاُ البنو جماعة متزاتون واحد  
بعد واحد فاذا حملت وولدت ألت الولد بمن غلب عليه  
شبهه منهم . ونكاح الاستبضاع وذلك ان المرأة اذا طهرت

---

مقاتتهم زحفاً بمثل قتالهم فجعلوا يعبؤون الحيوش تسمية الزوم والفرس  
فيقسمون العساكر أقساماً يسمونها كراديس ويسوون في كل كردوس  
صفوفهم ويرتبون الكراديس حتى اذا تم هذا الترتيب يكون الزحف  
من بعد هذه التسمية وحروبهم في صدر الاسلام تدل على مهارتهم  
في فن الحرب وسياسته



من حيضها يقول لها زوجها أرسلني الى فلان استبضي منه  
 ويعتزلها زوجها ولا يمسها حتى يتبين حملها فاذا حملت أصابها  
 زوجها اذا أحب. ومنها نكاح الجمع وهو ان يجتمع جماعة دون  
 العشرة ويدخلون على امرأة من البغايا وكلهم يطؤها فاذا  
 حملت ووضعت وصرت عليها ليال بعد ان تضع حملها أرسلت  
 اليهم فلم يستطع رجل منهم ان يمتنع حتى يجتمعوا عندها فتقول  
 لهم: «قد عرفتم ما كان من أمركم وقد ولدت فهو ابنك يا فلان»  
 وتسمى من أحببت منهم فيلحق به. وكان الرجل في الجاهلية  
 يتزوج بكثيرات وربما كان في عصمته عشر نساء أو اكثر  
 فحظر الاسلام ذلك وابعح الاربع فمادونها بالكتاب والشروط  
 التي اجازها الشرع الشريف

وفضلاً عما سبق من أمر الزواج عند العرب واتساع  
 دائرته قد كان فيهم من لا يستتبع مزاحمة أبيه في زوجته  
 ويسمونه الضيزن. ونكاح الميت وهو اذا مات الرجل وترك  
 زوجته قام ولده الأكبر وألقى ثوبه عليها فيرث بذلك نكاحها  
 فان لم يكن له بها حاجة زوجها البعض إخوته بهر جديد. وكان

هذا الزواج — زواج امرأة الأب — عند التليل من العرب  
وكان أكثرهم يستقبحه ولا ينكح الامهات ولا البنات ولا  
يجمعون بين الاختين . وكان بينهم ايضاً من يتزوج بابنته  
كما يفعل المجوس . وكان من عوائدهم في الزواج الذي بايجاب  
وقبول ان تعرض الآباء على بناتهم أمر الزواج قبل العقد  
عليهن وبعد قبولهن يمد يده الى الخاطب أو إلى أبيه أو لمن  
يكون وكيلاً عنه في الطلب ويجب سؤاله بعد ان يتمقا على  
مهر معلوم للزوجة ثم يتواعدان على يوم معين للزفاف بحضرة  
شهود عدول فاذا كان اليوم المعلوم أولوا الولائم احتفالاً  
بزفاف العروسين ثم تضرب لهم قبة فيدخل عليها بها وينثر  
على الحاضرين النثار . ونثار العرب في أعراسهم التمر . أما  
الصداق للمرأة فكان لا بد منه في الجاهلية وربما بلغ مبلغاً  
عظيماً ولذلك كانت العرب تقول اذا ولدت لاحد من بنات «هنياً  
لك الناجفة» أي المعظمة لمالك لانك تأخذ مهرها فتضمه لمالك  
فينتج . فلا يمكن الرجل أن يتزوج بدون اصداق الزوجة  
شيداً يعطيها بعضه قبل دخوله عليها وبعضه يتي ديناراً عليه



تستوفيه منه متى طلقها أو من تركته بعد موته  
 واما الطلاق فكان اذا لم تحسن المعاشرة بين الزوجين  
 فيكون للمرأة الحق في ان تطلق كما ان للرجل كذلك بقوله  
 لها «الحي بأهلك» وعلامة طلاق المرأة هو ان تحول بيتها  
 المصنوع من الشعر او الوبر مثلاً الى جهة مخالفة لجهته الاصلية.  
 ولما جاءت الشريعة الاسلامية أبطلت تلك الانكحة  
 العربية التبيحة. ولو نظرنا لشرائع الأمم الاخرى التي كانت  
 معاصرة للعرب قبل ظهور الاسلام كالروم وهم أصحاب النفوذ  
 على المسكونة في ذلك الوقت مثلاً لوجدنا عندهم انكحة تشبه  
 ما كان منها لدى العرب بل ربما فاقها شناعة وقباحة وكذلك  
 كان الحال عند الفرس واليونان

تقويم العرب في الجاهلية - كانت الأمم السالفة تؤرخ  
 بالحوادث العظام وبملك الملوك أما بنو اسماعيل فأرخوا ببناء  
 الكعبة ولم يزالوا يؤرخون بها حتى تفرقت معد وكان كل  
 خرج قوم من تهامة ارخوا بخروجهم ثم ارخوا بعام النيل  
 ويوم الفجار وكانت معد بن عدنان تؤرخ بغلبة جرهم العماليق

واخراجهم اياهم من الحرم ثم أرخوا بأيام الحروب كحرب  
 البسوس وحرب داحس وكانت حمير وكهلان تؤرخان  
 بملوكهم التبابعة وأرخوا ببنار غرار: نار كانت تظهر ببعض  
 حرات اليمن . وارخوا بسيل العرم ثم أرخوا بظهور الحبشة  
 على اليمن . وكانت العرب الى عهد رسالة النبي تؤرخ بعام الفيل  
 ويوم الفجار وبقى التاريخ كذلك الى أن ولي عمر بن الخطاب فتقرر  
 الامر على ان يؤرخوا بهجرة النبي عليه الصلاة والسلام الى  
 المدينة وتركه ارض الشرك فجعلوا التاريخ من المحرم اول عام  
 الهجرة وكان هذا التقرير في سنة سبع عشرة او ثمانى عشرة من  
 الهجرة بعد ان قدموا التاريخ على الهجرة شهرين وجعلوه من  
 المحرم وأثبت المرحوم محمود باشا الفاسكى ان دخول النبي صلى الله  
 عليه وسلم المدينة المنورة كان يوم الاثنين ٢٠ سبتمبر سنة ٦٢٢  
 من الميلاد وهذا اليوم يوافق ١٠ تشرى عند اليهود وهو يوم  
 عاشوراء عندهم

وأجمع المؤرخون على أن الوثنيين من العرب كانوا  
 يحسبون أوقاتهم بالسنة القمرية والشمسية ولكن ظواهر



عبارات المنسرين وشراخ الحديث الشريف وأئمة اللغة تفيد أن العرب لم يستعملوا البتة سوى السنوات القمرية المبهمة وقد وقع هذا الخلاف بعينه بين علماء الفرنج ولقد أثبت فقيد مصر المرحوم محمود باشا النماكي في كتابه « نتائج الانهام في تقويم العرب قبل الاسلام » الذي ترجمه للعربية حضرة معاصرنا الفاضل احمد بك زكي ان العرب لم يستعملوا سوى السنين القمرية المحضة قبل ظهور الاسلام وانهم كانوا يحسبون أشهرهم بمقتضى سير القمر وأن الشهر عندهم إما ٣٠ يوماً أو ٢٩ يوماً والاسماء التي كانت الجاهلية تطلقها على شهورها هي عين التي نستعملها نحن الآن (١) وكانوا يعتبرون أربعة منها

(١) ان أسماء الشهور المعلومة الآن وضعت في عهد كلاب بن مرة أحد اجداد النبي صلى الله عليه وسلم وكان ذلك قبل الاسلام بقرنين تقريباً واما اسماؤها القديمة فليست معروفة بكيفية معينة مضبوطة. قال الخطيب خیر الدين المدني في تذكرته: «ان المحرم كان يقال له عند الجاهلية المؤتمر لانه أول السنة فكل شيء من أقصيتها يؤتمر فيه. وصفر الناجر من النجر أى شدة الحر. والربيع الاول الحوان من الحيانة. والثاني الصوان من الصيانة. وجمادى الاولى الزباه

محرمة ويسمونها الاشهر الحرم لاعتقادهم حرمة التال فيها  
من قبل ظهور الدين المحمدي بمدة طويلة وهي رجب وذو القعدة  
وذو الحجة ومحرم فكانوا يرغبون فيها السلام ويكونون عن  
الحرب والكفاح وتتخسّم الخصومات وتزول العداوات وقد

وهي الداهية الكبيرة. والآخرى البأء لكثرة القتال والقتل فيه. ورجب  
الاصم لانهم كانوا يكفون فيه عن القتال فلا تسمع فيه أصوات السلاح.  
وشعبان الواغل وهو الداخلى على قوم ولم يدعوه لهجومه على رمضان.  
ورمضان الباطل وهو كوزيكال به الحمر. وشوال العاذل لانه من أشهر  
الحج فكان يثبهم عن غير مهماته. وذو القعدة رنة لان الانعام كانت  
ترن فيه لقرب التحر. وذو الحجة ترك لانهم كانوا يتركون الابل فيه.  
وتختلف أسماء هذه الشهور القديمة فى روايات أخرى كما اختلفوا  
أيضا فى تعديل تسميتها بتلك الاسماء. فقال المرحوم محمود باشا  
الفلكي: «ان العرب أطلقت على الاشهر أسماء تناسب الحوادث الجوية  
أو غيرها التى وقعت فى سنة التسمية فقط ولم يرسلوا أنظارهم الى  
ما وراء ذلك لجهاهم بأنه بعد مضى سبع عشرة سنة تنقل شهور  
الصيف فى الشتاء وبالعكس وكذلك لما غيروا الاسماء القديمة واستبدلوا  
بالاسماء المستعملة الآن لم يراعوا الا الاحوال التى كانت جارية فى  
وقت التسمية فأول شهورهم المحرم سمي بذلك لان من شهورهم  
أربعة حرما واحد فرد وثلاثة سرد فالثلاثة السرد ذواقعدة وذو



قال المسيو كوسان دو برسوال في هذا الصدد ما معرّب به  
 « ان ذلك نوع من الهدنة جعلها الله تعالى لحكمة بالغة في  
 في أمة دأبها شن الغارات ودينها تحريك الزمن لكونها  
 اعتادت السلب والنهب فانه يترتب على هذه الهدنة منع  
 القبائل ابادة بعضها وتحديد أوقات معينة يأمن فيها الانسان  
 على نفسه ونفيسه فتروق سوق التجارة حيث تكون آمنة

الحجة والمحرم ورجب وكانوا يجرمون القتال في هذه الشهور كما أسلفنا  
 ولا يتعرضون لاحد فيها بالقتل والدم وان كان عنده دم . ثم صفر  
 سمي به لما كان يعترهم من مرض يصفر الوانهم ثم شهر ربيع الاول  
 وشهر ربيع الآخر سميا بالربيع لانها كانا يأتيان في الحريف وكانت  
 العرب تسمى الحريف ربيعا ثم جمادى الاولى وجمادى الثانية سميا  
 بذلك لاتيانهما في أيام الشتاء عند جمود الماء ووقع الجليد ثم رجب  
 وسمى بذلك لانه يقال فيه ارجبوا أى كفوا عن القتال ثم شعبان  
 سمي به لان شعاب القبائل فيه الى طلب المياه والغارات ثم رمضان  
 سمي به لانه كان يأتي حين برء الحر ورمض الارض ثم شوال لقوظم  
 شولوا أى ارتحلوا وقيل بل سمي به لان الابل كانت تشول فيه  
 بأذنانها لشهوة الضراب ولذلك لا تجوز العرب فيه التزويج ثم ذو القعدة  
 لقعودهم فيه عن القتال وذو الحجة لاقامتهم الحج فيه . اهـ

مطمئنة » ومما سبق يعرف انه كان للعرب في كل سنة وقتان  
 نزول فيهما الضنآن وتذهب الاحقاد أحدهما مدة شهر واحد  
 والثاني مدة ثلاثة شهور متواليات ولكن تحريم القتال في  
 الثلاثة شهور المتواليات شق على قوم أنوا الحروب واتخذوها  
 وسيلة للتعديش فلم يستطيعوا مقاومة أهوائهم الغريزية فلاجل  
 أن تقضى العرب وطرها من الغزو اذا انفتحت أبوابه ولا  
 يفوتها مخم من تهيبات اسبابه سنوا الذي الذي هو تأخير  
 حرمة شهر محرم الى شهر غير محرم ليوفقوا بين أهوائهم  
 الحربية وفرأئضهم الدينية فكانوا من وقت الى آخر يؤخرون  
 تحريم شهر محرم الى الشهر الذي يتلوه بحيث كانوا يلتزمون  
 مراعاة شهرين محرمين متتابعين بدلا من ثلاثة ولما ظهر  
 الاسلام ابطل الذي وأخبر الله عز وجل عنهم بذلك بقوله  
 « انما الذي زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلون  
 عاما ويحرمونه عاما »

وكانت الجاهلية تستعمل قديما الاسماء الآتية للدلالة  
 على ايام الاسبوع وهي أول « الاحد » وأهون « اي الاثنين »



وجبار « اى الثلاثاء » ودبار « اى الاربعاء » ومؤنس « اى  
الخميس » وعروبة « اى الجمعة » وسنان « اى السبت »  
وذهب المرحوم محمود باشا الفلكى الى أن العرب كانوا يجهلون  
بالحكمة تقسيم اليوم الى ٢٤ ساعة

**ضرافات العرب ومعتقداتهم** - وكان العرب يعتقدون  
بالجن والغول والسحر والهواتف والكهانة والعرافة والطيرة  
والزجر والقيافة والعيافة والنراصة والتنجيم وصدق تخطيط  
الرمل ويعتقدون أن من خرج في سنر لو التمت وراءه لا  
يتم سفره وان من علق عليه كعب ارنب لم تصبه عين ولا سحر  
ويزعمون أن الحية تهرب من الارنب لكونها تبيض وان  
المرأة اذا أحبت رجلا وأحبها ثم لم يشق عليها رداءه وتشق  
عليه برقعها فسد حبهما وان الرجل اذا قدم قرية خاف وباءها  
فوقف على بابها قبل أن يدخلها ونهق كما ينهق الحمار لم يصبه  
وباءها وان الرجل اذا ضل في سنر وقلب ثيابه اهتدى وان  
الناقة اذا نفرت وذكر اسم أمها سكنت وكانت لهم خرزة  
اسمها السلوان لو حكها عاشق وشرب ما يخرج منها سلى

وتصبر وكانت النساء لا يبكين على مقتول حتى يؤخذ بثاره  
وأن الغلام اذا سقط سنه فرمى به في عين الشمس بسبابته  
وابهامه وقال أبدلى أحسن منها فانه يأمن على نفسه الفلج  
والعرج والجرع وكانوا اذا ارسلوا الخيل على الصيد فسبق  
واحد منها خضبوا صدره بدم الصيد الذي يصيدونه علامة  
على ذلك وكان فيهم ايضاً من المعتقدات الفاسدة الرتم وهو  
اذا أراد أحدهم سفراً عمد الى شجرة فيعقد غصناً منها اذا  
عاد من سفره فوجدته قد انحلت قال تد خانتي امرأتى وان  
وجدته على حاله قال لم تخنى. والرثية وهي اذا مات أحدهم عقلوا  
ناقة عند قبره حتى تموت ويزعمون انه اذا بعث ركبها والتفقتة  
والتعمية وهي ان الرجل اذا بلغت إبله ألفا قلع عين الرجل  
ويزعمون أن ذلك يدفع عنها العين فاذا زادت على الالف  
فقأ عينه الاخرى وكانوا اذا أصيبت الابل بالجرب أو بالعر  
— وهو داء يشبهه — يكوون السليمة ويزعمون ان ذلك يبرىء  
السليمة وكانت البقر اذا امتنعت عن الشرب يضربون الثيران  
زاعمين ان الجن يركبون الثيران فيصدون البقر عن الشرب



ويزعمون ان الحية تموت من أول ضربة فاذا شئت عاشت  
 ويزعمون أن الانسان اذا قتل ولم يؤخذ بثاره يخرج من رأسه  
 طائر يسمى بالهامة ولا يزال يصيح على قبره ويقول استقوني  
 الى ان يؤخذ بثاره ويقولون ايضا انها تخبره بما يكون بعده  
 وقال بعضهم

هامى تخبرنى بما تستشعروا فتجنبوا الشعاء والمكروها  
 وكانوا يزعمون ان فى البطن حية تسمى الضفر تعض  
 الانسان اذا جاع فلما جاء الاسلام قال النبي صلى الله عليه  
 وسلم لا هامة ولا صفر

معتقدات العرب وديانتهم - وقد دخل بلاد العرب  
 جميع اديان المشركين فكان اقدم اديانهم المجوسية وعبادة  
 الاوثان (١) التى تسلطت فى بلادهم مدّة من الزمان وكان

(١) اساس المجوسية عبادة الاجرام السماوية وعبادة العرب  
 لها فى ايام جاهليتها ضرورة لانهم أكثر الناس حاجة الى تلك الاجرام  
 فهى تهديهم لاسفارهم وتدلم على جهات مسيرهم ولا يزالون يستعينون  
 بها على ذلك لان فضلا عن تفاؤلهم ببعض الاجرام وتشاؤمهم بالبعض  
 الآخر . واشهر من تدين بالمجوسية فى العالم أمة الفرس وعندهم أخذ

يخاطبها القول بالاصلين : الخير والشر ثم أدخل فيها مجوس  
الفرس مذهب زرادشت ومن وقتئذ مزجوا عقائدهم الاصلية  
بعبادة الشمس والنجوم ثم سرت اليهم بعض عقائد اليهود

الناس عبادة الاجرام وفي جهنم العرب فانهم قلدوهم بعبادتها وبنوا لها  
الهيكل على مثال هيكل الفرس وحجوا اليها فقد كان بجزيرة  
العرب سبعة هيكل للسيارات السبعة تسمى البيوت . وما لبثت المجوسية  
ان تحولت من بعض وجوهها الى عبادة الاصنام واضمحلت من جهة  
أخرى امام الديانتين اليهودية وانصرانية فجاء الاسلام وليس من  
المجوس الا جماعة قليلة أكثرهم من بني تميم من العدنانية وكانت  
منازلهم بأرض نجد وما والاها الى اليمامة ومنهم زرارة ابن عديمة  
وابنه . ومن آثار العرب الآن من المجوسية اعتقادهم بالانواء ونسبة  
التغيرات الجوية الى طلوع بعض النجوم او غيابها

أما الوثنية فالعرب اقتبسوها من الامم القديمة كذلكدان  
والفنيقيين والمصريين وغيرهم في اقدم الازمنة فكانت كل قبيلة تتخذ  
صنما تنصبه في ارضها فتعبده وتستخيره حتى انتشرت تلك العبادة  
وغلبت على المجوسية فجعلوا الكعبة هيكلاً عمومياً لها ونصبوا فيه  
التماثيل التي بلغ عددها عدد أيام السنة على ما قيل وما جاء الاسلام  
انمحت كلها وكسرها النبي صلى الله عليه وسلم عند فتح مكة



الذين كانوا يحكمون على سواحل البحر الاحمر من زمن داود  
وسليمان عليهما السلام حتى أتت بعض قبائل من تجار بني  
اسرائيل نزلت بسواحل الحجاز واليمن<sup>(١)</sup> فلما ظهر دين

( ١ ) يظهر ان اليهودية قديمة قديمة العهد في جزيرة العرب لان  
اليهود ما برحوا منذ أول عهدهم ينزحون الى بلاد العرب مما يلي  
بلادهم اما فراراً من القتل أو التماساً للرزق  
ويؤخذ مما رواه أبو الفرج الاصبهاني في كتاب الاغانى اثناء  
كلامه عن السمراة بن عديا اليهودي أن اليهود سكنوا يثرب في القرن  
الخامس عشر قبل الميلاد والظاهر أن بعضهم بقي على ما تنامه من  
عبادة الاصنام بمصر ومنهم اقتبس الاوس والخزرج عبادة الصنم  
وقال المقرئ في كتابه عن كبس الشهير ان العرب تعلموه من  
اليهود الذين نزلوا يثرب على عهد صموئيل النبي ( في القرن الحادي  
عشر قبل الميلاد ) ولما خربت اورشليم على عهد طيطوس ( Titus )  
في القرن الاول للميلاد هاجرت جماعة كثيرة من اليهود الى بلاد  
العرب واقاموا فيها وأخذوا في نشر ديانتهم بين أهلها فلم يأت القرن  
الثاني للميلاد حتى أصبحت الديانة اليهودية شائعة في كثير من بلاد  
العرب . وفي رواية ان أسعد أبا كرب ملك اليمن هو الذي أدخل  
اليهودية بلاد اليمن حوالي القرن الاول قبل الميلاد . ويقول ابن  
خلدون ان أول من أدخلها بين العرب ذونواس أحد النابغة ملوك

النصرانية وبث رسل الحواريين هذا الدين في بلاد الهند لم يجتازوا بلاد العرب من غير أن يتركوا بها شيئاً من آثار الانجيل<sup>(١)</sup> فبذلك كانت السيادة في بلادهم لاربعة أديان الا أن عبادة الاوثان كانت أكثر انتشاراً من غيرها. هذا وقد

اليمين وكان اسمه يوسف فتهود معه أهل اليمن في أواخر القرن الخامس للميلاد وفي رواية أخرى ان أهل اليمن تهودوا في القرن الرابع وبالجملة لم يأت القرن السادس للميلاد حتى أصبحت الديانة اليهودية منتشرة في القبائل وأشهر يهود العرب بنو نمير وبنو كنانة وبنو الحرث بن كعب وبنو كندة . اهـ

( ١ ) يلم من تقاليد الكنيسة الشرقية القديمة أن القديس توما أول من بشر بالنصرانية في بلاد اليمن أثناء مسيره الى الهند وان بولس الرسول بشر بها في الشام فاعتنقها كثيرون من عمرها الذين خلفتهم دولة الساسنة . ولا يبعد أن قوافل العرب التي كانت تفر الى الشام والعراق في الاجيال الاولى للميلاد كانت تقبض بعض القمائد النصرانية وتؤثرها على الوثنية . على أن الاضطهادات النصرانية في القرنين الثالث والرابع حملت النصارى على المهاجرة الى بلاد العرب والاقامة فيها ونشر تعاليمهم بين أهلها وهناك روايات كثيرة عن اصل تنصر بعض قبائل العرب وأول من تنصر منهم وبالجملة فان النصرانية كانت منتشرة في جزيرة العرب قبل الاسلام وأشهر من تدين به



كان بين بعض قبائل العرب من يدين بدين التوحيد وهو  
دين إبراهيم عليه السلام وابنه اسماعيل  
وكان عبدة الاوثان يحجون الى الكعبة المشرفة  
ويوجهون اليها امانيتهم وعباداتهم وكانت قريش تصوم  
عاشوراء<sup>(١)</sup> وكان كثير من العرب يقول بالطبيعة الواحدة  
للمسيح وهو اعتقاد اليعاقبة وكان فيهم من يقول بالمعاد  
ويعتقد ان من نحرت ناقته على قبره حشر راكباً ومن لم يفعل

ربيعه وغسان وتنوخ وحمير وتغلب وبعض قضاة وطى وسكان بخران  
وعرب الحيرة ولتنصر عرب الحيرة حكاية مشهورة حدثت للعبان  
لا محل لها هنا

(١) قيل ان عاشوراء عبراني مغرب لفظ عاشور وهو العاشر  
من تشرى اليهود الذي صومه صوم الكبور وانه اعتبر في شهر  
العرب فجعل في اليوم العاشر من أول شهرهم كما هو اليوم العاشر  
من أول شهر اليهود وقد فرض في التوراة صوم هذا اليوم ولا  
يزال اليهود الى هذا العهد يحافظون على صيامه ويتقربون باكرامه  
وقد دخل النبي صلى الله عليه وسلم المدينة يوم عاشوراء اليهود كما  
سبق ايضاحه

ASC - LIBRARY

ذلك حشر ماشياً ومنهم من كان ينكر ذلك وبقوا في غيابة  
جهالهم يعمهون حتى سطع النور الاسلامي في أفق العالم  
فانكشفت غيوم الشرك وآب الكفر لعبادة إله فرد صمد  
لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد

في لغة العرب وآدابهم وأشعارهم وسننهم وأسواقهم  
وكتابتهم - لما كانت العرب تعمل على غرائزها الفطرية  
كانت المملكة الاصلية الجبلية فيهم على حد سواء واتحدت  
أسنتهم وأفكارهم وحماستهم وبلاغة مقالهم وانما اختلفت  
فيهم لغات الاحياء والقبائل ومخاطبات البطون والعشائر (١)

(١) لما ظهر الاسلام كان العرب قبائل متفرقة ولكل قبيلة  
منهم لغة أو لهجة خاصة بها وكان الاختلاف بين هذه اللهجات قايلاً  
الافى أطراف البلاد حيث خالط العرب الحبش والتببط والروم والنبط  
وفي بلاد اليمن لان لغة اليمن الحميرية كانت قد صارت بعيدة عن بقية  
لغات العرب لاسباب سياسية ومحلية . وسبب تلة الاختلاف بين لغات  
العرب في الحجاز وما جاورها كثرة ارتحال العرب واختلاطهم بداعي  
الغزو والاسر وعكفهم على زيارة البيت الحرام وانشادهم الاشعار  
التي تحفظ وتسير بها الركبان الى كل الاحياء فتقوم مقام الكتب



يعنى تحمد اللسان الذي به الزهم والتفهم واختلف منعلقه وأحوال التلغظ به فى التأدية وأسماء المسميات وكيفية الحركات والسكنات ومع ذلك فاللسان واحد وعلى قاعدة واحدة تكاد أن تكون عمومية لا يعترها تغيير والا لكان لحنًا وغلطًا ولا يجوز أن يتوهم فى العربى البدوى أن يغلط فى نطقه ويلحن فيه وان تعمد ذلك لا يطاوعه لسانه فالعرب معصومون من لحن اللسان واطلاق الالفاظ على غير معانيها وانما يجوز أن يخطؤا فى وضع بعض الالفاظ وتوضيح ذلك نقول كما ورد فى كتاب ميزات العرب للفاضل حنى بك ناصف إن اللغة العربية وان كانت فى ذاتها لغة واحدة مغايرة للغة الرئيسية والانكيز والالمان وبقية الأمم إلا أنها تتعدد بالنسبة

والجرائد فى حفظ اللغة ونشرها . نلو كانت بلادهم خصبة وطرق المعيشة فيها ميسورة وهم قبائل متفرقة لا يجمعهم جامعة الملك ولا الدين لاشد الفرق بين لهجاتهم حتى صارت لغات متفرقة كما حدث لنزوح أفريقية وهنود أمريكا . فلم يتعد عن لغات العرب الا الحيرية بسبب استقلال أهلها وقيامهم فى المدن واتصالهم بالاحباش وقيام الملك فيهم أزمانا طويلة

للاختلافات التي توجد في السنة المتكلمين بها بلغة هذيل غير  
 لغة عقيل وكلاهما غير لغة قيس وكل منها غير لغة أسد  
 والاربع تميز عن لغة تميم ويغاير الجميع لغة الحجاز وهلم جرا  
 فالاتحاد والتعدد من جهتين مختلفتين فلا تناقض في  
 الكلام ويمكن تشبيه ذلك بافراد بني آدم فانهم يتحدثون جميعاً  
 في الحيوانية الناطقية بحيث يطلق على كل فرد منهم لفظ  
 انسان ولكنهم يختلفون بمميزات أخرى مثل الطول والقصر  
 والسمن والنحافة والبياض والسمره على أن ذلك أمر موجود  
 في كل اللغات كما قدمنا فالخبير بلغة الفرنسيين مثلاً يمكن  
 أنه يميز الباريسي من المارسييلي والاشين من المونبيلي بمجرد  
 ما يسمع كلامهم مع أن كلا منهم يتكلم باللغة الفرنسية  
 ولما كانت لغات العرب لا بد من تداولها في المحاورات  
 والمخاطبات والمحاضرات وكان أهل نجد والحجاز مثلاً لا  
 يفهمون لغة اليمن وحمير بل ربما كانت قبائل إقليم لا تكاد  
 تتكلم بلغة واحدة أي لا تستعمل كلمات واحدة في تأديه المعنى  
 الواحد كما قدمنا وكانوا جميعاً مولعين بقول الشعر ونشره



بينهم بدون ياس ممن أبطأ في قوله ثم نطق كالنابغة الذي نبغ  
 فيه مرة واحدة ولقب بذلك اجتمع الشعراء وأجمعوا رأيهم  
 على تحسين اللسان العام الذي يكون به التفاهم عند جميعهم لما  
 في توحيد اللغة من المزايا والنوائد وانجزوا ذلك وتغلبت لغة  
 قريش على كل اللغات الأخرى لنزولهم مكة المشرفة وتوايهم  
 سدانة الكعبة فلما نزل القرآن الشريف بلغة قريش انشر  
 التمدن العربي بها وانضمت قبائل العرب تحت لواء الاسلام  
 وتألفت العربية من مجموع هذه اللغات أو اللهجات ولما  
 شمل الفتح الاسلامي البلاد واختلط العرب بالعجم ودخل  
 كثير من الكلمات العجمية واساليب الاعاجم في صور  
 كلامهم العربي وخيف من وقوع اللحن في لسانهم وضع ابو  
 الاسود الدؤلي ومن تبعه من الافاضل العلماء علوم اللسان  
 العربي لحفظ اللغة ثم أصاب العربية في هذه الاعصر ما  
 أصاب غيرها من اللغات الشهيرة من قبلها كاليونانية واللاتينية  
 أي ان العلم انحصر في فئة من الخاصة فحافظت على اللغة  
 وتواءمها وسار الجمهور في طريق التغيير والتبديل والتجريف

لقد انتشر العلوم بينهم ففسدت انهم بذلك وباختلاطهم مع  
 من جاورهم من الشعوب صارت اللغة لغتين لغة الكتابة ولغة  
 التكلم كما هي الى هذا العهد. ولا يخفى ما في إهمال أمر اللغة  
 من المضار أدبياً ودينياً وعلمياً فقد قيل إن ضياع اللغة تسام  
 الذات. ولذلك اجتهدت كل أمة في المحافظة على لغتها بقبول  
 مخوذة فيها الا الامة الاسلامية فقد اهملت لغتها العربية  
 وهي لغة دينها الذي يجمعها كآثارها من ايدي يتدبر  
 ويمتد بها فبات على غيره

والكيفية التي توصل بها شعراء الجاهلية لتحسين  
 اللسان العام وتوحيد اللغة هي أنهم كانوا في أواخر أمرهم اذا  
 نظموا قصائدهم حاولوا ان تكون ألفاظها مألوفة للجميع  
 متعارفة بحيث تفهم معانيها المتصودة منها لجميع أحياء العرب  
 وقبائلهم فتكون من ذلك لسان عربي مشترك بين العرب  
 على اختلاف أحيائهم ولا شك أنه لم يكن في استطاعة أحد  
 غير الشعراء القيام بهذه المهمة لان العرب لم يكونوا أصحاب  
 كتب يرجعون اليها ولم توجد طرق النشر وقتئذ كما هي



الآن وانما كانوا يرجعون الى تلقى كل طبقة عن فوقها ما  
 تواتر من الأخبار والآثار فيتناقلون تواريخ احسابهم ويحفظونها  
 محافظة على صناء انسابهم ولا يهملون معرفة ما اثر قديمائهم  
 واسلافهم ووقائعهم وحوادث حروبهم وخطوبهم وعلاقاتهم  
 مع من جاورهم وكل هذا بطريق الروايات خلفا عن سلف  
 وقد دلت اشعار العرب على وقائعهم التاريخية وايام حروبهم  
 وعلى ما كان عندهم من الاخلاق والعوائد دلالة كافية في  
 الوضوح وبممارسة قرص الشعر على هذا الوجه المنسجم نتجت  
 اللغة العربية وتخلصت من شوائب الركافة والاكثة واستعمال  
 الالفاظ الوحشية والعريبة واثر قرص الشعر بهذا الوجه  
 المتبول فوائدها منها انه كان يدعو الى المروءة وعلو الهمة  
 ويحمل على الشجاعة والاقدام على عظام الأمور فلذلك كان  
 لشعراء العرب في ذلك العهد نفوذ تام ورسوخ اقدم واعتماد  
 عليهم ووثوق بهم فكان كلامهم حجة به يستشهد عليه يعتمد  
 للسادة الشعراء فضل ثابت ولهم مقام شامخ ومكان  
 وهو سلاطين الكلام اما ترى كل امرئ منهم له ديوان

وكان الشعراء دون غيرهم هم المؤرخون والنسابون  
والناقولون للحوادث في جزيرة العرب بتمامها لاشتمال تصاندهم  
على الوقائع والمآثر والنوازل والمنابر وتحويل الاحوال من  
مكان الى مكان وتنقل الحوادث من زمان الى زمان فكانوا  
بدون شك ولا شبهة أمراء الكلام وأهل الحل والابرام  
ولما كانوا هم المحسنين والمقبحين والمادحين والقادحين  
والمغرين والمخدرين كانوا يرفعون القبائل ويخفضونها  
ويشرفونها ويضعونها كما يشاؤون مدحاً وهجواً تلويحاً وتصريحاً  
تمريراً وكناية

وللشعراء السنة حداد على العوراء ما برحت دليمة  
والكن السعيد من اتقاها وداراها مداراة جميلة  
ولذا كان يخشى بأسمهم ويحترم جنابهم وكثيراً ما كانت  
تجتمع العرب تحت خيامهم وقبابهم يتناشدون الاشعار  
ويتغنون بها بالانغام والايقاعات فتطرب المسامع وتلج على  
لسان منشدتها وناظمها كما تلذ بها أذن السامع فكأنما البدوى  
من العرب مخلوق من أصل الفطرة لقرض الشعر وابتكار



المعاني البديعة والتفنن في انحاء الكلام  
وقد أنشأ العرب جمعيات احتفالية في أسواق دورية  
ذات ميادين شعرية كسوق عكاظ وسوق مجنة وسوق ذي  
المجاز ولكن سوق عكاظ هو المتميز منها بالسباق في الشعر  
وعكاظ قرية بصحراء بين مكة والطائف على ثلاث مراحل  
من مكة المشرفة وكان فيها سوق أسبوعية يوم الأحد  
وسوق سنوية وهي المقصودة هنا كانت تقوم هلال ذي  
القعدة ويستمر موسمها عشرين يوماً يجتمع فيها قبائل العرب  
فيتعاطفون أي يتناخرون ويتناشدون وكان من فوائدها  
ان العرب يتعارفون فيها ويتحابون وكانت فرسان العرب اذا  
كان أيام عكاظ في الشهر الحرام وأمن بعضهم بعضاً  
يتقنعون حتى لا يعرفوا. وان كانت هذه السوق تؤذن  
بالتعامل والاخذ والعطاء الا انه كان في الحقيقة جل الغرض  
منها اجتماع فحول الشعراء والنصحاء والبلغاء من أهل العربية  
لابداء نتائج افكارهم واظهار محاسن فصاحتهم وبلاغتهم  
وكان يجتمع بها سادات العرب وملوكهم وقبائلهم ورؤساء

العشائر وعرفاؤها ومثل عكاظ في ذلك سوق ذى المجاز  
 خلف جبل عرفات وأسواق آخر وكانت هذه الاسواق  
 ساذجة بسيطة مجردة عن الزينة والزخرفة لكنها مهيبة  
 يزدحم فيها الشعراء من جميع جهات العرب ويقوم الشاعر  
 ويبرز في حومة الابدان وأرباب المجالس ثابتون في مكانهم فينشد  
 الاشعار من قريضة وهم يصغون الى سماعها منه ويحرسون  
 على التقاطها من فم بمجرد النطق بها ويحفظونها عن ظهـ  
 قلب فيكتب في المحفل العام ما يستحسن من التصانيد بحروف  
 الذهب على منسوج الحرير ويلق على الكعبة المشرفة  
 ليخلد اسم صاحبه ويبقى على مدى الايام رسمة ولا يزال في  
 الخلف بقايا ماثر السلف ولهذا بقيت شهرة المعلقات السبع  
 مخروطة الى عهدنا هذا وقد اعتنى علماء الاسلام بشرحها لما  
 اشتملت من البلاغة والفصاحة والصناعة الشعرية وكانت  
 العرب اذا أتت في الموسم يضعون سلاحهم عند أهل السدانة  
 من قريش قبل الدخول في السوق ومن لم يضع سلاحه  
 عندهم عرض نفسه للقتل



وكما كانت هذه السوق مجمع الفصاحة والنروسية  
 كانت مجمع مكارم الاخلاق أيضا حتى كان بعض اشراف  
 الشعراء كعاصر بن الطفيل الامرى ينادى مناديه في هذه  
 السوق « هل من راجل فنحمله أو جائع فنطعمه أو خائف  
 ننؤمنه » وكانت ايضا هذه السوق كديوان ملوك العرب  
 فكان بعضهم يأخذ ماله من الاتاوة والمرتبات على التبادل  
 كل سنة بالموسم وكانت العرب تنقل من سوق عكاظ  
 بعد انفضاضها الى سوق مجنة وتقيم فيها عشرين يوما ثم  
 تنقل منها الى سوق ذى المجاز فتقيم فيها الى أيام الحج وكان  
 سوق عكاظ الذى هو مجمع المفاخرة قد يتسبب عنه المقاتلة  
 والحرب وممن اشتهر بالخطابة فيه قس بن ساعدة وهو أول  
 من قال « أما بعد » فى كلامه وهو القائل

لقد علم الحى اليمانون أتى اذا قلت أما بعد أنى خطيبها  
 وقد آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بعثته ولم يره  
 وخطب خطبة فى سوق عكاظ حث فيه على اتباع دينه وكان  
 مقرا بالبعث والعقاب فصيحاً اذا خطب عمر عمر اطويلا

وكان مقرا لله تعالى بالوحدانية تضرب بحكمته الامثال  
ومن خطبه خطبة شهيرة قالها وهو على جمل له أحمر بالسوق:  
«أيها الناس اجتمعوا واسمعوا وعوا: ان من عاش مات ومن  
مات فات وكل ما هو آت آت. مطر ونبات. وارزاق واقوات.  
جمع واشتات. وآيات بعد آيات. ان في السماء خبيرا. وان  
في الارض لخبيرا. نجوم تمور. وبحار تغور. وسقف مرفوع.  
ومهاد موضوع. اقسم بالله قسما لا حاشا ولا آثما ان الله دينا  
احب من دينكم الذي أتم عليه. ونبيا قداظلكم اوانه. وادر ككم  
إيانه. فطوبى لمن ادركه فآمن به وهداه. وويل لمن خالقه  
وعصاه.» ثم قال: «مالي أرى الناس يذهبون ولا يرجعون؟  
أرضوا بالمقام فأقاموا؟ ام تركوا هناك فناموا؟ يامعشر بني  
آدم أين الآباء والاجداد؟ وأين المرضى والعواد؟ طحنهم  
الثرى بكل كاه ومزقهم بتطاوله؟ كلا بل هو الله الواحد  
المعبود ليس بوالد ولا مولود! وانشد

في الذاهبين الاوليد      ن من القرون لنا بصائر

لما رأيت موارد      للقوم ليس لها مصادر



ورأيت قومي نحوها تمضي الاصاغر والاكابر  
لا يرجع الماضي الى ولا من الباقين غابر  
ايقنت اني لا محال حيث صار القوم صائر  
ولما قدم الجارود بن عبد الله على النبي صلى الله عليه  
وسلم سأله عن قس فقال: هلك. فقال «رحم الله قسا اني لا رجو  
« أن يبعثه الله أمة وحده »

وبالجـارة فقد كان محفل عكاظ معدن المفاخر التليدة  
والطارفة ولم يكن وحده في جزيرة العرب بل كانت أسواق  
اليمين ايضاً مركزاً للمناخر الظاهرية والمنافع العمومية والزينة  
والزخرفة فكانت بضاعتها هي النافقة

سُعداء العرب والمعلقات السبع — قد اتفق الكل على  
ان المعلقات السبع هي من أجود اشعار العرب واشهرها  
وقال صاحب تذكرة الحكم في طبقات الامم: « ان العرب  
بقيت تسجد لهذه المعلقات مدة طويلة لفصاحتها الى أن ظهر  
الاسلام وابطل القرآن بسطوة فصاحته اعتبار العرب لهذه  
المعلقات » واصحابها هم:

(١) امرؤ التيس بن حجر الكندي وكان موته قبل  
الهجرة بنحو اثنين وثمانين سنة ومطلع معلقته  
فقائبك من ذكرى حبيب ومنزل

بسقط اللوى بين الدخول فحومل

وقد اشتهرت هذه المعلقة حتى صار يضرب بها المثل  
في الامر الواضح فيقال: اشتهر من قفايبك. وسنأتى في الفصول  
الآتية على ترجمة هذا الشاعر عند التكلم على ملوك كندة  
(٢) طرفة بن العبد البكري وكانت وفاته قبل الهجرة

ثمان وخمسين سنة ومطلع معلقته

خولة اطلال بيرة ثمهد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد  
وكان طرفة في حسب كريم وعدد كثير من قومه  
البكرين وكان شاعراً جريئاً على الشعر بلغ مع حداثة سنه  
ما بلغ القوم مع طول اعمارهم. مات أبوه وهو صغير ومن شعره:  
وأعلم علماً ليس بالظن أنه اذاذل مولى المرء فهو ذليل  
وان لسان المرء ما لم تكن له حصاة على عوراته لدليل  
وله أيضاً



ولا أغير على الاشعار اسرقها غنيت عنها وشر الناس من سرقا  
وان أحسن بيت أنت قائله بيت يقال اذا انشدته صدقا  
وتد مات مقتولا ولم يناهز العشرين من عمره وقصة  
قتله مشهورة في كتب الادب

(٣) عمرو بن كلثوم التغلبي وكانت وفاته في السنة

الاولى من الهجرة ومطلع معلقته

ألا هي بصحنك فاصبحينا ولا تبقى خمور الاندرينا  
وهو من أجود العرب شعرا واعزهم نفسا وأكثرهم امتناعا  
في شعره حتى قال بعضهم: «لله در عمرو بن كلثوم لو أنه رغب  
فيما رغب فيه اصحابه من كثرة الشعر ولكن واحده أجود  
من مثاتهم» ويذكرون أنه عاش مائة وخمسين سنة وسبب  
موته مشهور ايضا

(٤) الحرث بن حنزة اليشكري ومولده قبل الهجرة

بأثنتين وثلاثين سنة وهو من اهل العراق ومشاهير الشعراء  
ومطلع معلقته

أذنتنا بينها أسماء رب ذويمل منه الثواء

ومنها

لا يقيم العزيز بالبلد السه  
 هل ولا ينفع الذليل النجاء  
 ليس ينجي الذي بوائل منا  
 رأس طود وجره رجلاء

وممن شعره

عش بالجدود فما يضـ  
 والعيدش خير في ظلا  
 وراقد رأيت معاشرنا  
 جمعوا لهم مالا وولدا  
 وهو ذباب طائر  
 لا يسمع الآذان رعدا

( ٥ ) لبيد بن ربعة العامري ويكنى بأبي عتيل وكان

مولده قبل الهجرة بأربعين سنة وهو من اهل العراق أيضاً  
 أدرك الاسلام واسلم ومطلع معرفته

عفت الديار محلها فتمامها  
 بمنى تأبد نولها فرجامها

وممن شعره في الجاهلية

بلينا وما تبلى النجوم الطوالع  
 وتبقى الديار بعدنا والمصانع  
 فلا جزع ان فرق الدهر بيننا  
 فكل امرئ يومابه الدهر فاجع  
 وما المرء الا كالشهاب وضوئه  
 يحور رمادا بعد ما هو ساطع



وما المال والاهلون الا ودائع ولا بد يوما ان تردّ الودائع  
فمنهم سعيد آخذ بنصيبه ومنهم شقي بالمعيشة قانع  
وقد عاش عمرا طويلا والى ذلك يشير بقوله

ولقد سئمت من الحياة وطولها وسؤال هذا الناس كيف اييد  
روى أنه لم يقل شعرا منذ أسلم وكان يقول: ابدلني الله  
به القرآن. وله في الكرم آثار مشهورة: حكى انه كان عليه نذر  
من قديم ان لا تهب ريح الصبا الا وينحر ويطعم فهبت يوما  
وهو فقير لا يملك شيئا فعلم بذلك امير العراق وقتئذ الوليد  
بن عتبة فخطب الناس وقال: انكم تعرفون نذر أبي عقيل على  
نفسه وقد أصبح اليوم فقيرا فأعينوه. ثم نزل فبعث اليه بمائة  
ناقة وكتب اليه يقول

أرى الجزار يشحد مديته اذا هبت رياح بني عقيل  
طويل الباع ابلغ جعفرى كريم النفس كالسيف الصقيل  
يهش اذا الضيوف تداولته فيقرى بالبعير وبالفصيل  
وكان للبيد بنت فقال لها اجيبي الامير لاني تركت قول  
الشعر فقالت :

إذا هبت رياح بني عتيل دعونا عند هبتها الوليدا  
بأمثال الهضاب كأن قوما عليها من بني حام قعودا  
أبا وهب جزاك الله خيرا نحرناها واطعمنا الثريدا  
فعد ان الكريم له معاد وظنى في ابن عتبة ان يعودا  
فقال لها : أحسنت يا بنية لولا المسألة. فقالت : يا أبا ان  
مثل هذا لا يستحي من مسألته. ومات ليبد وله من العمر مائة  
وأربعون سنة .

( ٦ ) زهير بن أبي سلمى المزني كان شاعرا مشهوراً  
في الجاهلية من أهل نجد مات قبل البعثة بسنة ومطاع معلقته  
أمن أم أوفى<sup>(١)</sup> دمنتم تكلم بحومانة الدراج فملتئم  
ومن أبياتها الجارية مجرى الحكم قوله  
سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولا لا أبالك يسأم

( ١ ) ذكر ابن الاعرابي أن زهيرا تزوج امرأتين الاولى  
اسمها أم أوفى وهي التي ذكرها في البيت الاول من معلقته ولدت  
له أولادا ماتوا ثم تزوج غيرها وهي أم ابنه كعب وبجير فغارت من  
ذلك فطلقها ثم ندم



رأيت المنايا خبط عشواء من تصب تته ومن تخطى يعمر فيهرم  
 رأيت سفاه الشيخ لاحم بعده وان التقي بعد السفاهة يحلم  
 واعلم ما في اليوم والامس قبله ولكنتي عن علم ما في غد عمي  
 ومن لم يصانع في أمور كثيرة يضرس بأنياب ويوطأ بمنهم  
 ومن يجعل المعروف من دون عرضه يفره ومن لا يتقى الشتم يشتم  
 ومن يك ذا فضل ويخجل بفضله على قومه يستغن عنه ويدم  
 ومن هاب أسباب المنايا ينلته وان يرق أسباب السماء بسلم  
 ومن يجعل المعروف في غير أهله يكن حمده ذما عليه ويندم  
 ومن لم يدد عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لا يظلم اناس يظلم  
 ومن يقترب بحسب عدو اصدقته ومن لا يكرم نفسه لا يكرم  
 ومهما تكن عند امرى من خلية وان خالها تخفى على الناس تعلم  
 وكائن ترى من معجب لك شخصه زيادته او نقصه في التكلم  
 لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق الا صورة اللحم والدم  
 سألتنا فأعطينا وعدنا فعدتم ومن اكثر التسأل يوماسيجرم  
 ويقال انه رأى قبل موته بسنة في نومه كأنه رفع الى  
 السماء حتى كاد أن يمسه بيده ثم انقطعت الجبال فدعى بنيه

وقص عليهم رؤياه وقال لهم: انه سيكون بعدى أمر يعلو من  
 اتبعه ويفلح فخذوا بحظكم منه. ثم لم يعيش الا يسيرا حتى مات  
 فلم يحل الحول حتى بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أسلم  
 بجير بن زهير وحسن اسلامه فلامه اخوه كعب بن زهير بقوله  
 ألا بلغا عنى بجيرا رسالة فهل لك فيما قلت ويحك هل لك  
 ستمك به المأمون كأساروية فأنهك المأمون منها وعلكا  
 فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم هجو كعب له اهدر دمه  
 فكتب إليه أخوه بجير يعلمه بذلك فضاقت بكعب الارض  
 ولم يدر فيم النجاة فأتى أبا بكر فاستجاره فقال: اكره أن اجير  
 على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اهدر دمك. فأتى عمر  
 فقال مثل ذلك فأتى عليا فقال: « ادلك على امر تتجوبه: هو أن  
 تصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا انصرف فقم  
 خافه وقل مد يدك يارسول الله أبايعك فانه سيناولك يده  
 من خلفه فخذ يده فاستجره فاني ارجو أن يرحمك. » ففعل فلما  
 ناوله رسول الله يده استجاره وأنشد قصيدته التي مطلعها  
 « بانت سعاد فقلبي اليوم متبول » إلى آخرها فأجازه عليها



ببردته الشريفة . ولا يبه زهير قصائد غير المعلقة كانت تلقب  
 بالحوليات وكان ينظم الواحدة منها في أربعة أشهر ويهدبها  
 بنفسه في أربعة أشهر ويعرضها على أرباب الشعر في مثاها  
 فلا يشهرها حتى يأتي عليها حول وكان زهير منقطعا الى خاله  
 بشامة بن الغدير معجبا بشعره وكان بشامة رجلا مقعدا ليس  
 له ولد حازم الرأي كثير الادب وكان يستشيره قومه « بنو  
 غطفان » اذا أرادوا أن يغزوا واذا رجعوا قسموا له مثل ما  
 يقسمون لافضلهم فلذلك كثر ماله وكان أسعد غطفان في  
 زمانه فلما حضره الموت جعل يقسم ماله في أهل بيته وبني  
 اخوته فأتاه زهير فقال يا خاله لو قسمت لي من مالك فقال  
 له: يا ابن أختي لقد قسمت لك افضل من ذلك وأجزل. قال  
 وما هو؟ قال شعري .

(٧) عنتر بن عمرو بن معاوية بن شداد العبسي شاعر

بنى عباس وفارسهم ولد سنة ٥٢٥ مسيحية وتوفي سنة ٦١٥  
 ويقال له عنتره القوارس وبكنى بأبي المغلس<sup>(١)</sup> وكانت أمه

(١) لم يشتهر أحد من الجاهلية أو الاسلام بين عامة الناس

جارية حبشية اسدها زبية سبها أبوه في بعض مغايزه  
 ناستولدها عنتره وكان أبوه ينكره اولاً ولا يدعوهُ ابناً له  
 لكون امه جارية فلما شب وترعرع وتعلم الفروسية وصار  
 شجاعاً مشهوراً يردّ العدو وشاع ذكره بين العرب دعاه أبوه  
 ابناً له وكان عنتره يهوى ابنة عمه عبلة بنت مالك بن قراد  
 وكثيراً ما يذكرها في شعره وكان أبوها يمنعه من زواجها  
 فقام بها واشتد وجده واخيراً تزوجها بعد جهد طويل ثم  
 مات عنها مقتولاً ومطلع معلته

هل غادر الشعراء من متردم ام هل عرفت الدار بعدتوسم  
 ومنها

---

وخاصتهم اشتهار عنتره فلا تكاد ترى رجلاً ولا امرأة ولا صبياً ولا  
 ابنة سواء كان من الجهلاء أو العلماء من الفقراء أو الاغنياء الا وقد  
 عرف اسمه أو سمع شيئاً عنه وسبب اشتهاره قصته المشهورة التي لم  
 يعب أحد من عامة القراء تلاوتها أو سماعها . وهذه القصة هي عبارة  
 عن رواية تاريخية وضعت في أوائل الاسلام وغير معروف تماماً  
 واضعها ولكنهم ينسبونها الى الاصمعي « في أوائل القرن الثالث  
 للهجرة » لورود اسمه فيها بمنزلة الراوي

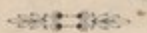


فاذا ظلمت فان ظلمي باسل مر مذاقته كطم العلقم  
 فاذا شربت ذاتي مستهلك مالي وعرضي وافر لم يكلم  
 واذا صحت فما قصر عن ندي وكما علمت شمالي وتكرمي  
 وكان عنتره مع شدة بطشه اين العريكة حلما سهل الاخلاق  
 لطيف الحاضرة رقيق الشعر لا يأخذ مأخذ الجاهلية في  
 ضخامة الالفاظ وخشونة المعاني ومن ذلك قوله في عبلة  
 يا عبيل لا أخشى الحمام وانما أخشى على عينيك وقت بكاك  
 وكانت له اليد الطولى في الحماسة ومن ذلك قوله

انى لا عجب كيف ينظر صورتي يوم القتال مبارز ويديش  
 وقوله من قصيدة

حصانى كان دلال المنايا نخاض غبارها وشرى وباعا  
 وسيفي كان في الهيجا طيبا يداوى رأس من يشكو الصداعا  
 ولو أرسلت رمحي مع جبان لكان بهييتي يلقي السباعا  
 ملأت الارض خوفا من حسامى وخصمى لم يجد فيها اتساعا  
 اذا الابطال فرت خوفا بأسى ترى الاقطار باعا أو ذراعا  
 ومن شعره أيضا

أحبك يا ظلوم وانت منى مكان الروح من جسد الجبان  
ولو أنى أقول مكان روحي خلفت عليك بادرة الطعان



وقد علق الكعبة غير تلك المعلقات السبع معلقات اخرى  
كعلاقة الأعى التي أولها  
ودع هريرة ان الركب مرتحل وهل تطيق وداعاً ايها الرجل  
ومنها

قالت هريرة لما جئت زائرها ويلي عليك وويلي منك يا رجل  
قالوا الطراد فقلنا تلك عادتنا أو تنزلون فانا معشر نزل  
وقد ذكر ياقوت في معجمه أشعار العرب مقسمة الى  
الانواع الآتية السموط والمجمهرات والمنتقيات والمذهبات  
والمرائى والمشوبات والملححات وأقدم الآداب التي انتهت  
اليها هي أمثال لقمان وهي نثر مقفى ويأتى بعدها منظومات  
شاعرين قديمين وهما عامر بن خنيس والمرقس الاصغرو من  
أشهر شعراء الجاهلية الذين نبغوا فى القرن السادس للميلاد  
غير من ذكرناهم عدى بن ربيعة المعروف بالمهلل وعدى



بن زيد وعدي بن الابرص وأميرة بن أبي الصلت ويعدونهم  
من الطبقة الاولى والشنفرى وأبو دؤاد الايادى وسلامة بن  
جندل والمثقب العبدى والبراق بن رومان وتأبط شراً  
والسموأل وعلقمة الفحل والحارث بن عباد وخداش بن زهير  
وعروة بن الورد والاسود بن يعفر وحاتم الطائى وأوس بن  
حجر ودريد بن الصمة ويعدونهم من الطبقة الثانية ولقيط  
بن زرارة وغيره ويعدونهم من الطبقة الثالثة. وقد اشتهر  
أيضاً نساء كثيرات فى الشعر والذكاء المفرط كالخنساء التى  
شهد لها النابغة فى سوق عكاظ باليد الطولى فأعجب بشعرها  
وقال لها «لولا ان هذا الاعمى أنشدنى قبلك - يعنى الاعشى -  
لفضلتك على شعراء هذا الموسم» واكثر شعرها فى مرثى  
اخويها معاوية وصخر وقد أدركت الاسلام واسلمت وتوفيت  
سنة ٢٤ هجرية

وقد اجمع علماء الشعر انه لم تكن قط امرأة قبلها ولا  
بعدها اشعر منها. وكانت شريفة الاحساس ذات نخوة  
عربية وشهامة نادرة المثال. وقد اختلف الناس فى تفاضل

الشعراء: فقال قوم أفضلهم امرؤ القيس ومنهم من قال زهير  
بن أبي سلمى وقيل عنتر بن شداد وقيل غيره وسئل الأصمعي  
من أشعر العرب فقال: عنتر إذا ركب وزهير إذا رغب  
والنابغة إذا طرب والاعشى إذا رهب وقال الفرزدق: « أن  
الشعر كان جملاً باذلاً عظيماً فنجر بجاء امرؤ القيس وأخذ  
رأسه وعمرو بن كلثوم أخذ سنامه وزهير كاهله والاعشى  
والنابغة نخديه واطرافه وليبد كركرتيه ولم يبق إلا المزارب  
والبطن فتوزعناها بيننا »

أما ما حفظ في أيامنا هذه من الأشعار البليغة فهي  
موجودة في كتب كثيرة أشهرها ما ورد في جمهرة العرب  
لابن دريد وكتاب الاغانى للاصبهاني والعقد الفريد لابن  
عبد ربه وفي كتاب الميداني نقلا عن المفضل وفي كتاب  
ادب الكاتب لابن الاثير وآخر للنويري وفي مجموعة الحماسة.  
وفي كتابي ابن الاثير والنويري ومجموعة الحماسة أشعار أخرى  
عن الحروب التي كانت بين الروم والفرس اي بين كسرى  
أنوشروان وبين جوستينيان وهي الحروب التي اشترك فيها



ملوك الحيرة وملوك غسان من العرب

عابوس العرب ومعارفهم - كان العرب لهم مع تفردهم  
 بالفصاحة والبلاغة معرفة بأوقات مطالع النجوم ومغاربها  
 وعلم بأنواء الكواكب وأمطارها حسبما ادركوه بفرط  
 العناية وطول التجربة لا احتياجهم الى معرفة ذلك في اسباب  
 المعيشة. وزعم بعضهم ان الجاهلية كانوا على جانب عظيم من  
 العلم والفلسفة وان فيثاغورس اليوناني استمد أكثر معارفه  
 منهم كما رواه الفيلسوف ملك (بورفيروس) ووافقه جماعة  
 من المتأخرين وكذلك قام بين العرب بعض أطباء كالخريث  
 ابن كلدة الثمقي: يقولون انه رحل الى أرض فارس وأخذ  
 الطب عن أهل جند يسابور وغيرها وطبب في أرض فارس  
 وحصل مالا ثم ان نفسه اشتاقت الى بلاده فرجع الى  
 الطائف ومن أقواله: «من سره البقاء - ولا بقاء - فليأكل  
 الغداء وليخفف الرداء وليقل من غشيان النساء قال بعضهم:  
 يريد بخفة الرداء أن لا يكون عليه دين.

وبالجملة فقد كانوا يعرفون من الطب ما يحتاجون إليه

في مداواة ما يلم بهم وما يعتورهم حسب حالتهم وعواندهم  
 ومجرباتهم . وفي الحقيقة إنهم كانوا ولا يزالون أقل من أهل  
 الامصار اضطراراً الى الترف وبالترعية الى الطب والتقدم في  
 علومه كما قاله ابن خلدون لاقتصارهم على أنواع بسيطة من  
 المأكل وتعودهم الجوع وجوبهم التفار تراض أجسادهم  
 ويكونون بمعزل عن استيلاء الانجزة السامة الحاوية أنواع  
 النقيعات

أما آدابهم وحكمهم فقد انترف لهم بالسبق فيها كل  
 من خالطهم أو وصل اليه كلامهم وشهد لهم بها ملوك الاعاجم  
 وحسب الانسان ترديد الطرف في حكم أكرم بن صيفي (١)

(١) تكلم اكرم يوماً بين يدي كسرى فقال: « ان أفضل الاشياء  
 أعاليها . وأعلى الرجال ملوكها . وأفضل الملوك أعمها نفعاً . وخير  
 الأزمنة أخصبها . وأفضل الخطباء أصدقها . والصدق منجاة . والكذب  
 مهواة . والشر لجاجة . والحزم مركب صعب . والعجز مركب  
 وطىء . وآفة الرأي الهوى . والعجز مفتاح الفقر . وخير الامور  
 منقبة الصبر . وحسن الظن ورطة . وسوء الظن عصمة . واصلاح  
 فساد الرعية خير من اصلاح الراعي . ومن فسدت بطانته كان



من رجال العرب ليقدرهم قدرهم

ويجمل بنا قبل اختتام هذا الكلام ان نذكر هنا حديثاً  
جري للنعمان مع كسرى وعنده وفود الروم والهند والصين  
وقد ذكر كل منهم ملوكه وبلاده فافتخر النعمان بالعرب  
وفضلهم على جميع الامم لا يستثنى فارس ولا غيرها فقال  
كسرى—واخذته غزاة الملك: «يانعمان لقد فكرت في أمر  
العرب وغيرهم من الأمم فوجدت الروم لها حظ في اجتماع  
ألقها وعظم سلطانها وكثرة مدائنها ووثيق بنيانها وان لها دينا

كالغاص بالماء . وشر البلاد بلاد لا أمير لها . وشر الملوك من  
خافه البرى . وخير الاعوان من يرعى الصعبة . وأحق الخنود من  
حسنت سيرته . ويكفيك من الزاد ما بلغك المحل . وحسبك من شر  
سماعه . والصمت حلم وقيل فاعله . البلاغه في الایجاز . من شدد  
نفر . ومن تراخى ألف . « فتعجب كسرى من حكم أكنم وأمثاله .  
ومن حكمه أيضاً : ذلوا اخلاقكم للمطالب . وقودوها الى المحامد .  
وعلموها المكارم . وصلوا من رغب اليكم وتحلوا بالجوهر يابسكم  
الحبة . ولا تعتقدوا البخل فتمعجوا الفقر . ومن حكمه قوله

كونوا جميعاً يابئاً اذا اعترى خطب ولا تتفرقوا آحادا  
تأبى القداح اذا اجتمعن تكسرا واذا افترقن تكسرت أفرادا

بين حلالها وحرامها ويرد سفيها ويقيم جاهلها ورأيت الهند  
نحو من ذلك في حكمتها وطبها مع كثرة أنهار بلادها وثمارها  
وعجيب صناعاتها وطيب اشجارها ودقيق حسابها وكثرة  
عددتها وكذلك الصين في اجتماعها وكثرة صناعات أيديها  
وفروسياتها وهمتها في آلة الحرب وصناعة الحديد وان لها  
ملكا يجمعها والترك والخزر على ما بهم من سوء الحال في  
المعاش وقلة الريف والثمار والحصون وما هو رأس عمارة الدنيا  
من المساكن والملابس لهم ملوك تضم قواصيمهم وتدبر أمورهم.  
ولم أر للعرب شيئا من خصال الخير في امر دين ولا دنيا  
ولا حزم ولا قوة ومع ان مما يدل على مهانتها وذلتها وصغر  
همتها محلتهم التي هم بها مع الوحوش المنافرة والطير الحائرة  
يقتلون اولادهم من الفاقة ويأكل بعضهم بعضاً من الحاجة  
قد خرجوا من مطاعم الدنيا ومشاربها وملابسها ولهوها  
ولذاتها فأفضل طعام ظفر به ناعمهم لحوم الابل التي يعاقها  
كثير من السباع لثقلها وسوء طعمها وخوف دائها وان  
قرى أحدهم ضيفاً عدوها مكرمة وان اطعم أكلة عدوها غنيمة



تنطق بذلك أشعارهم وتفتخر بذلك رجالهم . ما خلا هذه  
التنوخية التي أسس جدى اجتماعها وشد مملكتها ومنعها من  
عدوها فجرى لها ذلك الى يومنا هذا وان لها مع ذلك آثارا  
ولبوسا وقرى وحصونا وأمورا تشبه بعض أمور الناس : يعنى  
اليمين . ثم لا أراكم تستكينون على ما بكم من الذلة والقلّة والفاقة  
والبؤس حتى تفتخروا وتريدوا أن تنزلوا فوق مراتب الناس !  
قال النعمان : أصلح الله الملك حتى لأمة الملك منها ان يسمو  
فضلها ويعظم خطبها وتعلو درجاتها . إلا أن عندى جوابا فى كل  
ما نطق به الملك فى غير رد عليه ولا تكذيب له فان أمتى  
من غضبه نطقت به . قال كسرى قل ذانت آمن . فقال النعمان :  
«أمامتك أيها الملك ذابست تنازع فى الفضل لموضعها الذى  
هى به من عقولها وأحلامها وبسطة حكمها وبجوحة عزها  
وما أكرمت به من ولاية أبائك وولايتك . وأما الامم التى  
ذكرت فما من أمة تقرنها بالعرب الا فضلتها بعزها ومنعتها  
وحسن وجوهها وبأسها وسخاها وحكمة أسنتها وشدة  
عقولها وانفتها ووفائها فأما عزها ومنعتها فانها لم تزل

مجاورة لا بآئك الذين دوخوا البلاد ووطدوا الملك وقادوا الجند  
 ولم يطمع فيهم طامع ولم ينلهم نائل : حصونهم ظهور خيلهم  
 ومهادم الارض وسقوفهم السماء وجنتهم السيوف وعدتهم  
 الصبر إذ غيرهم من الأمم انما عزها الحجارة والطين وجزائر  
 البحور . وأما حسن وجهها وألوانها فقد يعرف فضلهم في  
 ذلك على غيرهم من الهند المنحرفة والصين المنخفة والترک المشوهة  
 والروم المتشعبة . وأما أسابها وأسابرها فليست أمة من  
 الأمم إلا وقد جهلت آباءها وأصولها وكثيراً من أولها  
 وآخرها حتى ان احدهم يسأل عن وراء ابيه دنيا فلا ينسبه  
 ولا يعرفه وليس احد من العرب إلا يسمى آباءه آباءً .  
 احاطوا بذلك احسابهم وحفظوا به انسابهم فلا يدخل رجل  
 في غير قومه ولا ينتسب الى غير نسبه ولا يدعى الى غير  
 ابيه . واما سخاؤها فان ادناهم رجلا الذي تكون عنده  
 البكرة أو الناب عليها بلاغه في حمولته وشعبه وريه فيطرقة  
 الطارق الذي يكتفي بالفلذة ويجتزى بالشرية فيعقرها له ويرضى  
 ان يخرج عن دنياه كلها فيم يكسبه حسن الأحدثه وطيب



الذكر . واما حكمه المستقر فان الله تعالى اعطاهم في  
اشعارهم ورونق كلامهم وحسنه ووزنه وقوافيه مع معرفتهم  
بالاشارة وضربهم للامثال وابلاغهم في الصفات ما ليس لشيء  
من السنة الأجناس ثم خيلهم افضل الخيل ونساؤهم اعف  
النساء . ولباسهم افضل اللباس ومعادنهم الذهب والفضة  
وحجارة جبالهم الجزع ومطاياهم التي لا يبلغ على مثلها ستمن  
ولا يقطع بمثلها بلد تفر . واما دينها وسريرتها فانهم  
متمسكون به حتى يبلغ احداهم من نسكه دينه ان لم اشهرها  
حرما وبلدا محرما وبيتا محجوبا ينسكون فيه مناسكهم ويدبحون  
فيه ذبائحهم فيلقى الرجل قاتل ابيه او اخيه وهو قادر على اخذ  
ثاره وادراك رغمه منه فيحجزه كرمه ويمنعه دينه عن تناوله  
بأذى واما وفاءها فان احداهم يحفظ اللحظة ويومئ الأيما فهي  
ولت وعدة لا يخلها الا خروج نفسه . وان احداهم ايرفع عودا  
من الارض فيكون رهنا دينه فلا يعلق رهنه ولا يخنز ذمته .  
وان احداهم ليلفه ان رجلا استجار به وعسى ان يكون غائبا عن  
داره فيصاب فلا يرضى حتى يفني تلك القبيلة التي اصابته أو

تفنى قبيلته لما اخفر من جواره. وانه ليلجأ اليهم المجرم المحدث  
من غير معرفة ولا قرابة فتكون أنفسهم دون نفسه  
وأموالهم دون ماله. وأما قولك ايها الملك « يثدون اولادهم »  
فانما يفعله بعض جهاتهم بالاناث أنفة من العار. وأما قولك  
« إن افضل طعامهم لحوم الابل على ما وصفت منها » فإنا  
تركوها مادونها إلا احتقاراً له فعمدوا الى اجلها وأفضلها  
فكانت صرا كبههم وطعامهم مع انها اكثر البهائم شحوماً  
واطيبها لحوماً وارتها البانا واكلها غائلة واحلاها مضغاً وانه  
لا شئ من اللحان يعالج بها يعالج به لحمها إلا استبان فضلها  
عليه. واما تخاربههم وأكل بعضهم بعضاً وتركهم الانقياد  
لرجل يسوسهم ويجمعهم فانما يفعل ذلك من يفعله من  
الأمم اذا آنتت من نفسها ضعفاً وتخوفت نهوض عدوها  
ايها بالزحف وانه انما يكون في المملكة العظيمة اهل بيت  
واحد يعرف فضلهم على سائر غيرهم فيلقون اليهم امورهم  
وينقادون لهم بأزمتهم. واما العرب فان ذلك كثير فيهم حتى  
لقد حاولوا أن يكونوا ملوكاً اجمعين مع انفتهم من اداء



الخراج والعشر . اما اليمن التي وصفها الملك فلما اتى جد الملك اليها الذي اتاه عند غلبة الحبش له على ملك متسق وامر مجتمع فأتاه مسلوبا طريدا مستصرخا قد تقاصر عن ايوائه وصغرفى عينه ماشيد من بنائه ولولا ما وتر به من يليه من العرب لمال الى مجال ولو وجد من يجيد الطعان ويفضرب للاحرار من غلبة العبيد الاشرار .» فعجب كسرى لما اجابه النعمان به وقال : «انك لاهل لموضعك من الرئاسة في أهل اقليمك ولما هو أفضل .» فله در النعمان على هذا الحديث وهذا الوصف فقد جمع فأوعى وخلص في كلمات وجيزات جميع صفات العرب المميزة لهم التي ذكرناها في هذا الفصل .

في الكتابة عن العرب — لا نعلم بالضبط الزمن الذي فيه استعمل الخط بين القبائل العدنانية أيام الجاهلية وانما المعلوم انه قبل الاسلام بزمن قليل عرف عندهم الخط الحيرى نسبة الى الحيرة عاصمة ملوك العراق وعلى ما جاء في أخبار العرب ان أول من استنبط الكتابة صرار بن مرة الانبارى نسبة الى الانبار<sup>(١)</sup> اخذها عن الخط المسند المعروف بالحميرى

بعد ان تصرف فيه ومن الانبار انتشرت الكتابة العربية فأخذها عنهم اهل الحيرة وتداولوها ثم قدم الحيرة حرب بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الاموي فنقل هذه الكتابة من الحيرة للحجاز بعد ان عاد لمكة. وفي رواية أخرى ان أول من كتب بالعربية من أهل اليمن قوم هود وكانت تسمى كتابتهم بالخط المسند وهو خط حمير كانوا يكتبون كل حروفه منفصلة بعضها عن بعض وكانوا يمنعون العامة من تعلمه فلا يتعلمه أحد إلا باذنه حتى تعلمه مرار المذكور واسلم بن توك وعامر بن حديره ونويرة من عرب طيء فتصرفوا فيه وسموه بخط الجزم لانه جزم أى اقتطع من خط حمير المعروف بالخط المسند ثم علموه أهل الانبار ومنهم اشتهرت الكتابة في البلاد العربية. وبعد الفتوحات الاسلامية وتمصير البصرة والكوفة عرف هذا الخط بالكوفي وكان

---

( ١ ) الانبار مدينة قديمة على الفرات بينها وبين بغداد وعشرة فراسخ وانما قيل لها الانبار لان الاكسرة كانوا يخزنون فيها المطاعم وكلمة عنبر « المستعملة الآن مأخوذة منها ومعناها « مخزن »



غفلا من الحركات والتنقيط الى أن وضع أبو الاسود الدؤلى الشكل فى أيام معاوية ووضع نصر بن عاصم النقطة افراداً وازواجاً فى أيام عبد الملك بن مروان منعاً للشكال والابهام ثم لما انتشرت العرب فى الاقطار والممالك وافتتحوها افريقية والاندلس واختط بنو العباس بغداد ترقى الخطوط للغاية ثم تقدمت الحضارة والتمدن فى الدول الاسلامية فى كل قطر وعظم الملك واتسعت دوائر العلوم وانتسخت الكتب وتنافس الكتاب فى كتابتهم وملؤا بها القصور السلطانية والخزائن الملوكية وتبارت الاقطار فى ذلك ولا زالت الخطوط آخذة فى التحسين على أساليب جديدة.

قال بعضهم ان ابن مقلة هو أول من نقل الخط الكوفى الى العربى وسطة يضرب به المثل فى الحسن لانه أحسن خطوط الدنيا وقتها كما قيل انه كتب كتاب هدنة بين المسلمين والروم فوضعه فى كنيسة قسطنطينية فكانوا يبرزونونه فى الاعياد ويجعلونه من جملة زينتهم فى أخص بيوت العبادات هذا وقد ذهب آخرون الى أنه وجدت خطوط نسخ

قبل بن مقلة وفي زمنه قبل ظهوره فقد اخبرني فضيلة الشيخ  
محمد عبده مفتي الديار المصرية حالا انه رأى خطوطا فيينا  
— عاصمة بلاد النمسا — مكتوبة سنة ٢٤ هجرية

وانه موجود بمكتبة الازهر كتاب «غريب الحديث»  
لابي عبيد مكتوب سنة ٣١١ هجرية وابن مقلة لم يشتهر الا  
سنة ٣١٤

ثم جاء بعد ابن مقلة ابن هلال وهو أبو علي الحسن بن هلال  
المعروف بابن البواب فزاد في تعريب الخط ثم جاء ياقوت  
المستعصمي وختم حسن الخط وأكمل فحسن الخط جدا في عهد  
الدولة العباسية ثم لما تضعفت خلافة بغداد وانتقلت الخلافة  
الى مصر والقاهرة انتقل الخط والكتابة والعلم اليها وسرى منها  
الى مضافاتها من البلاد التابعة لدولتها والى ما جاورها فلا زال  
الخط في جميع هذه الاماكن آخذا في الجودة الى هذا العهد  
وصار للحروف قوانين في وضعها واشكالها متعارفة بين  
الخطاطين . وأول من ضبط وجعل له قوانين معروفة علماء  
الخط من الاتراك العثمانيين واليهم انتهت جودة الخط وكماله



في الوقت الحاضر. وفي الحقيقة لا يقال ان جودة الخط الآن  
 احكم من السابق الا بالنسبة لذوق الوقت فالخط المستعمل الآن  
 في المحاضرات والانشآت بقدر درجة الانشآت والمحاورات  
 ومألف الدواوين في ذلك. وبالجملة فلسان العرب الاول  
 قد تغير واحتاج الى الاصلاح بالنحو وكذلك الخط العربي  
 قد تغير واحتاج الى الاصلاح بقوانين جديدة بخلاف اللغة  
 العربية فانها باقية على حالها وفي موضوعاتها لم تتغير الى هذا  
 العهد فلم تزل محفوظة دائرة على السنة العلوم ومعرفتها  
 ضرورية كما سبق لنا القول لاسيما لأهل الشريعة اذ مأخذ  
 الأحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة وهي لغة العرب  
 والناقلون للشريعة هم الصحابة والتابعون وهم عرب وشرح  
 مشكلات الشريعة من لغاتهم فالمحافظة على اللغة العربية من  
 أوجب الواجبات وطريق المحافظة عليها هي الكتابة وهي  
 فضيلة من الفضائل ومما يدل على فضلها قوله صلى الله عليه  
 وسلم: قيدوا العلم بالكتابة. فضلا عن أن بقاء الأمة بقاء لغتها  
 والتاريخ أكبر شاهد على ما نقول

أما الخط المسند فهو قديم العهد ولا يعلم من أثره إلا أنه خط حمير ويظن البعض أنه عن الخط الفنيقي ولعله مأخوذ عن خطوط أهل الهند القديمة لأنه كثيرا ما يشابهها وقد وجد أهل البحث من الحديثين آثار اللغة الحميرية منقوشة على عدة حجارة وعمد في جهات حضرموت وبلاد اليمن بالخط المسند المذكور وبعد مزاوله قراءته بما يقاربه من الخطوط ثبت لهم أنها لغة قديمة جدا ومن مشابهتها اللغة العربية العدنانية من جهة ولغة الحبش من جهة أخرى ولغة أهل مهرة أيضا جزموا بأنها هي لغة القبائل البائدة كعاد وثمود وطسم وجديس التي سنثبت طرفا مما وصلنا عنها من الحديث وفي رواية أخرى أن العرب الشماليين تعلموا الكتابة من أهل الشام الذين هم أقرب السريان إليهم وأن أهل الشام كانوا يستعملون اللغة السريانية في القرن الخامس أو السادس للميلاد الذي فيه بدأ العرب أن يكتبوا بالقلم الكوفي المتولد منه القلم النسخي الدارج اليوم وأن قبل القلم الكوفي كان اشتهر في اليمن من بلاد العرب قلم آخر متخذ من القلم السرياني



وذلك في الدولة المشهورة التي يقال لها الحميرية ويسمى علماء  
الفرنج هذا التلم التلم السبئي وبذلك حكم أصحاب هذا الرأي  
بأن الكتابة العربية مأخوذة من السريانية لا من اليونانية  
أو غيرها كما قال بعضهم أيضاً وبأن الحبشة في نحو ذلك  
الزمان تعلموا الكتابة من سريان الشام لان حروف تلمهم  
تشبه الحروف السريانية شها شديدا

وقد ذهب آخرون الى أن الحبش تعلموا الكتابة من  
السريان لارأسا ولكن بواسطة عرب اليمن وهم السبئيون  
والحميريون الذين جرت بينهم وبين الحبشة وقائع كثيرة في  
سالف الزمان لمجاورة بعضهم لبعض . فان قلم الحبشة شبيه  
بالقلم الحميري غاية الشبه حتى انه لما بدأ الافرنج في هذا  
القرن بالبحث عن الحجارة القديمة المكتوبة بهذا القلم الحميري  
الذي كان مجهولا لم يمكن علماءهم أن يفكوا قراءته إلا بمقابلته  
بالقلم الحبشي . وقد تطرف بعضهم فنسب اختراع الكتابة  
للسريانيين الشرقيين الذين يقال لهم الكلدان وهم الذين  
سبقوا في العمران والتمدن سائر فروع الأمة السامية وفاقوا

عليهم جميعا وقال ان الذين جلبوا صناعة الكتابة الى اليونانيين  
وعلموهم اياها كانوا سريانين بلا شك وكذلك اللاتينيون  
تعلموا الكتابة منهم وأهل هذا المذهب يقولون ان لهم أدلة  
كثيرة على اثباته ليس هذا محل ايرادها وجاء في مجلة الهلال  
الاعغر: ان أصل الكتابة المعروفة الآن في العالم المتمدن نشأ  
في وادي النيل بشكل صور وهي المعروفة بالهير وغليفية ثم  
حولها الفينيقيون الى الحروف الهجائية وعلموها لليونان في  
القرن السادس عشر قبل الميلاد والاشوريين بعد ذلك بقليل  
وعرفت بالحرف الأرامي . ومن الحرف اليوناني القديم  
تولدت جميع الخطوط الافرنجية التي يكتب بها أهالي أوروبا  
 وأمريكا وكثير من مستعمراتهما . ومن الحرف الأرامي  
تولدت الخطوط التي تكتب بها اللغات الشرقية وأكثرها  
انتشارا الخط العربي الذي يكتب به أكثر أهل آسيا  
 وإفريقية فيمتد من أقصى الهند شرقا الى أقصى بلاد مراكش  
 غربا ومن بلاد تركستان شمالا الى أداني زنجبار جنوبا .  
وانتشار الخط العربي على هذه الصورة حجة دامغة على



امتداد فتوحات العرب في صدر الاسلام . وكان العرب يكتبون على قطع العظام أو الخشب أو الاحجار أو سعف النخل وما شا كل ذلك وربما كتبوا على البردى ايضاً حتى اصطنعوا الكاغد في أوائل الدولة العباسية

صناعة العرب في الجاهلية — كان العرب في الجاهلية يعرفون الذهب والفضة والنحاس والحديد ويستعملون منها حلياً واواني ورماحاً ودروعاً وسيوفاً وأدوات أخرى كثيرة وكانوا يصنعون المآكل والمشروبات والخمور وينسجون الملابس والمنسوجات من الحرير والقطن والكتان وكانوا يغزلون خيامهم وخبائهم من صوف الشاة ووبر الابل والفسطاط من شعر المعزى والسرادق من القطن ويصطنعون البيوت من اللبن والاجر والحجارة . ويقولون إن أكثر هذه الصناعات تعلمها العرب من مجاوريهم كالفرس والهند والمصريين كما نقلوا عنهم أيضاً السمور والسنجاب والقائم والفنك والدلق والديباج والسندس والاستبرق ودليلهم على ذلك أن أغلب هذه الاسماء اعجمي على ما أثبتته أئمة اللغة وليس

بدعا ان يكون قد علق في بعض الاقطار المتحضرة شئ من  
الصناعات المأخوذة عن الجوار . وكانوا يصيغون حليا من  
اللؤلؤ والمرجان والاحجار الكريمة المعروفة عندهم وكذلك  
كان عندهم من الصناعات ما يفى بحاجياتهم كلها

**التجارة في الجاهلية** - بقى علينا ان نبحث في تجارة القوم  
وشأنهم في الحضارة فانا نعلم من التاريخ ان تجار العرب كانوا  
يتجرون مع مصر والحبشة والهند وفارس وفينيقية على أن شأن  
العرب من البداوة البحتة واقتصار معظمهم على اتجاع العيش  
الفطري يكاد ينقض تلك الرواية التاريخية لولا اتفاق المؤرخين  
عليها مع اختلافهم جنسا ولغة. أما اللغة العربية فتصدق على  
مؤدّي التاريخ لانها تحوى كثيرا من الكلمات العجمية وتلك  
لا يتأتى دخولها بين قوم إلا اذا واصت بهم بالتجارة وحسبك  
اثباتا لذلك ان معظم تلك الكلمات تدل على شئ لم يكن ليعرف  
في العربية لولا الاتجار به . مثال ذلك الابريق والميزاب  
وامثالها فانها دخلت البلاد من النرس وكذلك النمسطاط  
والقرميد واشباهها اخذت عن اليونانية ولم نذكر الا كلمتين



من كل من اللغتين اكتفاء على ان في كتب اللغة من المعربات  
الشيء الكثير  
أما العروض التجارية التي راجت سوقها بين العرب فقد  
ذكرها بعض المؤرخين حيث اعتبر ذلك بما ورد في سفر  
التكوين ص ٢٧ عدد ٢٥ من قوله « واذا قافلة اسماعيليين  
مقبلة من صلعاد وجمالهم كثر اء وبلسانا ولا ذنا ذاهبين  
لينزلوا بها مصر » وبما ورد عن بليني المؤرخ الروماني المشهور  
من أن العرب كانوا يأخذون من مصر المنسوجات الكتانية  
ويجيئون اليها بحاصلات بلادهم. ويؤخذ مما قاله ثقات المؤرخين  
ان القبائل الساكنة سواحل البحر الاحمر كانوا من اشهر  
التجار وان قوافل البلاد العربية كانت تنزل في العريش وان  
من أهم العروض التجارية عند العرب الطيوب والذهب  
والحجارة الثمينة والقرفة والبن والصمغ واللبان والصبر والمر  
والقفل والحناء والعود وغيرها من العقاقير وانهم يستجلبون  
الكتان والقطن وبعض المعادن والرز والزيت والسكر الى  
غير ذلك وقيل ان الذهب كان وافراً جداً عند العرب حتى

ان السبئيين كانوا يموهون به جدران دورهم وأبوابها وسقوفها  
وكذلك الفضة والعقيق والأؤلؤ والمرجان ومعادن الرصاص  
وكانت مكة من اعظم مستودعات تجارة العرب تفد اليها  
الوفود للتجار والبيع والشراء كما كانوا يؤمنونها للحج والعبادة  
والتعاكظ وكذلك صنعاء اليمن كانت مركزا تجارياً مهماً في  
بلاد العرب

نقود العرب ومسكوكاتهم وموازينهم — كان العرب  
أولاً على نهج سائر الفطريين أى ان تجارتهم بدأت بالمقايضة  
سلعة بسلعة ثم تدرجت الى الاقتصار على ثمن مسمى ولسنا  
على بينة من شأن ذلك الثمن قبل ظهور النقدين الكريمين  
أى الذهب والفضة فلما وجدنا شرع القوم يتعاملون بهما  
وزنا أى انهم لم يكونوا قد ضربوا السكة ولا اقتبسوها بل  
أخذوا عن الجوار التعامل بالوزن باعتبار الدائق — وزن حبة من  
الحنطة — والدرهم — وزن خمسين دانقاً — والدينار — وزن مثقال  
غير ان المعاملة بالوزن لم تكن ذات أمد طويل لانهم استعوضوها  
بالسكة ولا يعرف أى النقد كان قديماً ولئن ذكر في كتب



اللغة ان الفلوس اسم معاملة من النحاس قديمة العهد قليلة القيمة ويخطر لنا ان يقوم ظلوا يتعاملون بالسكة النحاسية زمناً طويلاً أى حتى دانايم الروم وعاملوهم لانه ورد في تاريخ المشرق وآثاره ما يستدل منه على ان ملوك البرثيين لم يضربوا من السكة الا النفضة ومثل ذلك فعل الفرس في عهد بنى ساسان فانهم لم يضربوا من الذهب الا بضع قطع لم يقصدوا بها ان تكون سكة تجارية وأما الذهب والفضة فكانا يعلوان ويهبطان بمثابة العروض التجارية

وجاء في كتاب النقود القديمة والاسلامية للمقريزى ان النقود التي كانت للناس على وجه الدهر على نوعين: السوداء الوافية والطبرية العتية. وهما غالب ما كان البشر يتعاملون به فالوافية وهي البغلية هي دراهم فارس — الدرهم وزنه زنة المثلقال الذهب — والدرهم الجواز تنقص في العشرة ثلاثة فكل سبعة بغلية عشرة بالجواز وكان لهم ايضاً دراهم تسمى جوراقية وكانت نقود العرب في الجاهلية الذهب والفضة لاغير ترد اليها من الممالك دنائير الذهب قيصرية من قبل الروم ودرهم

فضة على نوعين سوداء وافية وطبرية عتاء وكان وزن الدراهم  
والدينار في الجاهلية مثل وزنها في الاسلام مرتين ويسمى  
المثال من الفضة درهما ومن الذهب ديناراً. وكانوا يتبايعون  
بأوزان اصطالحوا عليها فيما بينهم وهو الرطل الذي هو اثنتا عشرة  
أوقية والاقوية هي أربعون درهماً فيكون الرطل ثمانين  
واربعمئة درهم والنص وهو نصف الاوقية حوت صاده  
شينا فتيل نس وهو عشرون درهماً والنواة وهي خمسة دراهم  
والدرهم الطبري ثمانية دوانيق والدرهم البغلي أربعة وقيل بالعكس  
والدرهم الجراقي أربعة دوانيق ونصف والدانق ثمان حبات  
وخمسة حبة من حبات الشعير المتوسطة التي لم تقشر وقد قطع  
من طرفها ما امتد وكان الدينار يسمى لوزنه ديناراً وانما هو  
تبر ويسمى الدرهم لوزنه درهماً وانما هو تبر وكانت زنة كل  
عشرة دراهم ستة مثاقيل والمثال زنة اثنين وعشرين قيراطاً  
إلا حبة وهو ايضاً بزنة اثنتين وسبعين حبة شعير مما تقدم  
ذكره

وقيل ان المثال منذ وضع لم يختلف في جاهلية ولا اسلام



ويقال ان الذي اخترع الوزن في الدهر الاول بدأه بوضع  
المثقال أولا فجعله ستين حبة زنة الحبة مائة من حب الخردل  
البرى المعتدل ثم ضرب صنجة بزنة مائة من حب الخردل  
وجعل بوزنها مع المائة حبة صنجة ثانية ثم ثالثة حتى بلغ  
مجموع الصنوج خمس صنجات فكانت صنجته نصف سدس  
مثقال ثم أضعف وزنها حتى صارت ثلث مثقال فركب منها  
نصف مثقال ثم مثقالا وعشرة وفوق ذلك فعلى هذا تكون  
زنة المثقال الواحد ستة آلاف حبة . ولما بعث الله نبينا محمدا  
صلى الله عليه وسلم أقر أهل مكة على ذلك كله وقال: الميزان  
ميزان أهل مكة . وفي رواية ميزان المدينة . اهـ

١٣٧ - ١٣٨

## ﴿ الفصل الثاني ﴾

## طبقة العرب البائدة

عاد — نمود — طسم — جدیس و غیرهم

یریدون بالعرب البائدة كما قدمنا القبائل التي هلكت  
واندثرت أخبارها قبل الاسلام فهي عندهم تسع : عاد و نمود  
و طسم و جدیس و أمیم و عییل و عملیق و جرهم و جاسم و أشهرها  
الاربعة الاولى و أما أصل هذه القبائل فالتوراة لا تعرض  
لذكره و قد حاول بعض مفسريها تطبيق بعض الاسماء  
الواردة هناك على بعض اسمائها فلم يستطيعوا ذلك إلا بتكلف  
و تساهل فأراد بعضهم ان يجعل جرهما متخلفة عن هدورام  
بن يقطان و عادا متخلفة عن عادة امرأة عيسو و قس على ذلك  
مما لا يخرج عن حد الوهم على ان مطابقة الاسماء وحدها لا  
تؤيد قولاً ولا تثبت أصلاً أما عملیق فانها وردت في التوراة  
صريحاً و تدل على قبيلة الجبارة و الارقمة انما سمو بذلك نسبة  
الى اسماء ملوكهم فقد كان الملك منهم يسمى ارقم على أن قدماء



الجغرافيين ومنهم استرابون وبطليموس وغيرها ذكروا في كلامهم عن جزيرة العرب أسماء قبائل يمكن ردها الى بعض هذه القبائل بسهولة مثل ( Thamudini ) « ثموديني » فانها تدل على ثمود ويؤيد ذلك ان بطليموس جعل مساكنها على حدود بلاد العرب الصحرية و ( Jolisitai ) « جوليسيتي » تدل على جديس بتكلف والغالب ان أصلها بالبدال بدل اللام وهذان الحرفان متشابهان الشكل في اليونانية. وبناء على غموض أصلهم وطموس أخبارهم وسكوت التوراة عنهم تكاثرت الظنون وتضاربت الآراء فيهم فذهب كل من المؤرخين المتأخرين مذهبا خالف فيه الآخرون فزعم كوسين دي برسفال ان معظم العرب البائدة من نسل حام وكذلك العالم الفرنساوي ديربلوت أخذ بهذا الظن في كتابه الذي نشره في اواخر القرن السابع عشر الميلادي وسماه المكتبة الشرقية وكذلك المؤرخ رينان. وظن آخرون انهم من نسل قحطان وزعم غيرهم انهم من نسل ارام بن سام وأقر جماعة بغموض ذلك الاصل واشكاله ولم يتكلموا في شأنه أما مؤرخو العرب

فيقولون ان العرب البائدة من نسل سام وذكروا ان بعض تلك القبائل ترجع الى لاد بن سام وهم يسمونه لاوذ وبعضها يرجع الى ارام بن سام ويسمونه ارم . وانذكر طرفاً من ذكر القبائل الاربعة التي وصلتنا أخبارها من القرآن الشريف أو من أشعار العرب فذتول :

قوم عاد — ان عادا الذي نسبت اليه أمته هو إرم بن سام ابن نوح وكان قومه في نهاية من طول الاجسام وعظمتها وكانوا أشد الناس بطشاً ومواطنهم ببلاد الاحقاف شيدوا بها أبنية شاهقة مما يدل على حضارتهم ومدنيتهم ثم فسقوا وبطروا بأنهم الله عليهم وأشركوا به فأرسل اليهم أخاهم هودا نبيا ورسولا فوعظهم وخوفهم من عذاب الله ودعاهم للتوحيد فلم يؤمن به الا التليل . قال الله تعالى : « والى عاد أخاهم هودا . قال : يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون . قال الملأ الذين كفروا من قومه : إنا لنراك في سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين . قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين أبلغكم رسالة ربي وأنا لكم ناصح



أمين أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم؟  
 واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق  
 بسطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون. قالوا: أجبثنا لنعبد  
 الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا ذاتنا بما تعبدنا ان كنت  
 من الصادقين. قال: قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب  
 اتجادلوتني في أسماء سميتوهما أتم وآباؤكم ما أنزل الله بها  
 من سلطان؟ فانتظروا اني معكم من المنتظرين. فأنجيناه والذين  
 معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا  
 مؤمنين « بأن سخر عليهم ريحاً سبع ليال وثمانية أيام حسوما  
 فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية وقال أيضاً:  
 « ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها  
 في البلاد وحمود الذين جابوا الصخر بالواد وفرعون ذي الاوتاد  
 الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك  
 سوط عذاب ان ربك لبالمرصاد » وقال تعالى: « نأما عاد  
 فاستكبروا في الارض بغير حق وقالوا من أشد منا قوة؛ أولم  
 يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة! »

وبقى من آمن بهود من قوم عاد متصلا ببلاد اليمن الى  
 أن غلبهم عليهم ايعرب بن قحطان وطردهم منها فنزلوا بجبال الشحر  
 كما سيجيء. والى عاد تنسب العرب المباني الشاهقة التي توجد  
 بقاياها وآثارها في جنوب جزيرة العرب ويقولون ان من بقى  
 من قوم هود حكم فيهم من بعده رجل ممن آمن به اسمه لقمان  
 مدة طويلة وأقاموا بالقرب من سبأ وبنو اسد العرم (١)

( ١ ) العرم كان سدا يعترض به الوادى لحبس المياه مبنياً من  
 القدم حسب بعض الروايات وقيل بناه بنو عاد في واد من أودية  
 بلاد اليمن بالقرب من مأرب ولم تزل آثاره الى الآن والقصد منه  
 حبس الماء في قسم من الوادى ثم تفريقه على جهتيه وورد أنه قبل  
 حادثة السيل التي سيأتي ذكرها رأى عمرو مزريقاء بن عامر بن  
 حارثة— وهو ماء السماء جد الاوس والخزرج— في منامه سيل العرم  
 فهاب ما رأى وأشفق من الهلكة فأمر رجلا من بنيه اذا هو جلس  
 في المجلس ان ينازعه الحديث ثم يسبه ويلطمه ففعل ذلك فقام عمرو  
 كهيفة المنضب فخلف ليقتلن ابنه ذلك فلما سمع قومه قوله قادموا  
 اليه فكلموه فقال: «أما اذا تركته لكم فاني لا أسكن بأرض لطمت بها  
 فمن شاء منكم فليتبع منى مالى» وإنما فعل ذلك حتى يبيع ماله خوفا  
 مما رأى فلما سمعوا قوله قالوا اغتموا غضبة عمرو بن عامر فابتاعوا  
 ماله فلما صار ثمنه في يده تجهز وأخبر الناس بالسيل فلم يحفل أكثرهم



الى ان تغلب عليهم يعرب فبادوا في سنة ٧٥٠ تقريباً قبل المسيح  
على مارواه البعض والارجح بل الاصح أنه قبل ذلك بكثير  
قوم ثمود — كان ملك ثمود بين الشام والحجاز وبيوتهم  
الى وقتنا هذا منحوتة في الجبال بأبواب صغار ومساكنهم

بخبره فعند ذلك سير بنيه وأزلهم وأقام من أراد الله ان يصيبه بالسيل  
وجمع عمرو سائر بنيه وقال: «لهم يا بني انى علمت انكم ستفارقون من  
منزلكم هذا بعدى فمن كان منكم ذا حمل مغن وهم مدن وقرية  
وشن فيلحق بأرض شن « ناحية بالسراة وهى الجبال المتصل بعضها  
ببعض بين تهامة واليمن « فزها ازد شنودة. ومن كان ذا فاقة وفقر  
وصبر على أزمات الدهر فيلحق ببطن مر « من نواحي مكة عنده  
يجتمع واديا النخلتين فيصيران وادياً واحداً « فسكنته خزاعة .  
ومن كان منكم يريد الحمر والخمير والامر والتأخير والديباج والحرير  
فيلحق ببصرى وعوير « من أرض الشام « فسكنتها غسان . ومن  
كان منكم ذا هم بعيد وحمل شديد ومزاد حديد فيلحق بقصر عمان  
الجديد فنزله أزد عمان ومن كان يريد الراسخات فى الوحل المطعمات  
فى المحل فيلحق بيثرب ذات النخل فتصدها الاوس والخزرج فنزلوها  
وكان فيهم من قبلهم اليهود. وقد اختلف فى زمن وقوع هذه الحادثة  
اختلافاً كثيراً ويظهر أن أصحها أنها وقعت فى القرن الاول أو الثانى  
بعد الميلاد

على قدر مساكن أهل عصرنا وآثارهم بادية وذلك بطريق  
الحاج لمن ورد من الشام بمكان معروف بالحجر وكانوا في  
أرغد عيش فكفروا وعثوا في الأرض مفسدين فبأوبغضب  
من الله وعذاب أليم ولما مر النبي صلى الله عليه وسلم على  
مساكنهم قال لأصحابه: « لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا  
أنفسهم الا وأتم باكون: أن يصيبكم ما أصاب هؤلاء التوم »  
ولما طغوا ارسل الله لهم صالحا نبيا ورسولا فوعظهم ودعاهم  
للتوحيد فلم يجبه منهم الا قليل مستضعفون وقالوا « يا صالح  
قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أتتهنا أن نعبد ما يعبد آباؤنا  
وانا في شك مما تدعونا اليه مريب » ثم ان كفارهم طلبوا  
منه أن يأتيهم بآية فجاءهم بآية الناقة المذكور تفصيلها في القرآن  
فعتروها ولم يؤمنوا ذأهاكهم الله بعد ثلاثة أيام بصيحة من السماء  
فيها صوت كل صاءة ففتة طمعت قلوبهم فأصبحوا في ديارهم جائعين  
وسار صالح الى فلسطين ثم انتقل الى الحجاز يعبد الله فيمن  
بقي من قومه المؤمنين ومات بمكة ودفن بالحجر قال الله تعالى  
« كذبت ثمود بطغواها اذا انبعث أشقاها فقال لهم رسول



الله : ناقة الله وسقياها فكذبوه وعقروها فدمدم عليهم ربهم  
بذنبهم فسواها ولا يخاف عقباها » وقال أيضاً « والى ثمود  
أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد  
جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل  
في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم واذكروا  
إذ جعلكم خلقاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض تتخذون  
من سهولها قصورا وتتحتون الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله  
ولا تعثوا في الأرض مفسدين قال الملأ الذين استكبروا من  
قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحا مرسل  
من ربه قالوا انا بما أرسل به مؤمنون قال الذين استكبروا إنا  
بالذي آمنتم به كافرون فعثروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم  
وقالوا يا صالح ائنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين فأخذتهم  
الرجفة فأصبحوا في ديارهم جاثمين فتولى عنهم وقال يا قوم  
لقد ابغىتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون  
الناصحين » وقال جل جلاله « ولقد أرسلنا الى ثمود أخاهم  
صالحا أن اعبدوا الله فاذا هم فريقان يختصمون قال: يا قوم لم

تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لعلكم  
 ترحمون. قالوا أطيننا بك وبمن معك. قال طائركم عند الله بل  
 أتم قوم تفتنون. وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في  
 الارض ولا يصالحون قالوا تقاسموا بالله لنبيته وأهله ثم  
 لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله وأنا لصادقون. ومكروا  
 مكراً ومكرونا مكراً وهم لا يشعرون. فانظر كيف كان عاقبة  
 مكروهم: أنا دمرناهم وقومهم اجمعين فتلك بيوتهم خاوية بما  
 ظلموا: ان في ذلك لآية لقوم يعلمون وأنجينا الذين آمنوا  
 وكانوا يتقون»

طسم وهريس — كانت مساكن هاتين القبيلتين في  
 اليمامة والملك عليهم من طسم واستمروا على ذلك مدة من  
 الزمان حتى انتهى الملك من طسم الى رجل غشوم يقال له  
 عملاق وكان ظلو ما سام جديساً سائر أنواع القهر والغلبة  
 زمنا طويلا. ومن منكراته أنه أمر أن لا تزف بكر من  
 جديس الى بعلها حتى يدخل هو عليها ويفض بكارتها قبل  
 زوجها « كما كانت هذه العادة جارية بالبلاد الاوروبية لغاية



القرن العاشر المسيحي» (١) فلقوا من ذلك ذلا طويلا وبلاء  
عظيما ولم تزل حالتهم على ذلك حتى تزوجت امرأة من جديس  
يقال لها عفيرة وهي أخت الاسود بن غفار رئيس جديس  
فلما كان ليلة زفافها الى زوجها انطلقوا بها الى عملوق الملك  
حسب العادة ومعها القينات يغنين ويقلن

ابدئي بعملوق وقومي فاركي وبادري الصبح بأمر معجب  
فما ل بكر بعدكم من مذهب

فلما دخلت عفيرة على عملوق افتضها وخلي سبيلها فخرجت  
على قومها في دماها شاقة جيبها من أمامها ومن خلفها  
وهي تقول

لا أحد أذل من جديس أهكذا يفعل بالعروس  
وقالت تحرض قومها من جديس على طسم وأبت ان  
تمضي الى بيت بعلمها

أيصلح ما يؤتى الى فتياتكم وأتم رجال فيكم عدد النمل  
وتصبح تمشي في الدماء عفيرة جهارا وزفت في النساء الى بعلم

(١) انظر كلمة droit de jambage في قاموس Poittevin

فلو أننا كنا رجالا وكنتم نساء لكاننا لا نقر لذا الفعل  
 فموتوا كراما أو أميتوا عدوكم وأورروا النار الحرب بالحطب الجزل  
 والا نخلوا بطنها وتحملوا الى بلد قفر وموتوا من الهزل  
 فمليين خير من مقام على الاذى وللموت خير من مقام على الذل  
 وان أتم لم تفضبوا بعد هذه فكونوا نساء لا تعيب من الكحل  
 ودونكم طيب النساء فانما خلقتن لاثواب العروس وللغسل  
 فبعدا وسحقا للذي ليس دافعا ويختال يمشى بيننا مشية الفحل  
 فلما سمع القوم ذلك وأخوها الاسود معهم وقد عاينوا  
 ما هي فيه شبت في قلبه نار الغيرة والحمية وكان سيدا مطاعاً  
 في قومه الذين كانوا هم أيضاً ملوا الذل والجور ولا يخفى أن  
 الشدة والظلم يولدان في الافراد المتفرقة حب التآلف والاتحاد  
 ويوقدان في أفئدة الامم المقهورة المغلوبة نار الانتقام ويحملان  
 على النزوع لطلب الاستقلال والحرية ورفع الضير  
 فلا يقيم على ضيم يراد به الا الاذلان غير الحى والوئد  
 نعم قد توجد ظروف قهر توجب الامثال والطاعة  
 ولكن اذا بلغ السيل الربى وطفح الآناء مالت القلوب الى



الالفة وتاقت للتخلص من شدائد الملهمات وأجمعت على الاتحاد  
 قلبا وقالبا وعمدت الى الفعل لما فيه الحثف أو الخلاص بالمرّة  
 وكان الاسود يعلم من قومه الشعور بمثل هذا الاحساس فظن  
 ان الفرصة مناسبة للتخلص من نير حكم طسم الجائر وحينئذ  
 الظاهر فجمعهم وقال لهم: «يامعشر جديس قد رأيتم ما نحن فيه  
 من الذل والعار الذي ينبغي أن تعافه الكلاب وأن هؤلاء  
 التوم ليسوا بأعز منكم في داركم الا بملك صاحبهم وتغلبه  
 وقهره ولولا عجزنا لما كان فينا فأطيعوني لتناولوا عز الدهر.»  
 فقالوا الى م تشير علينا لتقتفيه ولا تقف لك فيه. قال: نصنع  
 للملك وقومه طعاما ونجعله بظاهر البلد وندفن سيوفنا في  
 الرمل وندعوهم الى أكل الطعام فاذا جاؤا أعملنا سيوفنا فيهم  
 وأفينناهم عن آخرهم. وكان كذلك فانه لما حضر الملك في  
 خواصه من طسم أفنوهم بالطريقة المتقدمة ولم يفلت منهم الا  
 رجل واحد يدعى رباح بن مرة فأتى حسان بن تبع ملك  
 اليمن اذ ذاك واستنصره وشكا ما فعله جديس بملكهم فأجابه  
 حسان ونهض معه بقومه قاصدين جديسا للاخذ بثأر طسم

فلما كانوا على ثلاثة مراحل من منازل القوم قال لهم رباح: ان  
 لي اختا مزوجة في جديس وانها تبصر الراكب من ثلاث  
 مراحل واخاف ان تبصركم ذلياًخذ كل رجل منكم بشجرة  
 صغيرة فيجعلها في يده ويسير خلفها. ففعلوا وقد ابصرت بهم  
 زرقاء اليمامة - اخت رباح - فقالت لقوم جديس: لقد سار اليكم  
 الشجر. فقالوا لها ما ذلك؟ قالت: اشجار تسير ووراءها شيء  
 كثير واني لاري رجلا من وراء شجرة ينهش كتفاؤ  
 يخصف نعلا. فكذبوها وغفلوا عن أخذ أهبة الحرب  
 فانشأت تقول

اني اري شجرا من خلفها بشر فكيف تجتمع الاشجار والبشر  
 ثوروا باجمعكم في وجه اولهم فان ذلك منكم فاعلموا ظفر  
 فلم يسمعوا لها كلاما وعدوه حديث خرافة حتى فاجأهم  
 حسان وقومه ووثب عليهم واستباحهم قتلا وسبي نساءهم  
 وصبيانهم وابداهم وخرّب ديارهم وحصونهم وهرب الاسود  
 بن غفار فنزل بجبل طيء حتى قضى فيها نحبه ولم يعقب. ولما  
 فرغ حسان من حربه لتلك القبيلة طلب زرقاء اليمامة اخت



رباح وامر بقاع عينها فلما قلعت وجد بها عروقا سودا زعمت  
 ان ذلك من كثرة اکتحالها بالاثمد وخلي سبيلها ولم تقتل  
 وكان بهذا الموضع صنوف الشجر والاعناب بجذائق ملتنة  
 وقصور مصطفة فباد الله هذه الاشياء وأهلها وهكذا بادت  
 الطبقة البائدة بظلم أهلها وافسادهم واثمهم وعدوانهم ولا غرو  
 فالظلم مرتعه وخيم ولا تدوم معه دولة

الشر مصراع له سطوة يستنزل الجبار عن عرشه  
 وأنت ان لم ترج أو تتقي كاليت مجولا على نعشه  
 لا تبش الشر فتبلى به ذقما تسلم من نبشه  
 اذا طفى الكبش بلحم الكلى أدرج رأس الكبش في كرشه  
 ونبش الموتي له ساعة نأخذه أنبش من نبشه  
 لله في قدرته خاتم تجرى المقادير على نقشه  
 وكما استحق طسم الهلاك لظلمهم استحقته جديس  
 أيضا لغفلتهم وعدم تدبرهم فكانهم طمس على سمعهم  
 وبصرهم فلم يقبلوا من الزرقاء نصحا ولم يستمعوا لها قولا فما  
 لبثوا ان حل بهم الهلاك من كل صوب وبادوا . وقال زوج

الزرقاء — وكانت تلقب بحذام —  
ولولا المزعجات من الليالي لما ترك القطاطيب المنام  
اذا قالت حذام فصدقوها فان القول ما قالت حذام  
ولكن ماذا يفيد الندم وقد زلت القدم فسبحان من  
يرث الارض ومن عليها  
وأما بقية القبائل البائدة فمنها اميم: سكنت بادية ابار زمنا  
ويحد هذه البادية عمان من الشرق ومهرة او الشحر من  
الجنوب والاحقاف من الغرب واليمامة من الشمال . وعييل:  
سكنت موضع يثرب ثم اخرجهم منها العماليق فنزلوا موضع  
الحجفة بين مكة والمدينة . وعماليق وهي قبائل عديدة عرفت  
بالعماقة سكن بعضها ارض الحجاز وتهامة وهي قبائل بني ليف  
وبني سعد وبني مطر وبني الارق وبني عبد ضخم وسكن  
بعضها نجد وهي قبائل بديل وغفار وسكن بعضها البلاد  
الصخرية ( Arabie Pétrée ) في شمالي جزيرة العرب وهي  
قبيلة بني هوامر بن عمليق وسكن بعضها في عمان وهي جاسم  
المتقدم ذكرها في أول هذا الفصل وسكن آخرون في تيماء



والحجاز وهم بنو الارقم وسكن آخرون في فلسطين وجوارها  
وهم عمالة التوراة يقال لهم الجابرة ومنهم جليات المشهور  
وأما جرهم فمنها قبيلتان: جرهم الاولى يقولون انها كانت  
على عهد عاد فبادت واندرست اخبارها وكان لسانها العبرانية  
وأما الثانية فسكنت حوالى مكة والحجاز ومنهم تزوج اسماعيل  
عليه السلام كما سيجيء وبالجملة فان العرب البائدة معظمهم من  
العمالة من نسل لاوذ أو لود بن سام وبعضهم من نسل  
أرم بن سام وقد خرجوا من بين النهرين قبل زمن ابراهيم  
عليه السلام وأقاموا في اعلى جزيرة العرب وتفرقوا فيها  
جنوبا وغربا وما بينهما ومما لا يحسن التفاضل عنه ان العرب  
البائدة يسمون ايضا في بعض كتب التواريخ العرب العاربة.  
ذكر بن خلدون وغيره انهم سموا بذلك من الرساخة في  
العروبة كما يقال ليل أليل أو بمعنى الفاعلية للعروبة ولكن  
الطبرى يقول ان عمليق جد العمالة يسمى « عريب » فلعل  
العرب البائدة سموا اولاً عريبه ثم عاربه .

## ﴿ الفصل الثالث ﴾

( طبقة العرب النباوية )

## العرب المتعربة

تمهيد — ملوك اليمن قبل سيل العرم . اليمن بعده . استيلاء الحبشة  
على اليمن — ملك الحبشة على اليمن . استيلاء الفرس على اليمن — مملكة  
العراق وملوك الحيرة من سنة ٢١٠ لسنة ٦٣٤ مسيحية — ملوك بني  
عسان — ملوك كندة — ملوك متزقون بجزيرة العرب .

تمهيد — سبق القول ان عرب هذه الطبقة ترجع كلها  
الى قحطان والى عدنان ولد اسماعيل عليه السلام وان كلا من  
قحطان وعدنان كما انهم متحدون في النسب متحدون في  
الطبائع والعادات اما تاريخهم فينتسم الى عصرين عظيمين  
اولهما تاريخ بلادهم واكثره مأخوذ عما يروى من اعمال  
ابطالهم وثانيهما تاريخ الامة العربية في بلادها وفي غيرها مما  
حصل فتحه على ايديها وما استوطنته من البلاد التي اُسست  
فيها ممالكها العظيمة فهو لذلك بمقام من الالهية في تاريخ  
الامم والحد الفاصل بين هذين العصرين العظيمين هو بدء



البعثة النبوية المحمدية

ولنبداً بالقحطانيين من هذه الطبقة وهم العرب العاربة  
أو المتعربة حسبما يسميهم بعض المؤرخين وقد سموا بذلك  
لا تخاذهم اللسان العربي عن الطبقة البائدة التي يسميها بعضهم  
كما سبق القول العرب العاربة فقد جاؤا جزيرة العرب والعرب  
البائدة في ابان سطوتهم فتضوا زمنا طويلا تحت حياطتهم  
وكان بنو قحطان يتكلمون باللسان الكلداني وهو لسان  
اهل العراق الاصليين فتعلموا العربي من العرب العاربة .  
والقحطانية سكنوا جنوبي بلاد العرب خصوصاً اليمن ويسميهم  
ابن خلدون وغيره باليمين السبئية . ويتبع القحطانية عرب  
الحيرة و غسان وكندة والنبط والاوز والحزرج وغيرهم  
وسياتى ذكرهم فيما بعد . ولدولة اليمن دوران مهمان ينتهي  
الاول بسيل العرم وهو سيل هدم السد السابق الذي ورد  
ذكره في القرآن الشريف ويتخلل الدور الثاني انتقال الملك  
من ملوك اليمن للعبشة ثم للفرس ثم للاسلام  
ملوك اليمن قبل سيل العرم - اول من ملك منهم

قحطان بن عابر جد العرب العاربة  
 وسبق لنا القول عند ذكر قوم عاد من الطبقة البائدة  
 انه قد بقي منهم بقية تغلب عليها بنو قحطان المذكور وطردهم  
 الى جبال الشحر وكان بنو قحطان نزولا ببلاد اليمن ولما مات  
 قحطان ملك ابنه يعرب اليمن وتغلب على الحجاز وولى أخاه  
 جرهما عليها وبنو جرهم المذكور هم الذين صاهروا اسماعيل  
 عليه السلام وكان منهم العرب المستعربة كما سيجيء ذكر  
 ذلك في الباب الثاني. وكذلك ولى أولاده على الشحر وعمان  
 وفي عهده عظم شأن اليمن واتسع نطاقه وهو أول من حياه قومه  
 بتحية الملك — وهي آيت اللعن — وكان الجاهلية لا يخاطبون  
 غير الملك بهذه التحية حتى أن احدهم اذا تولى الامارة والملك  
 قيل فلان نال التحية. ومعنى آيت اللعن أى آيت أن تفعل  
 فعلا تلعن عليه. ويعرب المذكور هو أول من اختط المدن في  
 بلاد العرب ومن بنيه التبابعة — ملوك اليمن — والنساسنة — ولاة  
 الروم على الشام — والمناذرة — ولاة الفرس على الحيرة — وقيل ان  
 يعرب المذكور هو أول من نطق بالعربية وكان من الفصاحة



والبلاغة بمكان وهو الذي قال عنه حسان بن ثابت  
 تعلمتم من منطق الشيخ يعرب أينا فصرتم معربين ذوى نفر  
 وكنتم تديما ما لكم غير عجمة كلام وكنتم كالبهائم في القفر  
 وقيل انه لما حضر يعرب الوفاة دعا بنيه ووصاهم بقول  
 كله حكم وآيات باهرات تدل على كرم اخلاقه وسعة اطلاعه  
 وسياسته في ملكه وهو « اوصيكم يا بنى بحسن السيرة  
 والسلوك بين الرعية وأن تعلموا العلم وتعملوا به واتركوا  
 الحسد عنكم ولا تلتفتوا اليه فانه داعية القطيعة بينكم وتجنبوا  
 الشر وأهله فان الشر جالب للشر وانصفوا الناس من أنفسكم  
 فانهم ينصفونكم من أنفسهم واجتنبوا الكبرياء فانها تبعد  
 قلوب الرجال عنكم وعليكم بالتواضع فانه يقربكم من الناس  
 ويحببكم اليهم واذا استشاركم احد فأشيروا عليه بما تشيرون  
 به على أنفسكم في مثل ما استشاركم فيه فانها امانة قد ألقاها  
 في اعناقكم » تلك وصية جمعت من آداب السياسة والحكم  
 في كلمات صغيرة ما لو تمسكت به أمة ما لحقها ضيم ولا  
 اندرست لها معالم ولا هوت لها دولة وهي توافق كل زمان

ومكان وما أحوجنا نحن معشر الشرقيين الآن لاتباع هذه  
النصائح والعمل بموجبها خصوصاً ونحن في زمن فضلا عن اننا  
فيه متفرقون متماطعون نرى الايدي الاجنبية تعمل بكل  
جهد ضد تآلفنا واتحادنا

ولما مات يعرب ملك بعده ابنه يشجب وكان واهي  
العزيمة ضعيف النفس. وبموته خلفه ابنه عبد شمس ويلقب  
بسبأ لانه لما أكثر من الغزو في أقطار البلاد وسبي خلقاً  
كثيراً لقب بذلك وهو اول من سنّ السبي في العرب وبني  
مدينة سبأ وكان له من الولد كثيرون أشهرهم حمير وكهلان  
الذان تشعبت منهما قبائل اليمن وصار الملك ينتقل في بنيتهم  
ولقبوا بالتبابعة لانهم كانوا كلما مات منهم واحد قام آخر  
تابعاً له في سيرته. ومن التبابعة المذكورين شرحبيل وكان  
عادلاً شجاعاً بنى قصر غمدان في ظاهر صنعاء وهو قصر  
عظيم رفيع البناء وأبدع فيه من ازخارف والصنائع الغريبة  
وكان يسكن شرحبيل بمأرب فلما بنى هذا القصر انتقل اليه وصار  
دار الملك من بعده ملوك اليمن ثم لما مات ملك بعده ولده



الهدهاد وكان يحب الملاهي والتنم ولما مات ولم يعقب تولى  
 ابن اخيه مالك وكان فاحشا فاسقا خبيثا لا يبلغه عن بنت  
 ذات جمال الا احضرها وفضحها حتى اتى بنت عمه بلقىس  
 في قصرها وكانت اعدت له رجلين وامرتهما بقتله اذا دخل  
 عليها وانفرد بها فصدعا بالامر وقتلاه فاحضرت وزراءه  
 واصدقتهم الخبر قائلة: اما كان فيكم من يأنف لكريمته وكرائم  
 عشيرته؟ وارثهم اياه قتيلا وفوضت لهم ان يختاروا رجلا  
 يملكونه عليهم فقالوا لا نرضى بغيرك وملكوها وهي التي  
 ورد ذكرها في القرآن الكريم في سورة النمل وكانت في  
 عهد سليمان عليه السلام في القرن العاشر قبل الميلاد تقريبا  
 وكان هذا هو سبب توليها الملك اذ كانت العرب  
 تأنف من تملك النساء حتى ان الهدهد لما جاء سليمان ظن  
 انه اتاه من سبأ نبأ غريب لم يكن مألوفاً عادة عندهم وذلك  
 انه رأى امرأة تحكم رجالا ولكن فاته ان المرأة التي رآها  
 كانت خيرا منهم اذ ازاحت عنهم عارا كانوا له متحملين  
 وبلاء كانوا عليه مصطبرين. قد اتاحها الله لهم فخلصتهم واستحقت

بذلك الامارة والسيادة عليهم واستمر الحال في اليمن على هذا  
 المنوال مدة : كلمات ملك تولى آخر . وكانت اليمن ذات  
 اشجار واثمار هوؤها حسن وعماراتها شاهقة كثيرة مما يدل  
 على أن الحضارة كانت بلغت تصارها فيها وكانت المرأة منهم  
 اذا ارادت أن تبني شيئاً من الثمر وضعت مكتأها على رأسها  
 وخرجت تمشي تحت الاشجار وهي تغزل أو تعمل ما شاءت  
 فلا ترجع حتى تملأ مكتأها من الثمار التي تتساقط عليها وكانوا  
 لا يرون سواً لحسن هوائها وكان شجرهم ممتداً من اليمن  
 الى الشام يبيتون بقرية ويقيلون بأخرى ذات مياه وأشجار  
 لا يحتاجون الى حمل زاد ثم انهم بطروا نعمة ربهم وسئموا  
 الراحة وكان انغماس ملوكهم الاخيرين في الترف والملاذ  
 والملاهي سبباً في خور عزائمهم ومقدمة لضياع الملك من  
 أيديهم فسألوا ربهم أن يباعد بينهم وبين اسفارهم ويجعل بينهم  
 وبين الشام فلوات ومفاوز يركبون فيها الرواحل ويتزودون  
 فيها الازواد وكانوا يعبدون غير الله ويظلمون فسلط الله  
 عليهم سبيل العرم فخرّب عمائرهم وبساتينهم وهذه عاقبة



المترفين المكذبين قال الله تعالى « لقد كان لسبأ في مسكنهم  
 آية: جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له  
 بلدة طيبة ورب غفور. فأعرضوا. فأرسلنا عليهم سيل العرم  
 وبدّلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل فخط وأثل وشيء من  
 سدر قليل ذلك جزيناهم بما كفروا وهل يجازى الا الكفور  
 وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا  
 فيها السير سيروا فيها ليالى واياما آمنين فقالوا ربنا باعد بين  
 اسفارنا وظلموا انفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق  
 ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور »

ولما أرسل الله سيل العرم ورأى الناس الذين سلموا  
 منه أن بيوتهم هدمت وارضيتهم تلفت وانعامهم هلكت  
 ولم يبق لهم أمل فى الحصول على المياه فيما يأتى من السنين  
 هاجر بعضهم من بنى نخم الى الحيرة والانبار على مقربة من  
 نهر الفرات وعرفوا بالمانذرة وصاروا ملوكا على العراق  
 وكانت دولتهم من اعظم دول ملوك العرب ومقامهم بأرض  
 الحيرة وسنأتى على طرف من ذكرهم وهاجرت جماعة من

بنى قحطان من قبيلتين يقال لهما الأوس والخزرج وتملكوا  
 حوران والبقاء ونزلوا على ماء بقرب دمشق يقال له غسان  
 فاشتهروا به حتى غلب اسمه عليهم فقبل لهم آل غسان ثم  
 تغلبوا على الشام وسيأتي ذكرهم أيضاً وهاجر بعض من بنى  
 قحطان واسسوا ممالك صغيرة داخل الجزيرة كالكنديين  
 وكانت ممالكهم بنجد وغيرها مما سندكر بعضاً منها وكان  
 هذا هو السبب فيما ذكره أهل التاريخ بعد هذا السيل مما  
 يتعلق بوجود بعض قبائل قحطانية في الجهات الشمالية التي  
 هي وطن العرب المستعربة - أي العدنانيين - مع أن أصل  
 مركزها كما مر ببلاد الجزيرة جنوباً

مملكة اليمن بعد السيل - استمر بنو قحطان يملكون  
 في من بقي باليمن من اليمنيين بعد السيل واختطوا المدن  
 وشيدوا المباني وغزوا بعضهم البلاد المجاورة فكان منهم الملك  
 شمر يرعش وهو من أشد ملوك العرب عزيزة واعلام همة  
 واقوام جاشا: يقولون انه غزا بلاد العراق ثم ارتحل عنها  
 طالباً بلاد الصين وجعل طريقه على بلاد فارس فدوخوا



وهدم كثيرا من المدائن والمعامل ودخل مدينة السغد فخر بها  
 ولذا قيل لها بالفارسية شمر كند اي شمر خربها ثم أعيد  
 بناؤها فبقى عليها ذلك الاسم لكنهم تصرفوا فيه فقالوا  
 سمرقند . ولما استخلص بلاد فارس سار منها طالبا بلاد  
 الصين — وقد انكر العلامة بن خلدون خبر وصوله الى الصين —  
 فلما بلغ ملكها خبر قدومه ارتاع فقال له وزيره — وكان محبا  
 لوطنه غيورا على مصالحه يفديه بنفسه اذ كانت مجتمعة فيه  
 صفات الوزير الحقيقية — : انا فدى المملكة بنفسى واكفيك شر  
 هؤلاء القوم المعتدين . فجدع الوزير مارن انفه بكفه وقصد  
 شمر يرعش وشكى اليه ظلم الملك له وقال : قد فعل بي  
 ما ترى بغير جناية تستحق ذلك وخشيت ان يقتلنى  
 فخرجت اليك هاربا وارجو ان يكون افتتاح هذه المملكة  
 على يدى فسر معى وانا ضمين لك بذلك . فاغتر شمر يرعش  
 بما رآه من جدع انفه وانصاع لقوله وانخدع له فهض بجيشه  
 والوزير يتقدمهم فى تلك المفاوز والتفار حتى دخل بهم فى  
 فلوات معطشة ولا سبيل للماء فيها حتى اماتهم وهلكوا جميعا

وهلك شمر يرعش وكفى الله الصين القتال. فيالها من وطنية  
صادقة واحساس شريف من وزير بمثله تحفظ البلاد ولاعجب  
فبمثل هؤلاء الرجال وبمثل تلك الاعمال تدوم الدول وتسود  
كما انه بمثل طمع شمر وغفلته تدرس الممالك وتزول معالمها  
فلكل عمل جزاء من جنسه: تلك سنة الله في خلقه من القدم  
للآن فما اخلص قوم في خدمة بلادهم الا سادوا وسادت  
وارتفعت وحفظ لهم الذكر الجميل والاحدوثة الحسنة. وما  
أحرى بدوله الصين في أن يكون لها الآن مثل هذا الوزير  
حتى تتخلص من طمع دول أوروبا الاشعبي.

وبعد ان مات شمر يرعش قام ولده ابو مالك بالملك  
بعده وعزم على المسير الى بلاد الصين للاخذ بثأر أبيه الذي  
ذهب فريسة الطمع والغفلة فبلغه خبر وجود معدن من  
الزمرد في بلاد المغرب فطمع فيه ونسى ثأر أبيه وسار بجيش  
كثير طالباً ذلك المعدن فادر كته المنية في الطريق ومات جمع  
عظيم من عسكره شهداء طمع ما كهم الذي كان هو وأبوه  
في غنى عن هذه المطامع ولهم في بلادهم من الخيرات والثروة



ما أطمع الا جانب فيها وهم عنها لاهون وهكذا صار الملك  
 ينتقل من واحد لا آخر من بني قحطان وكان منهم الظالم والعاقل  
 والشهم وضعيف العزيمة والمحبوب عند رعيته والمذموم لديها  
 فمنهم حسان بن تبع قيل انه هو الذي انتصر لطسم من جديس  
 وأذاقهم كأس الردى وكانوا قتلوا ابا جعل يتبع قاتليه ويقتلهم  
 حتى اتى على آخرهم فكرهوه وكان يدين بدين اليهود وسار  
 بمن معه من عرب اليمن الى مدينة يثرب ثم قصد مكة واراد  
 هدم الكعبة فنعه من كان معه من اُحبار اليهود فامتنع  
 وكساها البرد اليماني ثم أن قومه أجمعوا على ان يقتلوه لما  
 لحقهم من التعب والنصب وهو غير مكترث بهم كأنه راعى  
 ابل أو غنم يقودها اثنى شاء شقوا أو سعدوا فكلوا اخاه  
 عمرو بن تبع في قتله ووعدوه بالملك بعده ان قتله وكان هذا  
 الامر عن رأى الجميع ما عدا شخصا منهم يقال له ذورعين  
 لم يوافقهم عليه ونهى عمرا عن قتل اخيه فلم يقبل منه فكتب  
 ذورعين شعرا في صحيفة واودعها عند عمرو بن تبع يقول فيها  
 الا من يشتري سهرا بنوم سعيد من بيت قريرعين

فأما حمير غدرت وخانت فمعدرة الاله لذي رعين  
فلما قتل عمرو اخاه حسانا واستولى على الملك بعده حسب  
اتفاق القوم استولى عليه الارق ومنع عنه النوم فشكا ذلك  
للاطباء والكهان والعرافين من العرب فقالوا له: « ياملك ما  
قتل رجل أخاه أو ذا رحم له باغياً الا سلط الله عليه السهر »  
وكانت هذه من معتقدات العرب وقد أشار اليها ذورعين في  
نيتيه فجعل عمرو يقتل كل من أشار عليه بقتل أخيه من رؤساء  
قومه وهم بقتل ذي رعين فذكره الشعر الذي اودعه اياه في  
الصحيفة فكانت فيه معذرتة ونجاته من القتل ثم ان الاسقام  
توالت عليه فكان لا يخرج الى الخلاء الا محمولا على نعش  
فسمى بذى الاعواد لذلك وهو الذي أشار له احد الشعراء بقوله  
ولقد علمت سوى الذي نبأني ان السبيل سبيل ذى الاعواد  
ثم دهمته المنية بدون ان يتمتع بلذة الملك الذي حاول  
استعجاله ونسى بسببه حقوق الأخوة وحنان الشقيق  
وواجبات الانسان فلاقى جزاءه وساء منقلبه ولا عجب فمن  
تعجل بشيء قبل اوانه عوقب عليه بحرمانه<sup>(١)</sup> وكذلك نصحاؤه



وما هم الا نصحاء الشؤم قد جوزوا بما استحقوا بفعلتهم أما  
 ذورعين فتبرأ من عملهم ولم يخش تألبهم عليه وكان هو الوحيد  
 في رأيه ضد الاجماع ولم يخف بطشهم بفضل المخاطرة بحياته  
 دون تمحيض النصح وما عليه اذا لم ينفع فقد فعل الواجب  
 عليه وقد عرف له ذلك فيما بعد حينما قام ذلك الذي لعب  
 القوم بعقله حتى أوقعوه في الورطة يفتك بهم ففاز ذورعين  
 حين نكل بأولئك المضايين تنكيلا. نعم ان حسانا تعدى وظلم

( ١ ) ورد في التاريخ ذكر كثيرين ممن قتلوا آباءهم طمعا في  
 نوال الملك وكانت عاقبة ذلك وبالا عليهم فمنهم شيرويه بن ابرويز قتل  
 أباه فلم يتمتع بالملك بعده كذلك محمد المنتصر العباسي اذ قتل أباه  
 المتوكل ليتولى الخلافة فلم يستقر له الملك حتى مات ويقولون أنه بعد  
 ان جلس المنتصر على سرير الملك فرش له بساط لم ير مثله وعليه  
 كتابة عجيبة بالفارسية فنظر اليه نظر استحسان واستحضر من يعرف  
 بالفارسية وأمر بقراءتها فأحجم عن ترجمتها فقال المنتصر قل وما  
 عليك بأس فقال مكتوب على هذا البساط « أنا شيرويه بن كسرى  
 قتلت ابني فلم أتمتع بالملك بعده » فتطير المنتصر من ذلك ونهض من  
 مجلسه غضبان فلم تم له مدة شيرويه وهي ثمانية أشهر حتى مات  
 فليأمل الطامعون الغافلون ويتدبروا

حتى كرهته رعاياه كلها وسئمت حكمه وقامت بصوت واحد  
ضده وقد حصد ثمار ما زرع على حد قول الشاعر  
وما من يد الا يد الله فوقها وما من ظالم الا سيبلى بأظلم  
لكن ما كان ليجميل بأخيه أن يقتله بيده طمعا في  
وراثته الملك من بعده لا انتصارا للمهضومين المقهورين  
ومن ملوك اليمن ايضا عندما أخذت شمس دولتها في  
الافول ذو الشناتر — ومعناها الاقراط في لغة اليمن — وقيل  
له ذلك لانه كان يتحلى بها وكان فاسقا خبيثا يأتي الاحداث من  
أبناء الملوك لثلا يملكوا وكانت عادة العرب في ذلك الزمان  
لا يملكون من يفعل به ذلك ويبقى ذو الشناتر على هذه السيرة  
الخبیثة حتى سمع بغلام من أبناء الملوك الحميرية له صيت وجمال  
ياقب بذي نواس — لا رساله ذوائب شعره على ظهره — وكانوا  
ايضا يسمونه بيوسف الحسن لجماله فأرسل له رسولا من  
عنده ليستقدمه اليه فلما جاءه الرسول وبلغه رسالته عرف  
ما يريد فآخذ سكيناً وأخفاها بين نعله وقدمه فلما صار عنده  
وخلاب به وثب عليه فقتله واحتز رأسه ووضعها في مكان كان



الملك يشرف منه على حرسه من عبيده وجنده اذا قضى حاجته ويأمر الغلام بعد ذلك بان يخرج وهو واضع سواكا في فيه اشارة لما فعل به فلما قتل ذو نواس الملك خرج على الحراس والسواك في فمه حسب العادة وانما فعل ذلك خوفاً من تعرض القوم له فلما رأوه على هذه الحالة قالوا له مستهزئين ساخرين: رطب أم يابس . فأجابهم ذو نواس أن اسألوا الشيطان الخناس الذي في المشرفة فهو يخبركم بحاله وانشأ يقول

أساس الملك ويحكم رجال اذا مال الملك ذل عن الاساس  
فكم من تاج ملك قد رأيتم تنقل من أناس في أناس  
أطيعوا الرأس فيكم كي تسودوا وهل جسد يسود بغير رأس  
فان الناس مثل الارض أرض وان ملوكهم مثل الرواسي  
فلما تحققوا من قتل ذي نواس لملكهم فرحوا به وملكوه  
أمرهم وهو صاحب الاخدود الذي دعا أهل اليمن الى اليهود  
وكان قد نزل يثرب مجتازاً فأعجبته اليهودية فتهود وتبعه أهل  
اليمن الا طوائف من حضر موت وعدن فغزاهم وقتلهم جميعاً  
ثم دعا العرب الى اليهودية فكان من لا يجيب دعوته يسير

اليه فيوقع به فشاع ذكره في سائر الاقاليم وعظمت شوكته  
 وأطاعته العباد وكانوا يجيئون دعوته خوفاً من شدة نقمته  
 فكرهته أعيان حمير وحسدوه على الملك الذي هو فيه  
 وندموا على تملكه لما ظهر لهم منه فعزموا على خلع طاعته فلم  
 يخف عليه ذلك لكنه لم يحفل بهم بل قبض على البعض  
 وعذبهم أشد العذاب

استبصر الحبيبة على اليمن - اعلم انه لما رسخت قدم  
 ذى نواس في الملك حملته اليهود على غزو نجران لامتحان  
 من بها من النصارى حيث كان بها كثير منهم اعتنقوا الدين  
 المسيحى فأغار عليهم ودعاهم الى اليهود فامتنعوا فقتل ملكهم  
 وحمل اهل البلد والتام في حفرة قد احتفرها وأضرم النار  
 فيها وهى المراد بالاخدود فذهبوا شهداء تمسكهم بدينهم  
 وجور هذا الملك الذى لم يخلص اليمن من بلاء الاليوقعه في  
 بلاء أدهى وأمر ولكن من الحقائق الثابتة التى نشاهد على  
 صحتها كل يوم ألف شاهد ودليل ان من طال عدوانه زال  
 سلطانه ومتى أراد الله أمراً هبى له الأسباب فكان من



أسباب زوال سلطان ذى نواس بل زوال البلاد جميعها من  
 ايدى اهلها انه هرب من نصارى نجران رجل من عظمائهم  
 يقال له دوس بن ثعابان فسار الى النجاشى ملك الحبشة وشكا  
 اليه ما ارتكبه ذو نواس وكان النجاشى نصرانياً اعتنق الدين  
 المسيحى فى عهد القيصر قسطنطين وكان محالفاً لقيصرة الروم  
 للجامعة الدينية بينهما فكتب الى انسطاس الثانى قيصر الروم  
 وقتها وكان متعصباً لدينه يستأذنه فى تجريد خيل الى اليمن  
 فصرح له بذلك وخرج النجاشى لمقاتلة ذى نواس ونزع الملك  
 منه ولما علم ذو نواس بقدمه تجهز للحرب وفرق السلاح  
 على جنوده وسار يستقبل الجيش فالتقوا على ساحل عدن  
 وثار النجاشى بأصحابه ويقال إنه خاطبهم بقوله : هذا البحر  
 خلفكم والسيوف أمامكم فلا ماجاً لكم الا الصبر أو تظفروا .  
 فاقتل القوم قتالاً شديداً وقتل من الفريقين عدد كثير وكان  
 الظفر للحبشة وحق لجيش يشجعه رئيسه بمثل الكلام المتقدم  
 أن ينتصر ويظفر

وانهزم ذو نواس بأصحابه وتبعتهم الحبشة وخاف ذو

نواس من الاسر فاقتحم البحر بجواده وقال : الغرق أفضل  
من اسر السودان . فضربته الامواج وكان آخر العهد به  
ويايلته كان قال العدل والرافة والاعتدال خير من طمع وغنى  
يورثان الذل ويضيعان استقلال الاهل والبلاد ويوقعان الجميع  
في اسر الاجانب والسودان الذين فضل الغرق على الوقوع  
بين أيديهم ولكن قدر فكان ومدة ملكه من سنة ٤٨٠ الى  
سنة ٥٢٨ مسيحية على ما قيل

ولما غرق قام بعده ذوجدن الحميرى وحاول ان يكون  
ملكاً فنغته الاحباش وجرت لهم معه وقائع ثم هزموه فاقتحم  
البحر أيضاً ولحق بنى نواس كأنه أراد ان يخبره بما صار اليه  
الاهل والاطوان وبتأنج طيشه وظلمه وما أتى من العدوان  
وبعد أن دهمته المنية أفضى الامر الى ذى يزن الحميرى  
سنة ٥٢٩ ميلادية وهو آخر ملوك اليمن التى خلص بعد ذلك  
ملكها للحبشة ولا عجب فان تصرف ملوكها الاخيرين قد  
كان نذيراً بذلك مقدمة له إذ قد فسقوا وظلموا وأماتوا فى  
رعايهم احساس النخوة والشهامة فهوت دولتهم وحق لها



الانقراض : فمن حاد عن طور الاعتدال والاستقامة جنى  
الحسرة والندامة هذه سنة الله تعالى في جميع الدول ومن  
تأمل بعين النقد والتدبر وجد أن جميع الحكومات الرومانية  
واليونانية والفارسية وكذا الحكومات الشرقية ما اضمحلت  
وسقطت من عزها الشاخص الا من عهد خروج أهلها عن  
الاعتدال واستسلامهم للآثم والعدوان وللخلاعة والفسق  
والجور المثبطة لهمم والداعية للفساد وتراخي الاعضاء وامانة  
العواطف والاحساسات الشريفة فيصبح الحر أسير شهواته  
البهيمية قاعدا ومتقاعسا عن كل ما من شأنه رفعة بلاده  
وحفظ زمام أمور سلمت اليه وأودعت امانة لديه فخاف فيها  
فاستحق الذل والخذلان والتنكيل به قال الله تعالى وهو  
أصدق القائلين « واذا اردنا أن نهلك قرية امرنا مترفيها  
فقتلوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا »

ملوك اليمن على اليمن من سنة ٥٢٩ لسنة ٦٠١ مسيحية

أول من تولى الولاية منهم على بلاد اليمن ارباط قائد  
جيش النجاشي وكان من بني عمه ومدة ولايته على اليمن من

سنة ٥٢٩ الى سنة ٥٤٩ مسيحية وكان يكرم العظماء من اصحابه  
 ويزدرى بالضعفاء ويكلفهم مالا يطيقون من المشاق فجزعوا لذلك  
 واجتمعوا الى أبرهة الاشرم - أحد رؤساء الجيش - فغضب  
 لهم وعزم على الاخذ بناصرهم فعاهدوه على المبايعة له والتسليم  
 اليه فعصى ارباط وخرج عليه ودعاه الى الحرب فكانت الفتنة  
 وقتل ارباط في معركة بينهما فجوزى بما ظلم وقام بدله أبرهة  
 وأطاعته العرب والحبش جميعاً وكان توليه على اليمن من  
 سنة ٥٤٨ لسنة ٥٨٩ ومات بمكة وكان قصدها بجيشه يريد أن  
 يهدم البيت الحرام واتخذ فيلا عظيماً يقدمه في وجه قومه  
 ليتقوا به وقع النبال ولذلك قيل له صاحب الفيل وهو صاحب  
 القصة التي ورد ذكرها في سورة الفيل بالقرآن الشريف كما  
 سيجيء عند التكلم على الحجاز وقد اشتهر أبرهة بميله الى  
 النصرانية

ولما انقضى عهد أبرهة خلفه على الولاية ابنه يكسوم  
 وكانت مدته من سنة ٥٨٩ لسنة ٦٠١ مسيحية  
 استبهر الفرس على اليمن - لما توفي يكسوم تولى



أمر الدولة مكانه أخوه مسروق فرآى أهل اليمن ثبات ملوك  
 الحبشة عليهم وتوارثهم اياه خلفاً عن سلف فجزعوا لذلك  
 وأخذتهم الانفة والحمية وعقدوا معاهدة بينهم على تخليص  
 وطنهم من الاجانب ولا غرو فالحر لا يرضى بالذل طرفة  
 عين. وكان في تلك الايام قد نشأ سيف بن ذى يزن الحميرى  
 بن ذى يزن السابق فاجتموا اليه وقالوا له: ان الحبشة قد دخلوا  
 بلادنا بسبب جدك ذى نواس وقد طال بلاؤهم علينا حتى  
 ضاقت صدورنا عنه. وأثاروا فيه الغيرة والشهامة العربية التي  
 حاول أجداده أن يمتوها فقام واستخلص المملكة من أيدي  
 الحبشة بمساعدة كسرى أنوشروان ملك الفرس بعد ان  
 استولوا عليها نحو سبعين سنة وملخص ذلك: انه لما حرصه  
 الالهالى على الاحباش بالصورة المتقدمة استنجد أولاً بقيصر  
 ملك الروم فأبى عليه مساعدته وليت شعري كيف يستغيث  
 سيف بملك مخالف لخصمه ويطلب نجدة ضده ولم يكن  
 احتلال الحبشة لليمن الا بعد استشارته! ولما يئس سيف  
 من قيصر قصد كسرى قباذ ملك فارس فتردد وقال له: بعدت

أرضك عن أرضنا وهي قليلة الخير انما هي شاء وبغير والمسالك  
فيها صعبة ولست أغرر بجيشي . وأمر له بمال جزيل فأخذه  
وخرج من عنده وهو ينثر المال الذي اعطاه اليه فالتفتاه  
الناس من الارض وأخذوه فسأل كسرى عن سبب ذلك  
فقال له سيف : جبال أرضي ذهب وفضة واني لم آتلك لئمال  
وانما جئتك للرجال ولتمنعي من الذل والهوان . فرق كسرى  
له بل ربما كان في الحقيقة طمع في المال الذي سمع به وشاور  
أهل دولته فأشاروا عليه بمساعدة سيف وقال له موبذانه —  
وزيره — : أن في سجونك رجالا اصحاب نجدة وبأس قد حبستهم  
للقتل فلو أن الملك وجههم معه فلو ظفروا كان الظفر لك  
وازددت ملكا الى ملكك وان هلكوا فيكون الملك قد  
استراح وأراح أهل مملكته . فأعجب كسرى هذا الرأي  
ويحق له ان يعجب به ويفتخر بوزير هذه مشورته وعمل بما  
اشار ونجح واستولى على اليمن وأعاد على ملكها سيف ذي  
يزن وأمره بالنزول بقصر الملك برأس غمدان وفرض اتاوة  
على اليمن التي لم تخاص من الحبش الا لتقع في يد الفرس فلما



ملك سيف صار يقتل الحبشة ويقتل بطون الجبالي من  
النساء ولم يبق منهم الا جماعة قد جعلهم من خاصته واصطفاهم  
لخدمته فكانوا يمشون بين يديه بالحرايب ولما استقر له الملك  
وفدت عليه الوفود من العرب يهادونه ويهنتونه بملك آبائه  
وأجداده التبابعة وامتدحه العرب بأشعارهم ويايته كان  
استخاض الملك تماما من الاجانب ليحق له صحيح التهاني وتمام  
المديح ولكن ما لا يدرك كاه لا يترك كاه ثم ان سيفا  
المذكور انفردت به في آخر سني حكمه أصفياؤه الذين كان  
جعلهم حوله لحفظه واصطفاهم لخدمته فاغتالوه بجرابهم وقتلوه  
وهربوا في قتل الجبال فانتقموا بذلك لاخوانهم الذين فتك  
بهم سيف ولوطنهم الذي ذهب سلطانه وانقضى بذلك ملك  
حمير وحزنت على سيف قبائل اليمن ودفنوه في صنعاء بمقبرة  
لاجداده وكان جميل المنظر عظيم الهيئة عالي الهمة شديد  
البأس كريم الاخلاق حسن التدبير على وجه العموم وان  
اساءه في أنه أمن أعداءه وسلمهم نفسه ظناً منه أنه أحسن  
اليهم فلا ياحقه منهم أذى ولكن لكل شيء في قلبه سبب

ولما بلغ كسرى أنوشروان خبر قتله ارسل والياً على  
اليمين من طرفه وهكذا تغلبت عليها دولة الفرس الساسانية  
وبقيت تحت سلطتهم الى ان افتحها المسلمون كما سيجيء

مملكة العراق وملك الحيرة سنة ٢١٠ الى سنة ٣٦٤  
مسيحية — لما أرسل الله سيل العرم وتمزق اهل اليمن تشتت  
كثير منهم خارج بلادهم ليجدوا لهم رزقا طيبا في غيرها كما  
أسلفنا القول فسارت جماعة منهم نحو خراسان فتهجروا في  
طريقهم ليلا في نقطة اقاموا بها واختطوا هناك مدينة سموها  
«الحيرة» صارت بعد مقاما لملوكهم من اللخمين نسبة الى لخم بن  
عدى والمناذرة وهي تقرب من نهر الفرات على نحو فرسخ  
واحد من الكوفة وأول ملوكهم بها مالك بن فهم وينتهي  
نسبه الى قحطان وكان استيلاؤه على سرير الملك من قبل  
اللاكاسرة ملوك الفرس اذ ذاك ولذلك كان هو وعقبه عمالا  
للاكاسرة واتخذ منزله بالانبار فأقام بها الى أن مات ويقال ان  
ابن سايمة رماه بسهم فقتله فقال

جزاني لا جزاه الله خيرا      سايمة انه شرا جزاني



أعلمه الرماية كل يوم فلما استد ساعده رماني  
 وكان مالك هو الذي ربي سليمة وأحسن إليه فكوفي  
 على الاحسان بالشر وما ذلك بعجيب! ولما توفي تملك بعده عمرو  
 بن فهم وقام بعد وفاة هذا ابن أخيه جذيمة ابن مالك سنة ٢٣٠  
 مسيحية وكان مقامه بالحيرة وكان شديد الوطأة ظاهر الحزم  
 وهو أول من أوقد الشموع ونصب المجانيق من ملوك العرب  
 الاقدمين للحرب دانت اليه جميع القرى المجاورة لبلاده فكان  
 يتولى أمورها وتجي اليه أموالها وتقدي اليه الوفود وكان جبارا  
 ذا أنفة مقداما شديد البأس وافر الحكمة طالت مدته وشاع  
 ذكره في كل مكان وعظم شأنه وكان به برص فقيل له البرص  
 وقيل له كذلك جزيمة الواضح تلفظا في اللفظ لان الوضع بمعنى  
 البرص وكنيته أبو مالك. وكان في أيامه رجل من العمالة يقال له  
 الريان كان ما كاعلى الجزيرة وأعمال الفرات ومشارف الشام فحرت  
 بينه وبين جزيمة حروب انتصر هذا عليه فيها وكان للريان بنت  
 تسمى نائلة وتلقب بالزباء كان لها من الفرات الى تدمر فلما  
 استجمع أمرها واستحکم ملكها ارادت ان تغزو جذيمة بمن

معها من أهلها وجندها طلبا لثأر أبيها وكانت لها أخت اصغر  
منها تدعى زبيبة فاشارت عليها بترك الحرب وإعمال الحيلة  
فاجابتها الزباء الى ذلك وكتبت الى جزيمة تقول : انها لم تجد  
ملك النساء الا قبحا في السماع وضعفا في السلطان وانها لم تجد  
ملكها ولا لنفسها كفوًا غيره . فلما انتهى اليه كتاب الزباء  
وكان بجهة يقال لها بقة استحسن ما دعته اليه واغتر بتموهياتها  
غير عالم بمكرها فجمع ثقائه وعرض عليهم كتابها واستشارهم  
فيه فأجمعوا على إجابة دعوتها وأن يسيروا اليها ويستولوا على  
ملكها وكان بينهم رجل يقال له قصير من خلم أمهامة كانت  
لجزيمة وكان عاقلا بصيرا يستشيره جزيمة في بعض أموره  
لما رأى عنده من سداد الرأي فلم تدخل عليه حيلة الزباء  
وخالف التوم فيما أشاروا عليه به وقال : رأى فاتر وعرو  
ماضر . وقال لجزيمة « اكتب اليها فان كانت صادقة فلتقبل  
اليك وإلا فلا تتمكنها من نفسك وقد وترتها وقتلت أباهها »  
فلم يوافق جزيمة على ما أشار به قصير وقال له : رأيت في  
السنن في الضمح . ودعا ابن أخته عمرا بن عدى واستشاره



فشجعه على المسير فحين رأى قصير ذلك قال : لا يطاع لقصير  
 رأى . ثم استخلف جذيمة ابن أخته المذكور على ملكه وسار  
 في وجوه اصحابه فلما كان في منتصف الطريق قال لقصير  
 ما الرأي قال : بيقة تركت الرأي . واستقبله رسل الزباء  
 بالهدايا والتحف فقال يا قصير كيف ترى فقال : خطر يسير  
 وخطب كبير وستاتك الخيول فان سارت امامك فان المرأة  
 صادقة وان اخذت جنبك واحاطت بك فتيقن انهم غادرون  
 فان رأيت ذلك فاركب العصا — وكانت فرساً جذيمة لا تجارى —  
 فلما لقيته الكتاب حالت بينه وبين العصا فركبها قصير فنظر  
 اليه جذيمة موليا على منها فقال : أرى صرما على متن العصا .  
 وقال ايضاً : ما ضل من تجرى به العصا . وجرت به الى  
 غروب الشمس ثم نفقت وقد قطعت ارضاً بعيداً فبنت العرب  
 عليها برجا وسموه برج العصا وقالوا : خبر ما جاءت به  
 العصا . وقد احاطت بجذيمة الخيول حتى دخل على الزباء فلما  
 رآته تكشفت له فاذا هي مضمفورة شعر الاست وقالت له  
 يا جذيمة : آداب عروس ترى . فقال : بلغ المدى وجف

انثرى وامر غدر ارى . ثم قالت له : أنبت ان دماء الملوك  
شفاء من الكلب ثم اجلسته على نطع وامرت بطست من  
ذهب وسقته الخمر حتى أخذت منه مأخذها ثم امرت  
براحتيه فقطعتا وقدمت اليه الطست انزول الدم فيه وكانت  
العرب تزعم أنه ان قطر من دم من قتل ولو قطرة في الارض  
طاب بدمه وكانت الملوك في ذلك الزمان لا تقتل بضرب  
الرقبة الا في قتال تكرومة للملك . فلما ضعفت يداه سقطتا  
وقطر من دمه قطرة في غير الطست فقالت : لا تضيعوا دم  
الملك . فأجاب جذيمة : دعوا دما ضيعه اقد وهلك . وخرج  
قصير من الحى الذى هلك فيه العصا حتى قدم على عمرو  
بن عدى وهو بالحيرة فوجده قد اختلف مع عمرو بن عبد  
الجن الذى كان استخلفه جذيمة عند خروجه للزباء على خيوله  
فأصلح بينهما وابعهما الخبر واطاع الناس عمرا بن عدى فى  
سنة ٢٦٨ مسيحية وقال له قصير تهبأ واستعد ولا تطل دم  
خالك فقال له كيف لى بها وهى امنع من عقاب الجو وكانت  
الزباء سألت الكهنة عن أمرها وهلاكها فقالوا لها نرى



هلاكك بسبب عمرو بن عدى ولكن حتفك بيدك فذرت  
 عمرا واتخذت نفقا من مجلدتها الى حصن لما داخل مدينتها  
 وقالت ان فاجأني أحد دخات النفق الى حصنى ودمت رجلا  
 مصورا حاذقا فأرسلته الى عمرو متنكرا وقالت له صور دلى على  
 كل حالته جالسا وواقفا ومنفردا ومتنكرا ومتساجبا بيته ولونه  
 ففعل المصور ما أمرته به وتد ارادت بذلك ان تعرف عمرا  
 فلا تراه على حال الا عرفته وحذرتة اما تصير فقال لعمرو :  
 اجدع انى واضرب ظهري ودعنى واياها . فقال عمرو : ما انا  
 بفاعل . فاجابه قصير : هل عنى انى وضهوك زعم . فجدع قصير  
 انفه ودق بظهره وخرج كأنه هارب وادعى ان عمرا فعل به  
 ذلك وسار حتى تدم على الزباء وأدخل عليها فاذا انفه تدجدع  
 وظهره قد ضرب فقالت : بصر ما قد جرد قصير أنفه . وسأته  
 الخبر فقال : زعم عمرو انى غدرت بخاله وزينت له المسير اليك  
 ومالكك عليه ففعل بي ما ترى فأقبلت اليك وعرفت انى لا اكون  
 مع واحد هو أثقل عليه منك . فاكرمته واصابت عنده بعض  
 ما ارادت من الحزم والرأى فالتذمت له وسلمته امور المملكة

فأصبح الأمر النامحى فى البلاد حتى اذا ما عرف استرسالها اليه  
وشدة وثوقها به قال لها ان لى بالعراق اموالا كثيرة فأذنى لى  
لاحمل مالى واحمل اليك من طرائفهما وصنوف ما يكون بها  
من التجارات فتتالى ارباحا وبعضاً مما لاغنى للملوك عنه فقرحت  
لقوله ودفعت اليه اموالا وجهزت معه غير احدى قدم العراق وأتى  
عمرامتخفيا واخبره بالامر وقال جهزنى بالبر والطرف وغير  
ذلك لعل الله يمكنك من الزباء فتصيب تارك وتقتل عدوك.  
فاعطاه ما طلب ورجع به اليها فاعجبها وسرها وازدادت به  
ثقة ثم جهزته بعد ذلك مرة اخرى بأكثر مما جهزته به  
فى المرة الاولى فحمل من عند عمر و حاجته ولم يدع طرفة  
ولا متاعا قدر عليه الا واستصعبه معه ثم لما رجع ثالث مرة  
أخبر عمر بما أضمر عليه وقال اجمع لى ثقات اصحابك واقوامك  
وهي لهم غرائر واحمل كل رجائين على بعير فى غرارين حتى  
اذا دخات الابل مدينة الزباء أقتك على باب نفقها وحينئذ  
تخرج الرجال من الغرائر فان اتاهم العدو قاتلوه وان اقبلت  
الزباء تريد نفقها قتلها ففعل عمرو ذلك وساروا فلما كانوا



قريباً من الزباء تقدم قصير اليها وبشرها بكثرة ما جاء به  
من الثياب والطرائف وسألها أن تخرج وتنظر الابل وما عليها  
فخرجت الزباء وأبصرت الابل تهادي باحمالها فقالت :

ما للجمال وشيها وييدا      أجند لا يحملن أم حديدا  
أم صرفانا باردا شديدا      أم الرجال جثما تعودا

ودخل الابل المدينة فلما توسطتها انيخت وخرج الرجال  
من الغرائر وقام عمرو على باب النفق وثار رجاله على اهل  
المدينة ووضعوا فيهم السلاح وأقبلت الزباء تريد الخروج الى  
نفقها فوجدت عمرا قائما على بابه فعرفته بالصورة التي عملها  
المصور فصمت سما كان في خاتمها وتالت: بيدي لا يدير عمرو.  
فتلقاها عمرو وقصير بالسيف وقتلها ولم يغن عنها حرصها  
ولا نفقها شيئاً وأصابا ما أصابا من مدينتها وعادوا الى العراق  
وأنشأ عمرو يقول :

ألا ايها الغر المرجي      ألم تسمع بخطب الاولينا  
دعي بالبقة الوزراء يوما      جذيمة يستشير الناصحينا  
فظاوع أمرها وعصى قصيرا      وكان يقول لو نفع اليتينا

لقد خطب التي غدرت وخانت  
 وهن ذوات غدر يزدهينا  
 فخطت في صحيفتها اليه  
 ليملك بضعها اوان يدينا  
 فاجأها وقد جمعت جموعا  
 على أبواب حصن معلمينا  
 وحكمت الحديد براحتيه  
 فاضحى قولها كذبا ومينا  
 وخبرت العصا الانباء عنه  
 ولم ار مثل فارسها هجينا  
 فبات نساؤه ثكلى عليه  
 مع الابناء يعاين الانينا  
 فولى أنفه موسى قصير  
 ليخدعها وكان بها ضينا  
 مخالطة ابنة الريان مكررا  
 فاذهل عقلها الوافي الرصينا  
 وليت شعري كيف ساغ لعمرو أن يلوم الآن في شعره  
 نصحاء جذيمة وقد كان منهم ويعترف لقصير باصالة الرأي  
 وقد كان من الذين سفهوا قوله ولكن ربما كان طمعه في  
 الملك من بعد جذيمة هو الذي حمله على ذلك التحريض وفي  
 هذا الخبر من الحكم والعبير مالا يخفى على اللبيب : فلو أطاع  
 جذيمة قصيرا ما حل به ما حل ولو كان اقتصر على ملكه ولم  
 يطمع في ما في يد غيره ما غار على الريان ولا أضغن عليه قلب  
 ابنته حتى عملت على مكيدته والتكليل به . ولو لم تغتر الزباء



بتمويهات قصير - وهو من اعدائها - ولم تتخذ له وتسلم اليه  
 مةاليد أمور بلادها ما وقعت في هذه الورطة وما اضاعت  
 البلاد ولكن لا راد لحكم الله وقضائه فكما جعل الجور  
 والعسف والترف والفجور من أسباب تلاشي الامم وانقراضها  
 جعل أيضاً الغفلة والطمع والانخداع للاجانب والدخلاء  
 وتسليمهم البلاد من اعظم العوامل القاضية على الوطن والبلاد  
 فليتدبر المتدبرون

ولما توفي عمرو بن عدى تولى الملك بعده امرؤ القيس  
 الاول وعند موت هذا خلفه عمرو بن امرئ القيس المذكور  
 وكان عالي الهمة شديد الباس شاعراً فصيحاً وبوفاته انتقل الملك  
 الى اثنين من العمالة ثم رجع الى بني عمرو بن عدى فتولى  
 منهم امرؤ القيس الثاني - ويلقب بالحررق لانه اول من عاقب  
 بالنار وصار هذا اللقب يطلق على اولاده من بعده - ثم بوفاته  
 تملك بعده النعمان بن امرئ القيس - وكان يلقب بالاعور -  
 بنى الخورنق والسدير وكردس الكراديس وكان أشد الملوك  
 نكابة في الاعداء : غزا الشام مراراً كثيرة واكثر من

المصائب في اهلها وسبي وغنم كثيرا من الاموال وكان صارما  
 حازما ضابطا للملكه اجتمع له من الاموال والذخائر ما لم يجتمع  
 لغيره من ملوك الحيرة وبعد ان عمر ثلاثين عاما في الملك  
 صعد على مجلسه في قصر الخورنق وتأمل في الملك وما لديه  
 من الخيرات والاموال فلم يغتر بها ولم تفتنه بل قال : يا خير  
 في ملك آخزه الى النقاد . ومن ثم زهد في الملك وأصر  
 أصحابه ان يعتزلوا بابه حتى اذا جن الليل التحف بكسائه  
 وساح في الارض ولم يره احد بعد ذلك . وقيل ان هذا كان  
 في سنة ٤٣٠ مسيحية . وتولى ابنه المنذر مدة ثم مات وتولى  
 بعده ابنه الاسود وكان مغوارا فاتكا انتصر على الشام واسر  
 عدة من ملوكها وأراد ان يعنو عنهم فاعترضه ابن عم له يدعى  
 أبا أذينة كان احد ملوك الشام قتل اخاه وقال له محرضا :

ما كل يوم ينال المرء ما طلبا ولا يسوؤه المتدار ما وهبا  
 واحزم الناس ما ان فرصة عرضت لم يجعل السبب الموصول منقضبا  
 وأنصف الناس في كل المواطن من سقى المعادين بالكاس الذي شربا  
 وليس يظلمهم من راح يضر بهم بحد سيف به من قباهم ضربا



والعفو الا عن الاكفاء مكرمة من قال غير الذي قد قلته كذبا  
 قتلت عمرا وتسبق يزيدي لقد رايت رأيا يجز الويل والحربا  
 لا تقطن من ذنب الافعى وترسلها ان كنت شهما فاتبع رأسها الذبا  
 هم جردوا السيف فاجعلهم له جزرا وأوقدوا النار فاجعلهم لها حطبا  
 ان تعف عنهم يقول الناس كلهم لم يعف حلما ولكن عفوه رهبا  
 هم أهلة غسان ومجدهم عال فان حاولوا ملكا فلا عيبا  
 وعرضوا بفداء واصفين لنا خيلا وابلا تروق العجم والعربا  
 يحلبون دما منا ونحلبهم رسالا لقد شرفونا في الوري حبا  
 علام تقبل منهم فدية وهم لا فضة قبلوا منا ولا ذهبا  
 فعفا عن بعضهم وتتل البعض الآخر ثم توفي بعد أن  
 حكم عشرين سنة فتولى أخوه المنذر بن المنذر بن النعمان الاعور  
 وبموته صار الملك في بني نخم حتى صار في امرئ القيس  
 الثالث وهو الذي بنى له سنمار القصر المشهور وكافأه عليه بالقتل  
 مخافة ان يبني لغيره مثله كما هو معلوم وفي ذلك قال المتلمس الشاعر  
 جزاني ابو نخم على ذات بيننا جزاء سنمار وما كان ذا ذنب  
 ويقال ان النصرانية كثرت في مملكة الفرس وظهرت

## بالعراق في زمنه

ولما مات ملك ابنه المنذر سنة ٥٢٠ وكان يلقب بماء السماء وفي أيامه اراد كسرى « قباذ » أن يتدين بدين الزندقة فلما أبى عليه ذلك ماء السماء عزله من ملك الحيرة وملك موضعه الحرث ابن عمرو بن حجر الكندي الذي وافقه على هذا الدين . وكان مذهب الحرث كاشتراكي زمننا يقول : نحن نقسم بين الناس ونرد على الفقراء حقوقهم من الاغنياء : ثم لما تمكن علي ملك فارس كسرى أنوشروان بعد أبيه قباذ طرد الحرث وأعاد المنذر الذي لم يلبث ان مات مقتولا خلفه ثانيا الحرث سنة ٥٢٣ ولما مات سنة ٥٦٤ م استبد بالدولة عمرو بن المنذر المتقدم وكان يقال له عمرو بن هند — نسبة لأمه هند بنت الحرث بن عمرو الكندي — وكان مقداما شديد السلطان كثير المغازي تلقبه العرب بمضطرط الحجارة لشدة بطشه وكان قتل له أخ عند زرارة بن عدس الدارمي في مكان اسمه أواره وكنتموا خبره عنه فابلغه اياه عمرو بن ملقط الطائي الذي كان بينه وبين زرارة شرفانتهن الفرصة وصار يحرص عمرا



بن هند على بنى دارم حتى ثارت به الحمية وجمع اهل مملكته وسار  
طالباً نار اخيه وفعلاً وقع القتال بينهم وقتل كثير من بنى دارم  
وفر منهم البعض وقتل عمرو اولادهم وفجر بطون زوجاتهم  
وأقسم أن يحرق منهم مائة بشار أخيه ثم سار يلتمس من فر  
منهم ويلقى في النار من وقع في يده حتى أدرك تسعة  
وتسعين رجلاً وتعذر عليه اتمام المائة فلما كان ذات يوم في  
آخر النهار أقبل راكب يقال له عمار وكان من البراجمة - وهم  
قوم من تميم - واتفق ان عمراً كان أتى رجلاً في النار فسطع  
الدخان وفاح القطار فظن ذلك مأدبة للطعام فأسرع اليها حتى  
اناخ الى عمرو فسأله عمرو من انت قال: من البراجمة. فذهبت  
مثلاً وأمر به فألقى في النار وصار ذلك عاراً لبنى تميم بحب  
الطعام قال الشاعر

إذا مات ميت من تميم      وسرك ان يعيش فجيء بزاد  
بخبز أو بالحم أو بتمر      أو الشيء الملقف في البجاد  
تراه ينقب البطحاء حولاً      لياً كل رأس لقمان بن عاد  
ثم ان عمراً لما انتقم من بنى تميم داخله النور حتى ظن

أنه لم يعادله احد في الدنيا فصادف ان قال ذات يوم لجلسائه  
 وكان دنا أجله : هل تعلمون أن أحدا من العرب من اهل  
 مملكتي تأنف أمه من خدمة أمي قالوا : ما نعرفه الا أن  
 يكون عمرو بن كاثوم . لانه من اشرافهم وهو سيد عظيم  
 فأرسل اليه يستزيره ويسأله ان يزيره أمه فأجابه بن كاثوم  
 الى ذلك واقبل من الجزيرة في جماعة من بني تغاب واقبلت أمه  
 ليلى بنت المهلهل بن ربيعة — اخي كليب وائل من أعز العرب —  
 وكان زوجها كاثوم من فرسان العرب المشهورين ولما بلغ  
 عمرو بن هند قدوم ابن كاثوم وأمه امر بسرادق فضرب  
 بين الحيرة والفرات وأرسل الى وجوه أهل مملكته فصنع  
 لهم طعاما ثم دعا الناس اليه ووضعهم في باب السرادق وجلس  
 هو وعمرو بن كاثوم وخواص اصحابه في الداخل ودخلت  
 ليلى بنت المهلهل على هند أم عمرو في قبتها وكان ابنها قال لها  
 اذا فرغ الناس من الطعام فنجي خدمتك عنك واستخدمني  
 ليلى أن تناولك الشيء بعد الشيء ففعلت ما امرها به ابنها ولما  
 فرغ الناس من الطعام قالت : يا ليلى ناوليني ذلك الطبق .



فألت : لتقم صاحبة الحاجة الى حاجتها . فأعدت عايتها فلما  
 ألت صاحت ليلى واذلاه يا آل تغاب فسمعها ولدها ابن  
 كلثوم فثار الدم في وجهه وقام الى سيف لعمر بن هند كان  
 معلقا في السرادق ولم يكن سيف غيره فأخذه وضرب به  
 رأس عمرو فقتله ونادى في بني تغاب فانهبوا جميع ما في  
 السرادق واستاقوا نجائبه وسبوا النساء ولحقوا بالجزيرة وفي  
 ذلك يقول بعضهم :

لعمر ك ما عمرو بن هند وقد دعا لتخدم ليلى أمه بموفق  
 فقام ابن كلثوم الى السيف مصاتا وامسك من ندمانه بالخنق  
 فكان عمرو كالباحث عن حفته بظلمه وبذا أضحي ضحية

غروره وظلمه وتكبره وعتوه فسبحان مسبب الاسباب  
 اذا ما الظلوم استحسن الظلم مذهبها ولج عتوا في قبيح اكتسابه  
 فكله الى صرف الزمان فانه سيدي له ما لم يكن في حسابه  
 فكم قد رأينا ظالما متمردا يرى النجم تها تحت ظل ركابه  
 فمما قليل وهو في غفلاته أناخت صروف الحادثات ببابه  
 فأصبح لامال ولا جاه يرتجى ولا حسنة سطرت في كتابه

وقابله الجبار منه بفعله وصب عليه الله سوط حذابه  
وبعد ان مات عمرو بن هند تملك اخوه قابوس بن المنذر  
وامه هند ايضاً وكان ضعيفاً مهيناً مولعاً باللحم والشراب والصيد  
اقام ثمانى سنوات ثم مات مقتولاً فتملك بعده المنذر بن المنذر  
بن امرئ القيس اخو عمرو بن هند ايضاً وكان معتدل التاءة  
صبيح الوجه كريماً ملك اربع سنين ثم مات فتولى الملك مكانه  
ابنه النعمان بن المنذر بن المنذر بن ماء السماء المتقدم ذكره  
سنة ٥٨٨ وكان يكنى بأبي قابوس وكان احمر ابرش قصيرا  
دمياً سيء الخلق عبد الاوثان والاصنام ثم تنصر<sup>(١)</sup> وصادف

( ١ ) روى أن النعمان بن المنذر خرج متصيداً ومعه عدى بن  
زيد فقرأ بشجرة فقال عدى : أيها الملك أتدرى ما تقول هذه الشجرة  
قال لا . قال فانها تقول :

من رأانا فليحدث نفسه	انه موف على قرب زوال
فصروف الدهر لا تبقى لها	ولما تأتى به صم الحيات
رب ركب قد أناخوا حولنا	يشربون الخمر بالماء الزلال
والابريق عليها قدم	وجياد الخيل تجرى بالجلال
عمروا الدهر بعيش حسن	أمنى دهرهم غير عجمال



أن حقد على رجل من قومه يدعى عدى بن زيد فسجنه وأبى  
اطلاقه فجعل عدى يقول الشعر وهو في الحبس فمن قوله :

عصف الدهر بهم فانقرضوا      وكذلك الدهر حالا بعد حال  
ثم جاوز الشجرة شرا بمقبرة فقال له عدى : أتدرى ما تقول  
هذه المقبرة . قال لا . قال فانها تقول :

أهيا الركب المحبونا      ن على الارض المجدونا  
كما أتم كذا كنا      وكما نحن تكونونا

فقال النعمان : قد علمت أن الشجرة والمقبرة لا تتكلمان وانك  
انما أردت عظمى فجزاك الله عنى خيرا فما السبيل الذى ندرى به النجاة  
قال : تدع عبادة الاوثان وتعبد الله وحده فتركها وتنصر وأخذ فى  
العبادة والاجتهاد . وقيل أن سبب تنصره هو أنه كان نادمه رجلان  
من بنى أسد أحدهما خالد بن المضلل والآخر عمرو بن مسعود  
فأغضباه فى بعض المنطق فأمر بان يحفر لكل منهما حفيرة بظهر الحيرة  
ثم يجعلان فى تابوتين ويدفنا فى الحفرتين ففعل ذلك بهما حتى اذا  
أصبح سأل عنهما فأخبر بهلاكهما فقدم على ذلك وركب حتى نظر  
اليهما وامر ببناء الغريين فبنا وجعل لنفسه يومين : يوم نعيم  
ويوم بؤس . فأول من يطالع عليه يوم نعيمه يعطيه مائة من الابل  
شؤما أى سوداء وأول من يطالع عليه يوم بؤسه يعطيه رأس طبريان  
أسود ثم يأمر به فيذبح ويقرى بدمه الغريان فلبث بذلك برهة من  
دهره حتى مر رجل من طى اسمه حنظلة بن ابى عمرو كان أوى

ألا من مبلغ النعمان عنى وقد تهوى النصيحة بالمغيب  
أحظى كان سلسلة وقيدا وغلا والبيان لدى الطيب

النعمان في خبائه يوما خرج فيه الى الصيد وانفرد عنه أصحابه بسبب المطر  
فرحب به حنظلة وهو لا يعرفه وذبح له شاة فاطعمه من لحمها وسقاه  
لبناً . فلما نظر اليه النعمان ساءه ذلك وقال له : يا حنظلة هلا آيت  
في غير هذا اليوم . فقال : آيت اللعن لم يكن لي علم بما أنت فيه  
فقال له : ابشر بقتلك . فقال له : والله قد آيتك زائراً لاهلي من  
خيرك ما رأوا فلا تكن ميرتهم قتلى . فقال : لا بد من ذلك فاسأل حاجة  
أتضيها لك فقال تؤجاني سنة أرجع فيها الى أهلي وأحكم من أمرهم  
ما أريد ثم أصير اليك فانفذ في حكمك فقال : ومن يكفل بك حتى  
تعود فنظر في وجوه جلسائه فعرف منهم شريك بن عمرو فانشد

يا شريك يا ابن عمرو يا أخا من لا أخا له

يا أخا شيبان فك اليوم رهنا قد أناله

يا أخا كل مصاب وحي من لا حيا له

أن شيبان قبيد أكرم الله رجاله

وأبوك الخير عمرو وشرا حيل الخاله

رفيك اليوم في المجد وفي حسن مقاله

فوثب شريك وقال : آيت اللعن يدي بيده ودمي بدمه وأمر  
للطائي بخمسمائة ناقة وقد جعل الاجل عاما كاملا من ذلك اليوم الى  
مثله من القابل . فلما حال الحول وقد بقي من الاجل يوم واحد



أتاك بأنتى قد طال حبسى      ولم تسأم بمسجون حريب  
 وبيتى مقفر الانساء      أرا مل قد هلكن مع النجيب  
 يبادرن الدموع على عدى      كشن خانه خرز الريب  
 فهل لك ان تدارك ما لدينا      ولا تغلب على الراى المصيب

قال النعمان لشريك : ما أراك الا هالكا غدا فداء لحنظلة . فقال شريك : فان يك هذا اليوم ولى فان غدا لناظره قريب . فذهب قوله مثلا . ولما اصبح وقف النعمان وكان يشتهي أنه يقتله لينجى الطائى . فلما كادت الشمس تغيب قام شريك مجردا فى ازاره على النطح والسياف الى جانبه وكان النعمان أمير بقتله فلم يشعر الا براكب قد ظهر فاذا هو حنظلة قد تكفن ومخنط وجاء يناديه . فلما رآه النعمان قال ما الذى جاء بك وقد أفلت من القتل ؟ قال الوفاء . قال وما دعاك الى الوفاء ؟ قال ان لى دينا يمنعنى من الغدر . قال وما دينك . قال النصرانية ؟ قال فاعرضها على . فعرضها فتصر النعمان وترك تلك السنة من ذلك اليوم وعفا عن شريك والطائى وقال : ما ادرى أيكما أكرم وأوفى أهذا الذى نجا من السيف فعاد اليه أم هذا الذى ضمنه . وأنا لا اكون الأم الثلاثة . فليتأمل المتأملون ولينظروا كيف كان العرب فى وقت جاهليتهم والى أى حال من الوفاء قد صرنا اليوم !! قال الميدانى وتنصر مع النعمان أهل الحيرة أجمعون وبني النعمان فى حاضرة ملكه الكنائس العظيمة

فاني قد وكلت اليوم امرى الى رب قريب مستجيب  
وكان عدى من اولاد نزار شاعرا فصيحاً يعرف  
الفارسية ونبغ فيها وكان أول من كتب بالعربية في ديوان  
كسرى فارتفع ذكره ولما تولى النعمان على الخيرة استدعاه  
من المدائن مع اخوين له اسمهما ابى وعامر فأكرمهم وأجزل  
صلاتهم وزوج عديا ابنته هنداً وولاه مملكته وكل شئ سوى  
اسم الملك ثم حسده وحبسه كما تقدم وكان أبى إذ ذاك في  
بلاد فارس فلما بلغه الخبر كلم كسرى في أمره وأرسل كسرى  
بإفاده فتظاهر النعمان بتلبية الطلب ولكنه أنفذ سرا اليه من  
قتله ليلاً وفي الصباح أمر أعوانه بإطلاقه فأخبروه بأنه مات  
فأظهر الاسف والتحسر ولكن لم يخف ذلك على كسرى  
وأسرّها له كما أسرّها أهل عدى وما زالوا حائنين عليه حتى  
تمكنوا من الايقاع به بأن زينوا الكسرى أن يطلب من  
النعمان نساء من أهله ليصاهرهن وكانت هذه حيلة منهم  
لعلمهم علم اليقين أن العرب يضمنون بنسائهم على الاعاجم فلما  
رفض النعمان غضب كسرى وأضغن قلبه عليه أهل عدى



فاستدعاه عنده نخاف النعمان وهرب مستنجدا باصهاره بجبلي  
 طيء فابوا نصرته خوفا من بطش كسرى ناقبل وليس في  
 العرب من ينجده حتى نزل بذي قار - في بني شيبان بالقرب من  
 البصرة - وقال أحد اصحابه ممن استجار بهم : عندي رأى لك  
 لست أشير به عليك لادفعك عما تريد من مجاورتي والكنه  
 الصواب . فقال هاته فقال : ان كل أمر يجهل بالرجل أن  
 يكون عايه إلا أن يكون بعد الملك سونة والموت نازل بكل  
 أحد . ولأن تموت كرياً خيراً من أن تجرع الذل أو تبقى  
 سونة بعد الملك فامض الى صاحبك واحمل اليه هدايا ومالا  
 وألق نفسك بين يديه فاما أن يصفح عنك نتمود ما كما  
 عزيزا وأما ان يصيبك فالموت خير من أن يتلاعب بك  
 صعايلك العرب ويتخطئك ذنابها وتأكل مالك وتبش فقيرا  
 أو تقتل مهوراً . فاستحسن النعمان هذا الرأي وأودع هانيء  
 ابن مسعود أهله وماله ودروعه وذهب الى كسرى الذي لما  
 بلغه تدومه أنفذ اليه من قيده وسجنه بخانقين ومات هناك .  
 وقيل إنه ألقاه تحت ارجل النيلة نوطيته حتى مات . وتدنا

جزاءه الاوفى . وولى كسرى بعد النعمان اياس بن قبيصة الطائى على الحيرة سنة ٦١١ للمسيح وكان فصيحاً جواداً مشهوراً بالشجاعة عالماً بأيام العرب ووقائعهم وبعث اليه كسرى أن يرسل الى هانىء بن مسعود يأمره بتسليم ما استودعه النعمان فأبى هانىء أن يسلمه ما عنده فغضب كسرى لذلك وأرسل من يقابل هانئاً بذى قار وهناك حصلت حرب بين العرب والعجم انهزم فيها الاخيرون شر هزيمة وهو أول يوم انتصفت فيه العرب وتناولت فيه اعناقهم وهو من أعظم ايامهم وقد أكثر شعراؤهم من ذكره وكان ذلك سنة ٦١١ للمسيح وبموت اياس بن قبيصة سنة ٦١٧ خلته من يقال له زارديه ثم الاسود بن المنذر أخو النعمان ثم المنذر بن النعمان فى سنة ٦٣٤ وهو المنذر الخامس الملقب بالغرور واستمر على ملك الحيرة الى أن قتل بالبحرين يوم جواش وهو آخر الملوك اللخمية الذين كانوا عمالاً للاكاسرة على عرب العراق كما أسلفنا القول ثم أتى بعد المنذر المذكور خالد بن الوليد تحقق فوق رأسه راية الاسلام فتغيرت البلاد وتخلصت من ظلم



الظالمين وجور الجائرين وفساد المفسدين والايام دول  
ملوك غسانه من السنة ٢٠٠ تقريباً الى السنة ٦٣٦ مسجبة  
ومن ملوك العرب أيضاً الغسانية ملوك الشام وأصلهم  
من اليمن من قبيلتي الازد والخزرج من ولد كهلان بن سبا  
بن قحطان هاجروا من بلادهم بسبب سيل العرم الى الشمال  
الغربي وتماكوا أرض حوران والبلقاء ونزلوا على ماء بقرب  
دمشق يقال له غسان فاشتهروا به كما سبق القول حتى غاب  
اسمه عليهم فقبل لهم آل غسان وأخرجوا عرباً كانوا قبلهم  
من الشام يقال لهم الضجاعة ثم تغلبوا على الشام وملكوها  
ودام ملكهم نحو أربع مائة سنة وعدد ملوكهم ٣٢ ملكاً  
ويسمى مؤرخو الاسلام العرب المنتصرة ويعرفون أيضاً  
بملوك غسان ودانوا بال نصرانية وكانوا عمالاً لقيصرية الروم  
في الشام ونسبتهم للقيصرية كمنسبة ملوك الحيرة الى ملوك  
الفرس وكانوا أشبه شيء بالولاية المستقلين تحت رعاية الرومانيين  
فيمتازون عن ولاية الروم باستقلالهم في حكومتهم الداخلية  
تحت شروط معلومة فيؤدون الجزية ويمدّون الرومانيين بالجند

من قبيلاتهم عند الحاجة وخصوصاً في حروبهم مع الفرس أو  
 لعلمهم كانوا من قبيل أصحاب الاقطاعات والمتعهدين  
 وكان العالم قبيل الاسلام تننازاً دولتان عظيمتان: الفرس  
 في الشرق والرومان في الغرب لا يكاد يفتر النزاع بينهما  
 فيستعين الفرس بالمناذرة ملوك الحميرة وتستعين قيصر الروم  
 بالغساسنة فتولد بين تينك القبيلتين التريبتين المسيحيتين  
 ضغائن توارثها الابناء عن الآباء وكثيراً ما كانت تضطرم  
 الحرب بينهما حتى كاد يبيد أحدهما الآخر والنزاع بين الفرس  
 والروم قديم وكأنه طبيعي بين المشرق والمغرب فقد كانت  
 الحروب متواصلة قبلاً بين الفرس واليونان ثم بين الفرس  
 والرومان والآن بين أوربا وأهل الشرتين الاقصى والادنى  
 وكانت عاصمة الفرس المدائن وعاصمة الرومان التسطنطينية  
 فقضوا أجيالاً متوالية وهم بين حرب وصلاح  
 وكان بنو غسان تحت سيطرة الولى الرومانى المقيم  
 بدمشق بأمر امبراطور المملكة الرومانية الشرقية المقيم في  
 التسطنطينية فترد الاوامر الامبراطورية من الامبراطور الى



والى دمشق وهو يبلغها الى ملك غسان وكان كرسى حكومة  
الغساسين تارة فى عمان بالبناء وطورا فى تدمر وتارة فى  
بصرى عاصمة حوران فى ذلك العهد. وأول من ملك منهم  
جننة بن عمرو بن ثعلبة دعا من كان قبله بالشام من الرومان  
والعرب الى طاعته فأجابوه وبني عدة مصانع ومن ملوكهم  
عمرو بن الحرث وكان شديد التكبر ذميا قبيح السيرة أنشأ فى  
دمشق وضواحيها عدة قصور شامخة منها قصر القضاء وقصر  
منار وصور فى بعض هذه القصور مجالسه وجلساء دولته  
وأشكال صورته فكانت قصوره منتزهات لا مثيل لها وكان  
رسم لنفسه فى كل ليلة جارية عذراء من السبايا التى تصيها  
خيله المغيرة فى البلاد وكان ذلك دأبه حتى وقعت عنده فى السبي  
اخت عمرو بن الصعق فلم يشعر إلا وأخوها قد وقف ببابه  
وهو يقول :  
يا أيها الملك المهيب أما ترى      صبحا وليلا كيف يختلفان  
هل تستطيع الشمس أن يؤتى بها      ليلا وهلا بالصباح يدان  
فاعلم وأيقن ان ملكك زائل      وكما تدين تدان عقد رهان

فوقعت هذه الايات في قلبه وأثرت فيه وراجع نفسه  
فارتجعت عن غيرها وقال الله قد أمنك على من لك عندي وأمن  
كل الناس على من وقع لهم من السبايا وابطل تلك العادة من  
ذلك اليوم. وعندى أن رجوع هذا الملك للحرق وتأثره بالنصيحة  
وتغلبه على نفسه من أعظم الصفات وأكرم الخصال والفضائل  
ومن ملوكهم جنة الاصغر بن المنذر الاكبر وكان  
يلقب بالمرق لانه احرق الحيرة لما أغار على أهلها ومنهم  
الحارث بن جبلة تملك من سنة ٥٢٩ لسنة ٥٧٢ ميلادية أوقع  
بنى كنانة وكان كثير المغازى والغارات على قبائل العرب  
كرما جوادا كثير المواهب حتى قيل إنه لم يجتمع من الشعراء  
بباب أحد من ملوك عصره ما كان يجتمع ببابه ويقال إن  
حسان بن ثابت الانصارى الشاعر المشهور - الذى عمرستين  
سنة فى الجاهلية وستين فى الاسلام - كان منقطعاً اليه  
وله فيه مدائح كثيرة وكان ابتداء ملكه فى زمن النعمان بن  
المنذر ملك الحيرة فكانت بينهما مغامرة فى الشرف وروى  
أنه قال يوماً لحسان بن سبيل الاختبار بلغنى أنك نسبت الى



النعمان رفعة شأن وفضلته على فقال : وكيف أفضله عليك  
 فوالله لقد لك أحسن من وجهه ولأمك أشرف من أبيه  
 ولا بؤك أشرف من جميع قومه ولشمالك أجود من يمينه  
 ولحرمانك أنفع من نداءه ولقليلك أكثر من كثيره ولثمادك  
 أشرع من غديره ولكرسيك أرفع من سريريه ولجدولك  
 أغور من بحره وليومك أطول من شهره ولشهرك أمد من  
 حوله ولحوالك خير من حقبه ولزندك أوري من زنده ولجندك  
 أعز من جنده وانك من غسان وانه من لحم فكيف أفضله  
 عليك وأعدله بك؟ فقال : يا ابن الفريعة - وهو اسم أم حسان -

هذا لا يسمع الا في شعر . فقال :

نبئت أن أبا منذر يساميك لالحرث الاصغر

قد لك احسن من وجهه وأمك خير من المنذر

ويسرى يدك على عسرهما كيمنى يديه على المعسر

وكان جوستانيان قيصر الروم وقتها يحبه ويكرمه حتى

لقبه بلقب الملوك وكان في عصره من الشعراء النابغة ولييد

وامرؤ القيس ولما مات ملك بعده النعمان بن الحرث وكنيته

ابو كرب اجتهد اكثر من اجداده في نشر النصرانية في  
 بلاده وكان عادلا شجاعا فاضلا كثير الخير قليل الشر حسن  
 الصورة والسيرة يحب العلماء ويقدمهم على اشراف الناس  
 وتوفي النعمان في بعض مغازيه قتيلا سنة ٥٨١ ميلادية  
 وآخر ملوك غسان جبلة بن الايهم تولى سنة ٦٣٦ كان  
 طويل القامة نحيف الجسم يلبس الثياب الفاخرة بنى مدينة  
 جبلة بين طرابلس واللاذقية وكان اسلم في ايام الخليفة الثاني  
 سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين افتتح الشام ثم  
 خرج الى مكة حاجا بمائتين وخمسين رجلا من قومه فلما قرب  
 من المدينة قلد أعناق خيله قلائد من الفضة والذهب ولبس  
 التاج ولما بلغ سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه قدومه  
 تآناه ورحب به ورفع مقامه حتى اذا كان يوم الطواف بالبيت  
 والناس يطوفون وهو من جملتهم اذ وطئ اعرابي من بني  
 فزارة طرف ازاره فانحل عنه الازار فغضب جبلة من ذلك  
 ولطم الفزارى لظمة هشم بها أنفه فتعلق به الرجل حتى قدما  
 الى عمر رضى الله عنه وشكا الفزارى حاله اليه فقال عمر لجبلة:



دعه يظلمك كما لظمته فقال جبلة ألا يفضل ملك على سوقة؟  
 قال عمر: كلا فان الاسلام سوّى بينكما. فغضب جبلة من  
 ذلك وصبر الى الليل حتى اجتمع بغلمانه وخرج بهم الى الشام  
 ومنها سار الى قيصر ملك الروم حتى هلك وبذا انقرض ملوك  
 غسان وأصبحت بلادهم عمالة اسلامية

**ملوك متصرفون بمجزيرة العرب** — جئنا على ذكر الدول  
 الثلاث الكبرى التي كانت حاكمة على أطراف بلاد العرب أي  
 مملكة اليمن ومملكة العراق ومملكة الشام. وما خلا هذه الدول  
 الكبيرة كان في بلاد العرب عدة ممالك صغيرة مستقلة  
 بأمرها ككندة ومعدّ وكلاب وغيرهم وقد وجد في بعض  
 ملوك هذه الممالك من اشتهر بالحكمة والعدالة الا أنه لم يبق  
 شيء يذكر من أخبارهم ولم يصلنا منها الا اشتغالهم بمحاربة  
 بعضهم بعضاً وسنتكلم على بعضهم

**ملوك كندة** — تنسب قبيلة كندة لثور بن عفير من بني  
 قحطان — وقيل له كندة لانه كند أباه أي حجد نعمته — أسست  
 مملكة نجد من سنة ٤٥٠ ميلادية وأول من أسسها حجر بن

عمرو والملقب بآكل المرار من ولد كندة المذكور وكانت  
 كندة قبل أن يملكها حجر بغير ملك فأكل قويمهم ضعيفهم  
 فلما تملك سدد أمورهم وساسهم أحسن سياسة وانتزع من  
 اللخمين ما كان بأيديهم من أرض بكر بن وائل ولقب  
 بآكل المرار لأنه كان بلغه أمر أغضبه فاستشاط وصار يأكل  
 المرار وهو نبات مر الطعم إذا أكلته الأبل تقلصت مشاferها  
 فتيل له ذلك وقيل لأن أمه قالت عنه : كأنه جمل قد أكل  
 المرار . لبغضها له

وملك بعده ابنه عمر وتلاه ابنه الحارث وكان معاصراً  
 لملك الفرس كسرى قباذ بن فيروز وظهر في أيام قباذ رجل  
 يقال له مردك دعا الناس إلى الزندقة فوافقهم قباذ وكان عمال  
 الفرس في الحيرة وفي الأنبار بنى لهم ملوك الحيرة من  
 العرب المنتصرة وكان العامل منهم لقباذ إذ ذاك المنذر ابن  
 ماء السماء فدعا قباذ المنذر إلى الدخول معه في مذهب مردك  
 فأبى فدعا الحارث بن عمرو الكندي فأجاب فطرد المنذر  
 وولى الحارث كما مر ذكره عند الكلام على ملوك الحيرة



فلما أفضى الملك الى كسرى أنوشروان سنة ٥٢٦ م قتل مردك  
وكل اتباعه وولى المنذر فخر الحارث فجرد عليه كسرى فرسانا  
من بني تغلب وبهراء واياد فنزل أرض كلب بين الحجاز والعراق  
فانتهبوا ماله وهجأته وساقوا معهم ٤٨ نفساً من أهله الى  
المنذر فضرب رقابهم . أما هو فنجا بنفسه ولجأ الى بني كلب  
الى ان مات ويقال انهم تتلوه وكان للحارث هذا خمسة بنين  
وهم حجر وشرحبيل ومعد يكرب وعبد الله وسلمة واتفق  
وهو عامل لقباذ في الحيرة ان القبائل في نجد وما والاها - وفيهم  
بنو أسد وغطفان وبكر وحنظلة ودارم وتغلب والنمر بن قاسط  
وغيرهم - اختلفوا فيما بينهم فجاء اشرافهم الى الحارث يحكمونه  
على أن يولى عليهم أبناءه فأجاب دعوتهم وولى كلا من ابنائيه  
على قبيلة أو أكثر من هذه القبائل فكان حجر على بني أسد  
وغطفان فوضع عليهم الاتاة الجزية في الجاهلية فقبلوها في أول  
الامر ثم انتقضوا عليه وأبو دفعها وكان ححر اذ ذلك في تهامة  
فبعث اليهم الجابي فضربوه وجرحوه فجرد عليهم جندا من  
رجال اخوته فاعمل فيهم العصا وأباح أموالهم وقادهم الى تهامة

فصبروا على الضيم وتأصروا وقالوا: والله لئن تهر كم هذا ليحكمين  
عليكم حكم الصبي فما خير عيش يكون بعد تهور وأتم بحمد الله  
اشد العرب فوتوا كراما . وساروا حتى تمكنوا من حجر  
فتلوه شر قتلة بخر طويل لا محل له هنا وكان لحجر هذا  
غلام اسمه امرؤ القيس أمه فاطمة أخت كليب ومهلل ابني  
زهير التغلبيين وكليب هو الذي كانت تقول العرب فيه :  
أعز من كليب . وبقتله هاجت حرب بكر وتغاب . وكان  
امرؤ القيس زكي الفؤاد شاعرا منلقا وكان ملوك العرب في  
تلك الايام يأنفون من الشعر أن يقولوه هم أو يقوله أولادهم  
وكان امرؤ القيس كلما به حتى نبي منصب والده ومنزلته  
من السيادة والقوة فطرده والده وآلى على نفسه أن لا يقيم  
معه فكان امرؤ القيس يسير في احياء العرب ومعه جماعة  
من لفيق القبائل من طيء وكلب وغيرهم وفيهم المغنون والندماء  
والشعراء فيطوفون احياء العرب فاذا اتوا غديرا او روضة  
نزل وذبح الذبائح لرفاقه وخرج للصيد فتصيد وعاد فأكل  
وأكلوا معه وشرب الخمر وسقاهم فلا يزال كذلك أياما ثم



ينتقل الى مكان آخر ولما قتل أبوه كان في مكان يقال له دمون  
 في ارض اليمن مع نديم له يسميه الخمر ويلاعبه بالترد فجاءه  
 الرسول بنخبر والده فلم يلتفت الى قوله بل أمسك نديمه وقال  
 له : اضرب فضرب حتى اذا فرغ من غنائه قال له : لم أشأ  
 أن أفسد عليك دستك . ثم سأل الرسول عن امر ابيه فأخبره  
 فقال : الخمر على النساء حرام ولا أدهن بدهن ولا أغسل  
 رأسي من جنابة حتى اقتل من بني اسد مائة وأجزع نواصي  
 مائة . واعتم بالعمامة السوداء وكان امرؤ القيس اذ ذلك في  
 نحو العشرين من عمره فارتحل الى بكر وتغلب في شرق نجد  
 — وبنو تغلب أخواله لان أمه منهم كما تقدم — واستنجد لهم فبشوا  
 له العيون والارصاد على بني اسد وكان بنو اسد مقيمين في  
 بني كنانة فعلموا بذلك فارتحلوا في بعض الليالي وبنو كنانة  
 لا يعلمون وكانت العيون قد انبأت امرؤ القيس بأن بني اسد  
 في كنانة فحمل بنو بكر وتغلب حتى جاء الحى وهجم على أهله  
 ووضع السلاح فيهم وهو يقول : يا لثارات الملك يا لثارات  
 الهمام . فخرجت اليه عجوز من بني كنانة فقالت : أبيت اللعن

لسنا لك بشار: نحن من كنانة . فعلم أنهم فرّوا فتعقبهم ولم  
يدركهم ثم غادر بكرًا وتغلب واستنصر ازد شنوءة فأبوا أن  
ينصروه وقالوا: بنو أسد اخواننا . فنزل بملك يقال له مرثد الخير  
من بني حمير وكانت بينهما قرابة فاستمده علي بن أسد فأمده  
بخمسة رجل من حمير ثم مات مرثد قبل رحيل امرئ  
القيس بالجيش وخافه رجل من حمير يقال له قرمل بن الحميم  
فأظهر رغبته عن نصرته فهم امرؤ القيس بالانصراف فحجل  
قرمل وانفذ معه الرجال وتبعه اخلاط من العرب ومستأجرين  
منهم فسار بهم الى بني أسد ويقال انه صرفى طريقه بمكان يقال له تباله  
فيه صنم تعظمه العرب اسمه ذو الخصلة فاستقسم عنده بقداحه  
فأصاب أن لا يذهب لجمع القداح وكسرها وضرب بها وجه  
الصنم وسار حتى اتى بني أسد فظفر بهم واخذ بشار ابيه فشكوا  
أمرهم الى المنذر فبعث جندا في طلبه من أياد ومهراء وتنوخ فلم  
يظفروا به فأمدهم كسرى بجيش من الاساوره فسر حهم المنذر  
في طلبه فخاف انصار امرئ القيس الحميريون وتفرقوا عنه فنجوا  
هو وبعض اقاربه والتجأ الى الحارث ابن شهاب من بني يربوع



وكان مع امرئ القيس خمس أدرع كانت لبني آكل المرار  
ملوك كندة يتوارثونها ملكا عن ملك . فلم يكادوا يقيمون  
عند الحرث حتى يبعث المنذر اليه أن يسلمهم أو يحاربهم فاخرجهم  
ونجا امرؤ القيس ومعه ابنته هند والأدرع والسلاح ومال  
كان بقي معه فخرج على وجهه يستنصر القبائل فجاء سعد بن  
الضباب سيد بني اباد — وسعد هذا أخو امرئ القيس من  
أبيه لان أمه كانت تحت حجير أبي امرئ القيس فطلقها وهي  
حامل فتزوجها الضباب فولدت سعدا على فرشه ومن عادة  
العرب ان ينسبوا المولود الى القراش الذي يولد عليه — فأقام  
امرؤ القيس عند أخيه هذا أياما ثم تحول عنه الى ارض طى  
في شمالى نجد عند رجل من بني جديلة اسمه المعلى وأقام هناك  
زمننا طويلا ثم ارتحل الى غيرهم وما زال يرحل من حى الى  
آخر بأدرعه وسلاحه وماله فرارا من المنذر حتى وصفوا له  
السموأل ابن عادياء الاسرائيلي المشهور بالوفاء صاحب حصن  
الابلق بتياء والحصن بناه عادياء جد سموأل واحتفر فيه  
بئرا وكانت العرب تنزل فيه ضيوفاً ياكلون ويشربون أياما

ويقيمون فيه سوقا فوفد امرؤ القيس على السموأل بانته هند  
وبضعة من أهله فضرب السموأل قبة انزل فيها هندا وانزل  
الرجال في مجلس له براح فأقام عنده اعواما على الرحب والسعة  
والمندر لا يزال يطلبه ويبحث عنه فأشار بعضهم على امرئ  
القيس ان يلتجئ الى قيصر الروم يستنصره على المنذر وكانت  
بين الروم والفرس عداوة كما لا يخفى وكان عامل الروم على  
الشام الحارث بن ابى شمر الفسائى الاكبر فتقدم امرؤ القيس  
الى السموأل ان يتوسط له عند الحارث ليوصله الى القيصر  
— امبراطور الرومانيين — ففعل وسار امرؤ القيس ومعه رجل  
يدله على الطريق واستودع السموأل ابنته هندا وسائر بنيه وأدرعه  
وماله وكان قد بلغ المنذر نزول امرئ القيس عند السموأل  
فوجه الحارث بن ظالم فى خيل للقبض عليه ثم علم بخروجه  
الى القيصر فأمره ان يأتى بادراعه وماله فوصل الحارث بن  
ظالم الى حصن الابلق فمنعه السموأل من الدخول واقتل  
الحصن دونه فضرب الحارث اطنابه خارج الحصن وكان  
للسموأل ابن خرج للصيد فى صباح ذلك اليوم فلما رجع قبض



الحارث عليه وقال للسموأل - وقد اطل من فوق السور -  
 اتعرف من هذا؟ قال نعم هذا اني: قال افتسلم ما عندك لامريء  
 التيس أم اقتله؟ قال شأنك به فلبست اخفر ذمتي ولا اسلم مال  
 جاري! فنصح له ان يسلم الادرع اثلا يقتل الغلام فأبى فتناول  
 سينا وضرب به وسط الغلام فقطعه قطعتين وانصرف عنه  
 وفي ذلك يقول سموأل

وفيت بادرع الكندي اني اذا ما ذم اقوام وفيت  
 واوصى عاديا يوما بأن لا تهدم ياسموأل ما بنيت  
 بنى لي عاديا حصنا حصينا وماء كلما شئت استقيت  
 اما مرؤ التيس فانه سار حتى انتهى الى القسطنطينية وفي  
 اثناء سيره مل رفيقه فقال امرؤ القيس

تقطع اسباب اليبانة والهوى عشية جاوزنا حماة وشيزرا  
 بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن انا لاحقان بقيصرا  
 فقات له لا تبك عينك انما نحاول ملكا او نموت فنعدرا  
 فلما وند على القيصر استقبله واكرمه لما عرف من نسبه  
 وشرفه وأخبره امرؤ التيس بخبره وما جاء من أجله فأبجده

بجيش وقوة ولكن بنى اسد ما اتكوا يراقبون حركاته  
وسكناته فلما علموا بوفوده على القيصر بعثوا رجلا منهم اسمه  
الطماح ليفسد عليه امره - وكان امرؤ القيس قتل أخاه - فجاء  
المسطنطينية مستخفيا فلما علم بما لاقاه من النجدة وشى به  
لدى بعض رجال الدولة واتهمه أنه هوى بنت القيصر وقال  
فيها اشعارا الى غير ذلك فيقال ان القيصر لما بلغه ذلك بعث  
الى امرئ القيس بحلة منسوجة بالذهب جعل فيها سما يتصل  
منها الى بدنه وقال له انى بعثت اليك بحلتى التى كنت البسها  
تكرمة لك فاذا وصلت اليك البسها باليمن والبركة واكتب  
الى بخبرك حيثما نزلت فلما وصلت اليه لبسها فتمطر بدنه وصار  
يحمل فى محفة ولذلك قال :

لقد طمىح الطماح من بعد أرضه      ليلبسنى من رأيه ما تلبسا  
فبدلت قرحا داميا بعد صيمة      فيالك من نعمى تحولت أبؤسا  
وما زال امرؤ القيس سائرا حتى وصل انقرا فى آسيا  
الصغرى فاشتد به المرض وعجز عن المسير فأقام هناك وقد  
أيقن بدنو الاجل ويقال إنه شاهد فى سفح جبل اسده عسيب



بأثرا قبر الامرأة من بنات الملوك ماتت هناك ودفنت فيه  
فأنشد :

اجارتنا ان الخطوب تنوب      واني مقيم ما اقام عسيب  
اجارتنا انا غريبان ههنا      وكل غريب للغريب نسيب  
فان تصلينا فالترابة بيننا      وان تصر مينا فالقريب غريب  
ثم مات ودفن هناك وعاد الجند الى القسطنطينية فلما  
بلغ السموأل خبر وفاته سلم الادرع والمال وكل ما خلفه  
امرؤ القيس الى عصبته وكانت وفاته سنة ٥٣٠ مسيحية وقيل  
سنة ٥٤٠ وموته وبموت أبيه من قبل انهزمت بنو كندة وكان  
آخر العهد بهم

وكان امرؤ القيس حسن الصورة جميل الخلق تزوج  
مرارا ولكنه كان شديد الغيرة على بناته فاذا ولدت له ابنة  
وأدها فلما رأى ذلك نساؤه غيبن بناتهن في أحياء العرب  
وبلغه ذلك فتبعهن حتى قتلهن ولم يبق الاهندا المتقدم ذكرها  
وأما شعره فانه جمع الى فصاحة الجاهلية وبلاغتها رقة أهل  
الحضر . ولما ظهر الاسلام كان حديث امرى القيس متداولاً

في احياء العرب اقرب عهدده منهم فلما سمع النبي صلى الله عليه وسلم بشعره قال : هو رجل مذكور في الدنيا شريف فيها مذسى في الآخرة خامل فيها يجيئ يوم القيامة ومعه لواء الشعراء الى النار . وكان مبتكرا في الشعر له فيه الاختراعات الحسنة وقد مر ذكره عند التكلم على أصحاب المعلقات ومن شعره في معانيته .

أفأطم مهلا بعض هذا التدلل وان كنت قد ازمت صرعى فاجلى  
أغررك منى ان حبك قاتلى وأنك مهما تأمرى التلب يفعل  
وانك قسمت الزواد فنصفه قتيل ونصف في حديد مكبل  
فان تك قدساءتك منى خلية فسلى ثيابى من ثيابك تنسل  
وما ذرفت عينك الا لتضربى بسهميك فى أحشاء قلب مبتل  
وصن ماوك العرب المتفرقين أيضا - عمرو بن لحي بن

حارثة من ولد كهلان بن سبأ كان ملكا فى الحجاز شائع الذكر فى الجاهلية واليه تنسب خزاعة فىقال انها من سلالته وكان جلوسه على سرير الملك سنة ٢٠٧ مسيحية وهو أول من أتى بالاصنام الى مكة من أرض الشام واقامها فى البيت الحرام



ودعا الناس الى تعظيمها والتقرب اليها والتوسل بها وكان  
ينكر بعث الاجسام وهو القائل : *ما بعث الله نبيا*  
حياة ثم موت ثم حشر *حديث خرافة* يا أم عمرو  
ومنهم أيضاً زهير بن حباب بن هبل قيل له الكاهن  
لصحة رأيه وهو من اهل اليمن واحده من اجتمعت عليه قضاة  
وأطاعته غزوات كثيرة وكان شجاعا سعيدا في غزواته  
وفد على أبرهة الاشرم الحبشى فأكرمه وفضله على من  
أتاه من العرب وقلده امامة بنى بكر وتغلب ابني وائل واستمر  
زهير اميرا عليهم حتى خرجوا عن طاعته فغزاهم وتتل فيهم  
وكانت جموع العرب تحارب معهم وجرى له مع المذكورين  
حروب يطول شرحها واخيرا انتصر عليهم وهزمهم وأسر  
كليبا ومهلهلا ابني ربيعة وجماعة من فرسانهم ووجوههم وغزا  
ايضا بنى غطفان حينما جعلوا لهم حرما مثل حرم مكة وولوا  
سدانته بنى مرة بن عوف وانتصر عليهم واسرهم واخذ فارسا  
منهم في حرمهم فقتله وعطل ذلك الحرم  
وقد عمر زهير عمرا طويلا فلما أسن استخلف ابن أخيه

عبدالله بن عليم لانه لم يكن له ولد فقال زهير يوما الا ان  
الحى ظاعن فقال عبد الله ألا إن الحى مقيم فتال زهير من  
هنا المخانف على فقالوا ابن أخيك فقال : اعدى المرء للمرء  
ابن أخيه وانشأ يقول :

الموت خير للفتى فلهلكن وفيه بقية  
من ان يرى الشيخ الكبير اذا تهادى فى العشية  
من كل ما نال الفتى قد نلته الا التحية  
وقال أيضا :

لقد عمرت حتى ما أبالى اختفى فى صباح ام مساء  
وحق لمن أتت مثنان عاما عايه ان يحل من الثواء  
ثم شرب الخمر صرفا حتى مات

ومنهم كليب وائل بن ربيعة بن الحارث بن زهير كان  
سيد بنى ربيعة فكانوا لا ينزلون ولا يرحلون الا بأمره وكان  
عزيزا مهيبا بينهم لا توقد نار مع ناره ولا ترد ابل مع ابله  
ولا يجتبي فى مجلسه ولا يتكلم الا ان يسأل وكان يلتقى كلبا  
صغيرا فى اطراف مراعيه فاذا اقبل الرعاة وسمعوا صوته



تأخروا عنها وقالوا هذا كليب وائل فكثير استعمال ذلك حتى صار لقباله وكان مسكنه بتهامة ثم داخله زهو شديد وبني على قومه فصار يحمي عليهم مواقع السحاب فلا يرعى في حماه أحد ويقول وحش ارض كذا في جوارى فلا يصاد وبقى كذلك الى أن رأى يوما بجوار ابله ناقة لرجل من بني جرم اسمه سعد بن شمر فأنكرها ورماها بسهم أصاب ضرعها فوات حتى بركت بفناء صاحبها وضرعها يشخب دما ولبنا فلما رآها صاح نخرجت البسوس — بنت منقذ التميمية خالة جساس بن مرة وكانت جارة الجرمي — ونظرت الى الناقة فلما رأت ما بها ضربت يدها على رأسها ونادت واذلاه وانشأت تقول :

لعمرك لو اصبحت في دار منقذ لما ضيم سعد وهو جار لا ياتي  
ولكنني اصبحت في دار غربة متى يعد فيها الذئب يعد على شاتي  
فيا سعد لا تغرر بنفسك وارحل فانك في قوم عن الجار اموات  
فلما سمع جساس قولها اسكتها وصار يتربص لكليب  
حتى باغته يوما وقتله ورجع الى قومه وفرسه يركض تحته

وقد بدت ركبتاه فلما نظره أبوه مرة قال لقومه قد اتاكم  
 جساس بدهية: ما رأيته قط بادي الركبتين الا اليوم ثم سأله  
 عما فعل فقال طعنت طعنة يجتمع بنو وائل غدا لها رقصا. فسأله  
 ومن طعنت لأمك الشكل؟ قال قتلت كلييا. قال بئس والله  
 ما جئت به قومك ثم ان مرة دعا قومه الى نصرته فأجابوه  
 وكان همام ولده الثاني ومهلهل اخو كليب في ذلك الوقت  
 يشربان الخمر مع بعضهما فبعث مرة جارية من عنده تخبره  
 الخبر سرا وتأمره بالحضور خوفا عليه من القتل فلما انتهت  
 اليه الجارية أشارت اليه وأخبرته بما صار فسأله مهلهل عما قالت له  
 الجارية— وكان بينهما عهدان لا يكتم احدهما شيئا عن الآخر—  
 فذكر له الخبر فقال له مهلهل: إست اخيك اضيق من ذلك  
 ولكن إشرب فالיום خمر وغدا أمر. واقبل على شرابهما  
 فشربا فلما سكر مهلهل خاف همام منه وانصرف الى أهله  
 وساروا الى جماعة قومهم من بني بكر وظهر أمر كليب فشقت  
 النساء عليه الجيوب وخرجت الالبكار وذوات الخدور من  
 البيوت يندبنه وأخيرا اجتمع مهلهل على قومه من تغلب وشمر



جساس وجرت بين الفريقين عدة وقائع قتل فيها من الفريقين خلق كثير واستمر الحال على ذلك الى أن كان المهلهل راجعاً من اليمن الى ديار قومه وكان منفردا ليس معه أحد فلقبه عوف ابن مالك من البكرين وكان نازلا بنواحي مدينة يثرب فأخذه فمكث في أسره ما شاء الله ومات . هكذا قيل : وقيل بل كان قد أسن وله عبدان يخدمانه فخرج بهما يريد سفرا حتى اذا نزل في بعض القلوات نام تحت ظل شجرة وكان العبدان ملا من خدمته ولطول بلائه لهما عزم على قتله وأحس بذلك مهلهل ولم يجد بدا من الخلاص فقال لهما اذا اتيتما الحى فقولوا هذا البيت

من مبلغ الاقوام ان مهلهلا لله دركما ودر بيكما  
 فقتلاه ورجعنا حيه فسألها أهله أين سيدكما قالا مات  
 بأرض كذا فدفناه بها واديا الشعر الذي قاله لهما فقالوا ما هذا  
 شعر مهلهل لانه لا معنى له وفكرت فيه بنت له تسمى سلمى  
 فقالت والله ما كان أبى ردى الشعر ولا سنساف الكلام  
 وانما أراد به أن يخبركم ان العبدين قتلاه وهو يريد

من مبلغ الاقوام ان مهلهلا أضحي قتيلا في الفلاة مجندلا  
 لله دركما ودر بيكما لن ييرح العبدان حتى يقتلا  
 فضر بوا العبدين فأقرا بقتله فقتلوهما فيه وبذا انتهت  
 الحرب بين بني تغلب وبني بكر المشهورة بحرب البسوس  
 نسبة الى من كانت السبب في اضطرارها بعد أن دامت بين  
 القوم اربعين سنة من سنة ٤٩٠ لسنة ٥٣٠ مسيحية فيكم من  
 نفس بريئة قتلت ومن دماء سفكت ومن روح زهقت  
 وقبائل ضعفت!! وما منشأ كل ذلك سوى الظلم والاسترسال  
 في البني والغلو في الانتقام واكن قدر فكان  
 ومن ملوك العرب قيس بن زهير بن خزيمه العبسي  
 كان من دهاة العرب وكان يقال له قيس الرأي لصحة رأيه  
 ووفور حكمته استولى على ملك بن زهير بعد قتله في بني عامر  
 حتى وقعت الحرب بين بني عبس وفزاره بسبب سباق الخيل  
 كما مر في غير هذا الفصل فاجتق بنو النمر بن قاسط وكان  
 قد افتقر وساءت حالته فاقام بينهم وتنصر وما زال عندهم الى  
 أن مات . والى هنا نتنصر في ذكر ملوك العرب فاننا لو



حاولنا ذكرهم جميعاً او ذكر كل القبائل القحطانية التي سكنت  
جزيرة العرب لما استطعنا لذلك سبيلاً ويلزم لذلك مجلدات  
فالاقتصار أولى

### ﴿ الفصل الرابع ﴾

( طبقة العرب الباقية )

#### العرب المستعربة

أسباب مجيء اسماعيل عليه السلام الى مكة — مصاهرته لبني جرهم بن  
قحطان — عمارة البيت الحرام بمكة — أمراء الحجاز وولاية البيت وسدانة  
الكعبة — فضل قريش على من عداها واجتماع مناصب الشرف فيها —  
اغارة الحبشة على مكة — واقعة الفيل — ولادة النبي صلى الله عليه وسلم .  
رضاعه ونسبه ونشأته وتربيته وحالته وسيرته بين قومه حين بعثته — مجمل  
أحوال العالم في ذلك العهد

اسباب مجيء اسماعيل عليه السلام الى مكة ومصاهرته  
لبني جرهم — زوى ان ابراهيم عليه السلام استمر دهرها  
طويلاً لا يولد له ولد فوهبت له زوجته سارة جارية لها  
اسمها هاجر وهبها اياها عزيز مصر حين وفد عليه ابراهيم

وزوجته في خبر ليس هذا محل ذكره وقالت له حين وهبته  
 إياها: انى حرمت من الولد فلعل الله ان يرزقك منها ولد اتقر  
 به عينك. فأحبها ابراهيم لجمالها وعقلها ودينها فلما حمت باسما عيل  
 وولده أخذت سارة الغيرة وقالت لزوجها: ان الله تبارك وتعالى  
 جعل صداقى عليك رضاي وطاعتى وأنا أمرك ان تحمل هذه  
 الجارية وابنها الى بلد لا ماء فيه ولا زرع فتسكنهما فيه. قال  
 افعل ذلك فأمر الله تعالى ابراهيم بالمسير الى مكة فساروا  
 وانزلها هناك والبيت يومئذ ربوة حمراء مشرفة على ما سواها  
 ولم ينزل ابراهيم عن مطيته فنادته هاجر: يا نبي الله الى من  
 تكلمنا؟ قال الى الله تعالى واستودعكما اياه. فقالت له: آله أمرك  
 بهذا؟ قال نعم قالت: اذا لا يضيعنا. فرجع ابراهيم الى الشام ولما  
 ولى قال - كما ورد في القرآن الكريم - : «رب انى اسكنت من  
 ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة  
 فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات  
 لعلهم يشكرون» ثم ان هاجر أقامت عمريشة وكان معها وعاء فيه ماء  
 فنهد الماء وعطشت هي وولدها عطشا شديدا واخذت تتردد بين



الصفى والمرورة مهرولة بين الميلىن الاخضرين الموجودين للآن  
 — والمهرولة باقية للآن فى السعى من مناسك الحج تذكاراً لما  
 حصل من هاجر فى ذلك الحين — ثم تضرعت الى الله تعالى  
 فانفجرت لها عين زمزم فأخذوا يشربان منها زمنا وكانت بنو  
 جرهم — وهو الذى كان ولاه أبوه قحطان على الحجاز كما قدمنا —  
 بواد قريب من مكة فلما شاهدوا الطير تحوم حول الوادى بعد  
 ان كانت لا تأوى اليه قالوا ما لزمته إلا وفيه ماء فجاءوا الى  
 اسماعيل وأمه فأخبرتهم بخبرها فقالوا لولا أن هذا الغلام كريم  
 على الله تعالى ما نبع له الماء من هذا المكان واستأذنوا منها أن  
 ينتقلوا بأهاليهم فيقيموا معها وان هذا الغلام متى اراد اخراجهم  
 من هذا المحل خرجوا منه واشتروا له عليهم المواساة فى  
 أموالهم ورثاسته عليهم عند ادراكه فانتقلوا جميعا وابتنوا  
 المنازل والبيوت ونشأ اسماعيل مع أولادهم وكانت لغتهم  
 العربية الصحيحة — وهى لغة أولاد بنى معد التى نزل بها القرآن  
 الشريف — فتعلمها منهم ثم لما بلغ الاربعين بعث الى العماليق  
 وجرهم وقبائل اليمن وكانوا يعبدون الاوثان فأمن بعضهم

وذهب كثير من العلماء الى أن اسماعيل عليه السلام هو الذبيح وان ذلك كان في شعب من مكة وأنه فدى بكبش وذهب آخرون الى أن الذبيح كان اسحاق .

وقد صاهر اسماعيل بنى جرهم وولد له من رعدة بنت مضاى اثنا عشر ذكراً وبنت ومات بمكة ودفن ما بين الميزاب والحجر الى جنب قبر أمه هاجر

عمارة البيت الحرام بمكة — كان ابراهيم يزور ولده اسماعيل عليهما السلام من وقت لآخر ولما زاره آخر مرة أمره الله تعالى ببناء البيت الحرام وأرسل له السكينة—وهي ريح خجوج—فسار معها ابراهيم حتى انتهت الى موضع البيت فبنى ابراهيم وساعده اسماعيل وكانا كلما بنيا دعوا الله. « ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم » فلما ارتفع البنيان وضعف ابراهيم عن رفع الحجارة قام على حجر وهو مقام ابراهيم ولما فرغ من بناء البيت أمره الله تعالى بالآذان كما ورد في قوله تعالى : وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل



ضامر يأتين من كل فج عميق . وانصرف ابراهيم الى الشام  
ومات هناك

أمراء الحجاز وولاية البيت وسدانة الكعبة وفضل قريسه  
على من عداها واجتماع مناصب الشرف فيها - اختلف  
المؤرخون في أمر الملك على الحجاز بين جرهم وبنى اسماعيل  
فمن قائل ان الملك كان في جرهم ومفتاح الكعبة وسدانتها  
مع بنى اسماعيل ومن قائل ان قي دار - أحد اولاد اسماعيل  
الاشتى عشر - توجهت اخواله جرهم وماكوه عليهم بالحجاز . وقد  
كانت سدانة البيت الحرام ومفاتيحه في بنى اسماعيل بلا خلاف  
حتى انتهى ذلك الى نابت من ولد اسماعيل فتغلب عليه بنو  
جرهم وأخذوها منه وبقيت فيهم حتى بغوا واستحلوا حرمة  
البيت وظلموا من دخل مكة من الحجاج وغيرهم وظهر فيهم الزنا  
والفساد فسلط الله عليهم الرعاف وأضعفهم . ثم اجتمعت خزاعة  
لما خرجت من اليمن ونزلت بمكة وأخرجت جرهما من الحرم  
وبقيت ولاية البيت وسدانة الكعبة في خزاعة الى أن أخذها  
منها قصى - الجد الخامس للنبي صلى الله عليه وسلم - وبعد أن

صار في يد قصى ولاية البيت ومفتاح الكعبة جمع قبائل  
 قريش وكانت متفرقة في البوادي وأسكنها الحرم وكانت  
 تدعى قبل التجميع النضر بن كنانة وسماها قريشاً من التقريش  
 وهو التجميع وقال بعضهم إنما سميت قريشاً لدابة في البحر  
 هي أعظم دوابه خطراً لا تظفر بشيء من دواب البحر إلا  
 أكلته فسميت قريش بهذا الاسم لأنها كانت أعظم العرب  
 بمكة وقال بعضهم أيضاً إن هذا الاسم مأخوذ من التجارة  
 لمعاظة أهل قريش التجارة زمن الجاهلية .

وأول دار بنيت بمكة دار الندوة وتسمى دار المنتدى  
 بناها قصى لتكون مجلس القوم نهاراً يجتمعون فيها للمشاورة  
 في الأمور المهمة وهو الذي بنى المسجد الحرام بجبل المزدلفة  
 وكان يسرج عليه أيام الحج فسماه الله مشعراً وأمر بالوقوف  
 عنده وتنتهي قبائل قريش إلى فهر بن مالك . وكان قصى  
 يعشر من دخل مكة من غير أهلها فاجتمع لقريش في ذلك  
 الوقت الرئاسة على قومهم وأطاعتهم العرب واجتمع لهم ما لم  
 يجتمع لغيرهم من مناصب الشرف في ذلك الوقت وهي الحجابة



والسقاية والرفادة والندوة واللواء والقيادة: فالحجابه هي سدانة البيت الشريف أى تولية مفتاح بيت الله . والسقاية اسقاء الحجج كاهم الماء العذب وكان نادرا بمكة يجلب اليها من الخارج لسقاية الحاج . وأما الرفادة فهي اطعام سائر الحجاج فكانت تمد لهم الاسمطة في أيام الحج . وأما الندوة فهي الشورى فكان يجتمع فيها من قريش ومن غيرهم من العرب وأهل الرئاسة من بلغ من العمر أربعين سنة فما فوق ولا يعتد عقد نكاح من قريش الا بها . أما اللواء فراية معقودة على رمح ينصبونه علامة على اجتماع الجيش لحرب الاعداء فيجتمعون تحت هذه الراية ويقايلون عندها . والقيادة امارة الجيش ورئاسة الحرب

فكانت هذه هي مناصب الشرف فى الجاهلية وانتهت الى عشرة أبطن من قريش وكلهم من أولاد قصي الذى أسس وحدتهم وجمعهم وأوجد لهم هذه الوظائف وبقيت لهم فى الاسلام كذلك والعشرة ابطن هم: هاشم وأمىة ونوفل وعبد الدار وأسد وتيم ومخزوم وعدى وجميع وسهم

ولما كبر قصى وكان ابنه عبد مناف ساذ قومه وانتهت  
اليه الرئاسة في حياة أبيه شكا اليه عبد الدار ولده الثاني ضعفه  
في قومه فاعطاه دار الندوة وحجابه الكعبة واللواء والسقاية  
والرفادة. أما اللواء فبقي في بنيه إلى أن جاء الاسلام فأبطله  
وأما الرفادة والسقاية فان بنى هاشم وبنى عبد شمس وبنى  
المطلب وبنى نوفل أولاد عبد مناف أجمعوا على أخذها من  
بنى عبد الدار لشرفهم عليهم فتنفقت قريش مع النريقين  
فكان بنو زهرة وبنو أسد وبنو تميم وبنو الحرث مع عبد  
مناف وكان بنو سهم وبنو جمح وبنو مخزوم وبنو عدى مع  
بنى عبد الدار وتحالف كل فريق مع حزبه وتهايأوا للاتال ثم  
انتهوا الى الصلح على أن يكون السقاية والرفادة لبنى عبد مناف  
فكانتا بعده في هاشم ابنه ثم للمطلب أخيه ثم لابي طالب  
ثم أعطاهما لآخيه العباس واما دار الندوة فبقيت لعبد الدار  
وولده من بعده حتى جعلت دار الامارة بمكة ثم دخلت الحرم  
فيما بعد وأما الحجابة فبقيت في بنى عبد الدار الى الآن وهم  
بنو شيبه بن عثمان بن أبي طلحة بن عبد العزيز بن عثمان بن



عبد الدار - ويقولون أن أول عداوة بين أمية بن عبد شمس  
 وبين أخيه هاشم هو أنه لما كان لهاشم السقاية والرفادة  
 حسده أخوه المذكور على سيادته وإطعام الطعام ونافره  
 فتحا كما إلى الكاهن الخزاعي بعسفان على خمسين ناقة والجلاء  
 عن مكة عشر سنين فقتل الكاهن لهاشم فأخذ الأبل  
 ونحرها وأطعمها الناس ورحل أمية إلى الشام عشر سنين  
 فكانت أول عداوة بينهما

ولنتقتصر هنا أيضاً على ما ذكرنا من قريش وبطونها  
 إذ لا يسعنا مهما طولنا أن نأتي على ذكر كل القبائل العدنانية  
 فعدها يجلب عن الحصر والاقتصار على ما أوردنا أولى

اغارة الحبشة على مكة وواقعة الفيل - سبق لنا عند  
 ذكر تغلب الحبشة على القوم بأن أبرهة الأشرم ملك الحبشة  
 اغار على مكة المشرفة يريد هدم الكعبة وكان بنى كنيسة  
 يصنعاء اليمن لما كان مستولياً عليها واران يصرف إليها  
 الحاج فخرج رجل من بنى كنانة فقمعد فيها ليلاً وقضى حاجته  
 بها فأغازه ذلك وحلف ليهدم الكعبة فخرج ومعه جيش

عظيم وفيه المشهور وأثنا عشر فيلا غيره فلما قرب من مكة خرج لهم أبو رغال الملعون وهو من عرب قريش ليخون وطنه ويدل أعداءه على طريقة الدخول لمكة فكان هو أوّل من مات وأوّل من خان من العرب ولذلك رجعت العرب قبره كما يرجه للآن كل الحجاج حتى صار ذلك من مناسك الحج . فانظر بأى عين كان العرب ينظرون الى رذيلة الخيانة التي تأبأها طباعهم ! وفي رمى الجمار هذا اشارة خالدة الى الابد لهذه الخيانة عبرة لمن يعتبر ! ثم ان أبرهة لما اشرف على مكة شن الغارة على اطرافها كما هي العادة فسأقت خيل له مائتين بعيرا لعبد المطاب - جد النبي صلى الله عليه وسلم - وكان هو الامير وقتها فهم اهل الحرم لتتاله ثم عرفوا انهم لا طاقة لهم به فتركوه وبعث أبرهة إلى أهل مكة يقول لهم : إني لم آت لحربكم وإنما جئت لهدم هذا البيت فان لم تتعرضوا دونه بحرب فلا حاجة لي بدمائكم . فقال عبد المطاب لسفيره : والله لا نريد حربا وما لنا به من حاجة هذا بيت الله وبيت خليله ابراهيم صلى الله عليه وسلم فهو يحميه ممن يريد هدمه .



ثم خرج عبد المطاب الى ابرهة وكان عبد المطاب جسيما وسيا  
 جليلا مارآه أحد الا أجه وكان مجاب الدعوة فقيل لا برهة  
 هذا سيد قريش الذي يطعم الناس في السهل ويطعم الوحش  
 والطيور في رؤس الجبال فلما رآه اجه واجلسه معه على سيره  
 ثم قال لترجمانه قل له سل حاجتك فقال: حاجتي أن يرد الملك  
 على ابي. قال له ابرهة: قد كنت اعجبتي حين رأيتك ثم زهدت  
 فيك حين كلمتني! أتكلمني في مائتي بعير وتترك بيتا هودينك  
 ودين آبائك قد جئت لهدمه فلم تكلمني فيه؟! فقال عبد المطاب  
 إني انا رب الابل اما البيت فله رب يحميه. فرد ابرهة على  
 عبد المطاب ابله ثم انصرف الى قريش فأخبرهم الخبر وامرهم  
 بالخروج من مكة الى الجبال ثم قام فأخذ بمائة باب الكعبة  
 ودعا الله تعالى قائلا:

لاهم ان العبد يمنع	رحله فامنع رحالك
وانصر على آل الصليب	وعابديه اليوم آلك
لا يغلبن صليبهم	ومحالمهم ابدأ محمالك
ولئن فعلت فانه	أمر تتم به فعالك

أنت الذي ان جاء با غ نرتجيك له فذلك  
لم أستمع يوما بأر جس منهم يبغوقتالك  
جروا جموع بلادهم والفيل كي يسبوا عيالك  
عمدوا حماك بكيدهم جهلا ومارقبوا جلالك  
ان كنت تاركهم وكم بتنا فأمر ما بدالك

ثم ارسل حلقة الباب وانطلق هو ومن معه من قريش  
الى الجبال ينظرون ما أبرهة فاعل بمكة اذا دخلها . فحينئذ  
جاء برهان الله سبحانه وتعالى وحتت كلمته وبينما شمر أبرهة  
لدخول مكة وهدم البيت وقدم فيله محمود (١) امام جيشه  
اذ فجأهم ما قص الله تعالى في سورة النمل من ارساله الطير  
الابابيل عليهم ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف ما كول  
وتساقطوا بكل طريق وهاكوا على كل نهل وأصيب أبرهة  
حتى تساقط انامله انملة انملة وقدموا به صنعاء وهو مثل فرخ  
الطائر فامات حتى انصدع قلبه عن صدره

( ١ ) نوع من الفيلة عظيم الحلقة انقرض الآن اسمه بالفرنكية

Mamoth وحرفته العرب الى محمود



وفي هذه السنة - أي سنة الفيل - ولد النبي صلى الله عليه  
وسلم كما سيجيء ان شاء الله تعالى . قال بعض العلماء ان مرض  
الجدري كان أول ظهوره بين العرب في جيش أبرهة هذا  
ولعل قول الله في التنزيل اشارة الى هذا المرض كما ظنه بعضهم  
والله أعلم

مولده صلى الله عليه وسلم ونسبه ورضاعه ونسأته وتربيته  
وماله وسيرته حين بعثه - ولد عليه الصلاة والسلام حين  
ظلوع فجر يوم الاثنين ٢٠ ابريل سنة ٥٧١ مسيحية وهو  
تاسع ربيع الاول من عام الفيل السالف ذكره من أبوين  
كريمي العنصر عظيمي الجاه: فهو محمد بن عبد الله بن عبد  
المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن حكيم الملقب  
بكلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك  
بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر  
بن نزار بن معد بن عدنان ونسبه الى عدنان متفق عليه بلا  
خلاف انما الخلاف في عدة الآباء الذين بين عدنان واسماعيل  
أما أمه فهي آمنه بنت وهب بن عبد مناف بن زهره بن حكيم

بن مرة تجتمع مع عبد الله أبيه في حكيم بن مرة . فعبد الله  
 من قصي بن حكيم وأمنة من زهرة بن حكيم  
 وكان مولده عليه الصلاة والسلام بمكان بمكة يسمى  
 الشعب في الدار التي كانت لمحمد بن يوسف أخى الحجاج ولما  
 ولد سمي محمدا رجاء ان يحمد ولم يكن هذا الاسم شائعاً بين  
 العرب بل الهاميا

وقد اصطفاه الله من اطهر العشائر وأطيب الاعراق  
 منتقلا من أصلاب اشراف الرجال الى ارحام شريفات النساء  
 بعقد النكاح ولم يصبه شئ من سفاح الجاهلية وكان أبوه قد  
 مات قبل مولده بشهور غير تارك له شيئاً يذكر من المال  
 والنفم وبركة الحبشية المكنية بأمة أيمن ثم توفيت أمه وعمره  
 ست سنوات فكفله جده عبد المطب ثم مات عنده وعمره  
 ثمانى سنوات من بعد أن أوصى به الى عمه أبى طالب فأحسن  
 أبو طالب كفالته وعزز وصايته واحبه حبا شديدا حتى كان  
 لا ينام إلا إلى جانبه ولا يخرج الا معه اما رضاعه صلى الله  
 عليه وسلم فكان على عادة العرب بان يرضعوا المولود من غير



أمه لاعتقادهم ان ذلك ادعى الى نجابة الرضيع - وهذه العادة  
 باقية ولكن لا لهذا الغرض بل للرفاهة والراحة من عناء  
 الرضاع - وقد عرض على كثير من نساء العرب في أول  
 الامر لارضاعه فأبين قائلات: ماذا عسى أن يكون من أمه  
 وجدته الينا: انما يكون الاحسان من الاب؛ فاخذته حليمة  
 السعدية بنت أبي ذؤيب ومضت به الى بلادها عند سعد  
 فأقامت به أربع سنوات ثم عادت به الى مكة  
 وكان الرسول عليه السلام في مدة كنفالة عمه مثل  
 القناعة والبعد عن السفاسف التي تشتغل بها الاطفال  
 عادة كما روت ذلك أم أيمن حاضنته فكان اذا اقبل وقت  
 الاكل جاء الاولاد يخطفون وهو قانع بما يسره الله له.  
 ولما بلغ اثنتي عشر سنة سافر به عمه الى الشام في تجارة  
 فرآه راهب من الاحبار يقال له بحيرا فتهرس فيه شأنًا عظيمًا  
 في المستقبل وقال لابي طالب: أنه نبي كريم واني لاظنه  
 الذي بشر به عيسى عليه السلام في انجيله بلهظ « فارقيط أو  
 بار قليطس » - التي معناها محمود لا المعزى كما يقولون -

فان زمانه قد قرب . كما انبأ عن ذلك دانيال في نبوته (١) وينبئ ان يتحفظ عليه خشية ان يقتله اليهود . فرده أبو طالب الى مكة . وكان النبي عليه السلام وهو صغير يرعى الغنم لاهلها على قراريط كما ذكر ذلك البخارى في صحيحه ولعمر الحق ما في ذلك من عار عليه فانه إن يرع غنما فقد رعاها الانبياء من قبله وهذه من أبلغ الحكم لتربية النفس فان الانسان اذا استرعى الغنم وهي اضعف البهائم سكن قلبه الرأفة واللطف فاذا انتقل من ذلك الى رعاية الخلق كان قد هذب أولا من

---

( ١ ) جاء في الإصحاح الثاني عشر لدانيال « طوبى لمن ينتظر ويبلغ الى الالف والثمائة والخمسة وثلاثين يوماً » وقد أخبرني من يوثق بقوله ان في هذه الجملة غلطا في الترجمة اذ في الاصل العبراني ما يفيد « طوبى لمن ينتظر ويبلغ الى ايام الالف والثمائة والخمسة والثلاثين » أى الى أيام سنة ألف وثلثمائة وخمسة وثلاثين وهى المدة التى بين دانيال وظهور انبي عليه السلام وقد كان لهذا الامر مباحث طويلة بين من أخبرني والقسيس الشهير اسحق تيلر الذى لا يزال موجودا حيا وعرض هذه المسئلة على ما سمعت على جمعية تصحيح تراجم الكتب المقدسة بلوندره



الحدة الطبيعية والظلم الغزيرى فيكون فى اعدل الاحوال  
 ثم لما شب عليه الصلاة والسلام تعاطى التجارة ولم يتعلم علما  
 ولا سحرا ولم يشتغل بشىء من ذلك ولا بشعر ولا اجتمع  
 على أحد من الحكماء فى صغره ليقال إنه تلقى عنه ما دعى  
 الناس اليه من التوحيد كما يزعمه المكابرون من غير أهل  
 الاسلام: فهو أمى ربه كما يرى غير من أبناء قومه اليتامى الفقراء  
 يدلك على ذلك اطباق الامم على اختلاف اديانهم وأوطانهم  
 ولغاتهم على انه امى وعدم اتهم قریش له بقراءة كتاب أو  
 حفظ تاريخ ولم يسمع ذلك عنهم مع أنه تعرض لتسفيه احلامهم  
 وتزييف عبادتهم وتقبیح عوائدهم ودفعهم عن معبوداتهم  
 الباطلة باشد ما يكون من التمريع والتوبيخ ولم يتجرأ واحد  
 منهم على نسبة ما يقوله الكتاب أو لمعلم غاية ما قالوه بعد  
 انتشار دعوته ان سلمان الفارسى يعلمه مع انه ما صحبه الا بعد  
 الدعوة بكثير على انه كان فارسى العبارة لا يحسن العربية والنبي  
 لم يتعلم الفارسية حتى يحسن الاخذ عنه قال الله تعالى: «لسان  
 الذى يلحدون اليه اعجمى وهذا لسان عربى مبين» وما أخرهم عن

نسبته الى معلمين إلا علمهم بأنه تربي بين ايديهم لم يخط بقلم  
ولا قرأ في كتاب ولا صحب كاهنا ولا جبرا ولا عالما بالسير  
والاخبار. وكان أكثر ما يقولون انه ساحر او كذاب وهذان  
وصفان لا يستلزمان سبتي تعلم قراءة او كتابة ولطالما وقع  
لهم معه وقائع تستدعي الكتابة فكان يستدعي غيره ليكتب  
ولم يقل له احد هم اكتب بيدك فانك متعلم لست بأمي. وحينما  
بلغ العشرين من العمر وكلت اليه خديجة بنت خويلد الشخوص  
الى الشام في تجارة لها مع غلامها ميسرة وكانت من شريفات  
العرب موصوفة بالعقل والحزم والثروة فقبل وسافر وربح  
ولما قدم مكة أخبرها ميسرة بما حققه فيه من الامانة وعين  
الطالع فعرضت عليه ان يتزوجها فاجابها صلى الله عليه وسلم  
وعرض امرها على اعمامه فقبلوا وذهب معه حمزة بن عبد  
المطلب عمه حتى دخل على عمها عمرو بن اسد وخطبها منه  
فقبل واجتمع اعمامه صلى الله عليه وسلم وسائر مضر وعقدوا  
له عليها وكان عمره اذ ذلك خمسا وعشرين سنة وهى فى الاربعين  
من العمر ورزقه الله كل أولاده منها الا ولده ابراهيم فانه



من مارية القبطية التي بعث بها اليه المقوقس نائب مصر ثم  
توفيت خديجة قبل هجرته بثلاث سنين

وقد شهد النبي صلى الله عليه وسلم حربا يقال لها حرب  
الفجار وهي حرب كانت بين كنانة ومعها قريش وبين قيس  
وليس هذا محل ذكر أسبابها ولا ذكر تفصيلاتها وكان  
عمره أربع عشرة سنة وكان اذا حضر صلى الله عليه وسلم  
غلبت كنانة واذا لم يحضر انهزمت: قال صلى الله عليه وسلم في  
حرب الفجار « حضرته مع عمومتى ورميت فيه بأسهم وما  
أحب انى لم أكن فعلت »

وعند منصور قريش من حرب الفجار في شوال عقد  
حلف الفضول وهو أشرف حلف في العرب وأحق بالفجار  
مما عداها من المحالفات التي كانت العرب تعقدها فيما بينهم  
للتناصر ولتعضيد بعضهم ضد آخرين . وكان حلف الفضول  
لشرف موضوعه ونيل الغرض المقصود منه يكاد أن يكون  
أساساً لسياسة وطنية وتمهيدا للمواد التمدنية وأول من دعا  
الى هذا الحلف في شهر ذى القعدة بعد الفجار الزبير بن عبد

المطلب - عم رسول الله صلى الله عليه وسلم شقيق أبيه - فاجتمع  
اليه بنو هاشم وزهرة وبنو أسد بن عبد العزى فى دار عبد  
الله بن جدعان التيمى من وجوه قريش وتحالفوا على أن يردوا  
الفضول الى أهلها أى على أن يردوا الحقوق التى أخذت ظلماً  
الى اربابها وان يكونوا يدا واحدة مع المظلوم على الظالم حتى  
يؤدى اليه حقه شريفاً كان أو ضعيفاً وكان معهم فى ذلك الحلف  
رسول الله صلى الله عليه وسلم وتمتد قال : « لقد شهدت فى دار  
عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لى به حمر النعم ولو دعى  
به فى الاسلام لاجبت » أى لو قال قائل من المظلومين يا آل  
حلف الفضول لاجبت لان نصر المظلوم حق والاسلام انما  
جاء لاقامة الحق . فانظر هذه المكرمة التى اتخذها العرب  
أيام الجاهلية وهم سكان جبال وقفار ما قرؤا كتاباً ولا عرفوا  
مدنية ولا خالطوا أمماً مهذبة ! وهل يوجد فى الجمعيات الانسانية  
التى تفتخر بها أوروبا الآن جمعية مثل هذه التى تأخذ المظلوم  
من الظالم وتحفظ الحقوق لاهلها وتكف يد الاستبداد عن  
كل ذى روح ؟ ! كل جمعية انسانية بعد هذه لا تساويها فى



الدرجة كيفما عات صراتها وشرفت مقاصدها ولو وجدت  
 جمعيات كهذه الآن لآبادت خلعا كثيرا !!! وحدث أنه لما بلغ  
 صلى الله عليه وسلم نحو الخامسة والثلاثين من عمره جاء سليل  
 جارف صدع جدران الكعبة بعد توهينها من حريق كان  
 أصابها من قبل فارادت قريش هدمها ليرفعوها ويستقفوها  
 فاجتمعت قبائلهم لذلك ولكنهم هابوا هدمها لمكانها في  
 قلوبهم فقال لهم الوليد بن المغيرة: هل تريدون بهدمها الاصلاح  
 أم الاساءة؟ قالوا بل الاصلاح. قال ان الله لا يهلك المصلحين.  
 وابتدأ بالهدم فتبعوه وهدموا حتى وصلوا الى أساس اسماعيل  
 عليه السلام ثم ابتدؤا في البناء وأعدوا لذلك نفقة ليس فيها  
 مهر بنى ولا بيع ربا وجعل الاشراف من قريش يحملون  
 الحجارة على أعناقهم وكان العباس ورسول الله فيمن يحمل  
 ولما أرادوا وضع الحجر الاسود اختلفوا فيمن يضعه وتناقشوا  
 في ذلك حتى كادت تشب بينهم نار الحرب ودام بينهم هذا  
 الخصام أربع ايال وكان أسن رجل من قريش اذ ذاك أبو  
 أمية بن المغيرة فقال لهم: يا قوم لا تختلفوا واحكموا بينكم من

ترضون بحكمه . فقالوا نكل الامر لاول داخل . فكان هذا  
الداخل هو النبي صلى الله عليه وسلم فاطمان الجميع له لما  
يعهدونه فيه من الامانة وقالوا : هذا الامين رضينا . فلما اخبروه  
الخبير بسط رداءه وقال : لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب . ثم  
وضع فيه الحجر وأمرهم برفعه حتى انتهوا الى موضعه فاخذه  
ووضعه فيه وهكذا انتهت هذه المشكاة التي كثيرا ما كان  
أمثالها سببا في انتشار حروب هائلة بين العرب . ولا يستغرب  
من قريش تنافسهم هذا لان البيت قبلة العرب وكعبتهم التي  
يحبون اليها وهو أول بيت وضع للناس بشهادة القرآن  
الكريم قال الله تعالى : « ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة  
مباركا وهدى للعالمين : فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن  
دخله كان آمنا »

سيرته في قومه قبل بعثته — كان عليه الصلاة والسلام  
أحسن قومه خاتما وأصدقهم رأيا وحديثا وأرجحهم عقلا  
دائم البشر مديم الصمت لين الجانب قليل اللغو بعيدا عن  
النحش والاخلاق التي تدنس الرجال عظيم الامانة حتى سموه



الامين وشهد له اعدائه النضر بن الحارث حيث يقول -  
 والنضل ماشهدت به الاعداء - : قد كان محمد فيكم غلاما حدثا  
 أرضا كم فيكم وأصدقكم حديثا وأعظمكم أمانة حتى إذا رأيتم  
 في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم تلتهم ساحر ! لا والله ما هو  
 بساحر . وما سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان قائلا : هل  
 كنتم تهمونونه بالكذب قبل ان يقول ما قال ؟ . قال لا : فقال  
 هرقل ما كان ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله .  
 وتد حنظله الله في صغره من كل أعمال الجاهلية التي جاء شره  
 الشريف بضدها وبغضت اليه الاوثان بنضاً شديداً حتى ما  
 كان يحضر لها احتفالا أو عيدا مما يقوم به عبادها قال عليه  
 السلام : « لما نشأت بغضت الى الاوثان وبغضت الى الشعرو لم  
 أهم بشيء مما كانت الجاهلية تفعله إلا مرتين كل ذلك يحول  
 الله بيني وبين ما أريد من ذلك ثم ما هممت بسوء بعدهما حتى  
 أكرمني الله برسالته : قلت ليلة لعلام كان يرعى معي لو أبصرت  
 لي غنمي حتى أدخل مكة فاسمر كما يسمر الشباب فخرجت  
 لذلك حتى جئت أول دار من مكة أسمع عزفا بالدفوف

والمزامير لعرس بعضهم فجلست لذلك فضرب الله على أذني  
 فنمت فما أيقظني إلا مس الشمس ولم أقض شيئاً ثم عماني مرة  
 أخرى مثل ذلك « وكان عليه السلام لا يأكل ما ذبح على  
 النصب وحرّم شرب الخمر على نفسه مع شيوعه في قومه  
 شيوعاً عظيماً وعاش في قومه أربعين سنة قبل أن يرسله الله  
 تعالى ما ضبطوا عليه كذبة ولا رأوه وقع في مكروه ولا تلبس  
 بمعصية ولا تعدّى على أحد ولا تعرض لجار ولا طمع في مال  
 ولا تطلع لجاه ولا زاحمهم في نادى لهو و لعب ولا شاركهم  
 في شيء من عواندهم ولا يبخل بعطاء ولا يحكم بغير حق ولا  
 أثار فتنة ولا وشى بأحد ولا نم على أحد ولا أفسد بين اثنين  
 وذلك كله من الصفات التي يحلى الله بها أنبياءه ليكونوا على  
 تمام الاستعداد لتلقى وحيه فهم معصومون من الأذناس قبل  
 النبوة وبعدها: أما قبل النبوة فليتأهلوا بالأمر العظيم الذي  
 سيسند إليهم. وأما بعدها فليكونوا قدوة لأممهم. وقبل أن يبلغ  
 الأربعين من العمر كان يحتل بغار حراء في كل سنة شهراً  
 فيتعبد فيه الليالي ذوات العدد فلما كمل له أربعون سنة أتاه



الله الوحي على رأسها كما سيحيى . وكان يعبد الله تعالى على دين آبائه وهو دين ابراهيم عليه السلام ولا يعترض على ذلك بما يأخذه بعض السدجة من ظاهر قوله تعالى: «ووجدك ضالاً فهدى» فانه ليس المقصود من ذلك الضلال عن التوحيد أو في العبادة (١) ولم يكن ذنبوا عبدا لشهواته كما يرميه بعض متمسبي الفرنج فمن الثابت أنه قضى جل عمره الى ما بعد بعثته بدون أن يتزوج بغير خديجة ولا يقال ان الرجل بعد أن يشيب ويسن يميل الى الشهوات والنساء أكثر مما كان شاباً قوياً ! بل لا بد لزواجه بغير خديجة بعد بعثته من حكم لا تقوت على كل منصف غير ذي غرض . كما انه كان يأكل من شغله ونتيجة عمله لا من مال زوجته اذ لم يرمه بذلك أحد مطلقاً من تومه وخصومه الذين ربي فيهم ونشأ بينهم ولو علم أهل مكة أن خديجة كانت تنفق عليه وتطعمه لغيروه بذلك وعدوه من دواعي احتقاره وعدم اعتباره

(١) انظر تفسير هذه الآية الشريفة في تفسير جزء عم الذي

طبعه حديثاً فضيلة الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية حالاً .

لان الركون الى ثروة المرأة لم يكن مألوفاً عند العرب كما هو  
 مألوف عند الاورباويين الآن ولم يسمع من أهل مكة قول  
 في هذه القضية فهو ولا شك زعم باطل اذ من المعلوم أنه بنى  
 امره على الزهد والاقتصاد وعدم التوسع في المعيشة فلذلك  
 كان يقنع بميسور العيش وما زاد عن نفقته ينفقه ولا يتركه  
 يبيت عنه ومن كانت هذه صفته كان أبعد الناس عن التطلع  
 لمال الغير والطمع فيما بأيدي الناس من النعمة وسيان عنده  
 أيسرت زوجته أو أعسرت. الا ترى انه اخذ زوجات بعدها  
 كان ينفق عليهنّ وليس لاحداهنّ شيء يذكر من المال  
 والمتاع؟ فهو في نزاهة نفس وغنى قلب لا يذكر في جانبه احتياجه  
 لمثر او لمثرية. وفي ما تقدم من القول وما قال سفيان والنضر  
 بن الحارث ما فيه الكفاية

مجمل أموال العالم في ذلك العهد - كانت الامّة  
 العربية كما سبق القول قبائل متخالفة في النزعات خاضعة  
 للشهوات فخر كل قبيلة في قتال أختها وسنك دماء ابطالها  
 وسبي نساءها وسلب اموالها تسوقها المطامع الى المعامع وتزين



لهم السيئات فساد الاعتقادات وكانت تمنعها انفسها وعزتها  
من ان تطأطأ لرئيس او تخضع لاحد وقد دخل جزيرة  
العرب كل الاديان من نصرانية ويهودية ومجوسية وزندقة  
ووثنية فزادت في التفرقة والتنافر والوحشة بينهم. وبلغ العرب  
من الجهالة حداً صنعوا اصنامهم من الحلوى ثم عبدوها فلما  
جاعوا أكلوها. وبلغوا من تضعف الاخلاق وهنأ قتلوا فيه  
بناتهم تخلصاً من عار حياتهن او تنصلاً من نفقات معيشتهن.  
وبلغ النحش منهم مبلغاً لم يعد معه للعفاف قيمة وبالجملة كانت  
ربط النظام الاجتماعي قد تراخت عقدها في كل أمة وانفصمت  
عراها عند كل طائفة وعلت الشحنة بين كل فريق وآخر  
وظهر الفساد بين العباد وزاد الشرك بالله الواحد التهار حتى  
صار في الكعبة نحو الثمائة وستين صنماً يعبده العرب أفلم  
يكن من رحمة الله بأولئك الاقوام أن يؤدبهم برجل منهم  
يوحى اليه رسالته ويمنحه عنايته ويمده من القوة بما يتمكن معه  
من كشف تلك الغم التي أظلت رؤس جميع الامم؟  
ولم يكن احتياج العرب لذلك المؤدب والمهذب والمهادي

بأعظم من احتياج باقي البلاد لنفس ذلك فقد كان العالم أجمع محتاجا للإصلاح وتقويم اعوجاجه وتعديل مزاجه إذ كانت دولتا العالم — دولة الفرس في الشرق ودولة الرومان في الغرب — في تنازع وتجادل مستمر : دماء بين العالمين مسنوكة وقوى منهوكة واموال هالكة وكانت هممة الاهالي قد سئمت من كثرة جور كل من الدولتين على الرعايا وعسفهم الفاحش الذي لم تقف عند حد فزادتا الضرائب زيادة لا تطاق حتى أثقلت الظهور وكلت هممة الاهالي منها وانحصر سلطان القوى في اختطاف ما بيد الضعيف وفكر الغافل في الاحتيال لسلب الغافل وتبع ذلك انه استولى على تلك الشعوب ضروب من الفقر والذلة والاستكانة والخوف والاضطراب لفقد الامن على الارواح والاموال بينما زاد رؤسائهم انهما كما على اللذات والشهوات والنسق والعصيان . غمرت مشيئة الرؤساء ارادة من دونهم فعاد هؤلاء كاشباح اللاعب يديرها من وراء حجاب ففقد بذلك الاستقلال الشخصي وظن افراد الرعايا انهم لم يخلقوا الا لخدمة ساداتهم وتوفير لذاتهم هو كما الشأن في



العجاوات مع من يقتنيها . ضلت السادات في عقائدها  
 وغلبتها على الحق والعدل شهواتها وساد الجهل وعميت البصائر  
 وبعد الكل عن الصراط المستقيم وزاد العيث وعم الفساد  
 وبالجملة فقد كانوا جميعاً

عموا عن الخير واعتادت نفوسهم فعل القبيح وذنوا أنه حسن  
 وأضف الى ذلك ما كانت عليه إذ ذاك دولة الروم من  
 الاختلاف في الدين وتشعب الملة العيسوية الى الفرق المختلفة  
 في العقيدة المتعادية أشد العداوة حتى كان كل فريق يحاول أن  
 يسود مذهبه على ما عداه فزادت الفتن واشتدت الاحن وعم  
 الاضطراب والاضطهاد وسالت الدماء باسم الدين المتبرء مما  
 يعملون : هذه حالة الاقوام كانت في معارفهم ومعتقداتهم  
 وذلك كان شأنهم في معاشهم : عبيد اذلاء حيارى في جهالة  
 عمياء . أفلم يكن من رحمة الله وعدالته بأوائك الاقوام كذلك  
 ان يهديهم الى الصراط المستقيم ويخرجهم من الظلمات الى النور  
 وينقذهم من النذل والاستعباد وينجي العالم اجمع من الشر الذي  
 تولاه نبي يرسله هدى ورحمة للعالمين ؟

نعم كان ذلك له الحمد وله الشكر على ما أنعم وتفضل  
وأرسل محمدا نبياً للعالم كافة لا كما يزعمه الجاهل بنص الكتاب  
من أنه لم يرسل الا للعرب خاصة

### ﴿ الباب الثاني ﴾

( في العرب بعد الاسلام )

### الفصل الاول

الوحي — ابتداء النبوة والرسالة والدعوة للاسلام — أذى قريش  
للنبي ولاصحابه — الهجرة للحبشة — اشتداد الاذى به صلى الله عليه وسلم  
وأصحابه — الهجرة للمدينة — الانصار والمهاجرون — غزواته عليه الصلاة  
والسلام — دعوته الملوك والامراء للاسلام — حجة الوداع — خطبته  
الاخيرة — وفاته صلى الله عليه وسلم — سيرته بعد الرسالة

### الوحي وابتداء النبوة والرسالة والدعوة للاسلام

قلنا في الباب السابق ان النبي صلى الله عليه وسلم كان  
قبل ان يبلغ الاربعين من العمر يختلئ بغار حراء في كل سنة  
شهرًا فلما كمل له أربعون سنة أتاه الوحي على رأسها وأول



ما بدى به الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا  
 جاءت مثل فلق الصبح في الوضوح لا برموز وكنيات كالرؤيا  
 التي كان يراها النبي دانيال وغيره من الانبياء. ولما مضى عليه ستة  
 شهور وافاه جبريل بالغار في شهر رمضان وقال له: اقرأ. فقال:  
 ما أنا بقارىء فكررها عليه جبريل مرتين وفي الثالثة قال له:  
 « اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق وربك  
 الاكرم الذي علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم » فقال بسم الله  
 الرحمن الرحيم وعندها كشف عن بصيرته وحق قول الله  
 فعلم ما لم يكن يعلم . ولما رجع الى خديجة أخبرها الخبر  
 فقالت له: والله لا يخزيك الله ابداً انك لتصل الرحم وتقرى  
 الضيف وتحمل الكل وتعين على نوائب الدهر . ثم انطلقت  
 به الى ابن عمها - ورقة بن نوفل وكان ممن لهم اطلاع  
 على كتب الاقدمين وكان شيخاً كبيراً قد عمى -  
 فأخبرته خبر ما رأى فقال له ورقة: « هذا الناموس الذي  
 أنزله الله على موسى يا ليتنى اكون حياً اذ يخرجك قومك »  
 فقال صلى الله عليه وسلم: اوخرجني هم؟ قال: نعم لم يأت رجل

بمثل ما جئت به الا عودى وإن يدركنى يومك أنسرك نصرا  
مؤزراً. ثم لم يلبث ورقة أن توفي وقر الوحي عن النبي صلى  
الله عليه وسلم مدة اختلف في مقدارها لينذهب روعه ولتشتاق  
نفسه ثم نزل عليه قوله تعالى: يا أيها المدثر قم فأنذر. ثم تتابع الوحي  
بعد ذلك فكانت نبوته في سورة الفلق ورسالته في سورة المدثر.  
وأول ما فرض عليه من أحكام الاسلام الأتذار والدعاء الى الله  
بالتوحيد والتبرء من الاوثان ثم فرضت عليه الصلاة فأناذ جبريل  
وعلمه الوضوء والصلاة ركعتين. وأقام صلى الله عليه وسلم يدعو  
الله سرا قبل أن يؤمر بالاعلان فكان لا يظهر الدعوة إلا لمن  
يثق به فتبعه أناس من النساء والرجال منهم خديجة زوجته  
وعلى بن أبى طالب وهو صبي لم يبلغ الحلم وأبو بكر وزيد بن  
حارثة مولاه رضوان الله عليهم أجمعين وجميعهم كما هو واضح  
من أهله واخص اصدقائه اى ممن وقفوا بأجمعهم — كما كان  
لا بد منه — على أسرار حياته فلم يكن يمنعهم مانع من أن يظهر وا  
تلك الاختلاقات التي لم تزل تفتري عنه ويذيعها في العالم بلا  
انقطاع بعض الجهلة المتعصبين لو كان لا يختلقونه اثر من الصحة.



وكان صلى الله عليه وسلم قبل الاعلان يخرج ومعه علي بن أبي طالب مستخفين من الناس الى شعاب مكة ويصليان فاذا أمسيا رجعا فعثر عليهما أبو طالب يوما وهما في صلاتهما فقال للنبي صلى الله عليه وسلم: يا ابن أخي ما هذا الدين الذي أراك تدين به؟ فقال: أي عم هذا دين الله ودين ملائكته ودين رسله ودين أبينا ابراهيم بعثني الله رسولا الى العباد وأنت أي عم أحق من بذات له النصيح ودعوته الى الهدى وأحق من اجابني اليه وأعانتني. فأجابه أبو طالب أنه لا يستطيع ان يفارق دين آبائه واكنه وعده بان لا يخذله ما بقي. ثم أخذ العقلاء من العرب يتسابقون الى الاسلام نأسلم عثمان بن عفان وطاحه والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وكان قد دعاهم أبو بكر رضى الله عنه بعد اسلامه ثم أسلم أبو عبيدة عامر بن الجراح وعبيدة بن الحارث وسعيد بن زيد بن عم عمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود وعمار بن ياسر وكثير غيرهم ثم أمر عليه الصلاة والسلام بالبلاغ و اظهار الدعوة في قوله: فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين.

فقام يدعو الله جهراً ويقيم الصلاة علانية وترتب على ذلك  
 معاداة قومه له واشتدادهم عليه بالأذى فنزل عليه قوله تعالى:  
 وأنذر عشيرتك الاقربين. فجمع النبي صلى الله عليه وسلم بنى  
 هاشم وبنى المطلب وبنى نوفل وبنى عبد شمس أولاد عبد  
 مناف وقال لهم: « ان الرائد لا يكذب اهله والله لو كذبت  
 الناس جميعاً ما كذبتكم ولو غررت الناس جميعاً ما غررتكم  
 والله الذى لا إله إلا هو انى لرسول الله اليكم خاصة والى  
 الناس كافة والله لتموتن كما تاملون ولتبعثن كما تستيقظون  
 ولتحاسبن بما تعملون ولتجزون بالاحسان احساناً وبالسوء  
 سوءاً وانها لجنة ابدأ أو لنار ابدأ » فتكلم القوم كلاماً لينا إلا  
 عمه ابي لهب وكان خصماً لدوداً له فانه قال: خذوا على يديه  
 قبل ان تجتمع عليه العرب. فقال ابو طالب: لئمنعه ما بقينا ثم  
 انصرف الجمع وكان فعله هذا اعياه الصلاة والسلام نفاذاً لما  
 أمر به من ربه فى الآية السابقة وحرصاً على اسلام أهل  
 بيته ثم قام عليه الصلاة والسلام مجاهراً غير مكترث بما يلاقيه  
 من الأذى والمعاداة مرتباً دعوته على ما أمر به فى قوله تعالى



« ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم  
 بالتي هي احسن » فكانت دعوته لا تخرج عن البلاغ الحسن .  
 ولا يمكن ان يتصور فيه غير ذلك لانه عليه الصلاة  
 والسلام جبل على الكلمات وأدب بأحسن الآداب  
 ولا عجب فؤدبه مولاه وحق له ان يفخر بقوله: أدبني ربي  
 فأحسن تأديبي .

أذى فريش النبي و أصحابه والهجرة للمجته - ومع هذا  
 فقد استهزأ به كثيرون اذا مر بهم ومعه أصحابه يقولون: هذا  
 محمد وملوك الارض الذين يرثون ملك كسرى وقيصر !!  
 ويصفرون خلفه مصنفين ومنهم من يقول: أما وجد الله من  
 يبعثه غيرك ان ههنا من هو أسن منك وايسر؟! ومنهم من  
 يقول له: أما كملت اليوم من السماء؟! ومن يقول: هذا ساحر. ومن  
 يقول: هذا كاهن. ومن يقول: هذا مجنون. ومن يقول: كذاب  
 ومن أخذه الخنق والغيظ الى ايدائه بالقاء القاذورات والنجاسات  
 على بابه ولم يفهم أذى أصحابه السابقين الى الاسلام: فانهم  
 أذوهم واهانوهم بكل اصناف الالهانة ولقد عذبوا المستضعفين

منهم بعد ان حاولوا مثل ذلك مع من اسلم من العشائر العظيمة  
 ومن له قوة تمنعه منهم فتركوهم ومالوا على المستضعفين من  
 كل القبائل فكانوا يعذبونهم بالحبس والضرب والجوع  
 والعطش ورمضاء مكة المحرقة والنايركى يفتنهم عن دين الله  
 الحق فمنهم من يفتن لشدة البلاء وقلبه يطمئن بالايان ومنهم  
 من ينجو بعد العذاب الشديد ومنهم من يموت شهيداً! وكلوا  
 مراراً عمه أباطالب — الذى أخذ على نفسه حمايته — وطلبوا منه  
 ان يخلى بينهم وبينه او يكفه عما يقول فحاول ابوطالب ان يرجع  
 النبي عن خطته فظن الرسول ان عمه خاذله فقال: والله يا عم  
 لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك  
 هذا الامر ما فعلت حتى يظهره الله او اهلك دونه. فقال له  
 أبو طالب: اذهب يا ابن أخى وقل ما احببت والله لا أسلمك..  
 ورأى رسول الله من المشركين كثير الأذى وعظيم الشدة  
 كما أذى اصحابه بما لا يمكن تصويره من انواع الأذى  
 والتعذيب حتى اشفق النبي صلى الله عليه وسلم عليهم وأمرهم  
 بالهجرة الى الحبشة بقوله لهم: لو خرجتم الى ارض الحبشة فان



فيها ما كالا يظلم عنده احد حتى يجعل الله لكم فرجا مما  
اتم فيه فخرجوا الى الحبشة مخافة وفرارا الى الله بدينهم وكان  
فيمن خرج عثمان بن عفان وزوجته رقية ابنة النبي صلى الله  
عليه وسلم في السنة الثانية من اظهار الدعوة ثم عادوا بعد  
شهرين لما لم تحل لهم العيشة في الغربية ولما بلغهم من اسلام  
أهل مكة كذبا ولكنهم لما حضروا لم يستطيعوا دخول مكة  
الا في جوار او اختفاء واقاموا بها على الأذى حتى هاجروا  
ثانية الى الحبشة وكانوا أكثر منهم قبل

استرداد الأذى بالرسول وأصحابه — ولقد استعمل  
المشركون جميع طرق التهديد والوعيد والتحايل والاقناع فلم  
يجدهم نفعاً بل كلما زادوا المسلمين أذى ازداد يقينهم وزاد النبي  
ثباتاً وإخاماً لهم . ولكم ارسلوا له عليه الصلاة والسلام وفودا  
يقصد إرجاعه فباؤا بما يسيء المشركين ويزيدهم حنقا فيرمون  
وفودهم بأنهم خدعوا او سحرهم محمد . ثم عرضوا عليه بعد  
ذلك ان يشاركهم في عباداتهم ويشاركونه في عبادته فأنزل  
الله تعالى في ذلك « قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون

ولا أتم عابدون ما أعبد ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أتم عابدون  
 ما أعبدكم دينكم ولى دين « فأيسوا منه وطلبوا بعد ذلك ان ينزع  
 من القرآن ما يغيظهم من ذم الاوثان والوعيد الشديد فيأتى  
 بقرآن غيره او يبدله فأنزل الله جوابا لهم « قل ما يكون لى  
 أن أبدله من تلقاء نفسى إن أتبع إلا ما يوحى الى ». ولما  
 رأى المشركون أن هذه المطالب التى يعرضونها لا تقبل منهم  
 وضائق بهم الحيل ورأوا عزة النبي صلى الله عليه وسلم بمن  
 معه وعزة اصحابه بالحبشة واسلام عمر بن الخطاب واسلام  
 عمه حمزة رضى الله عنهم أجمعوا أمرهم على منابذة بنى هاشم  
 وبنى المطلب ان لا يناكحهم ولا يبايعهم ويقطعوا عنهم  
 الاسواق ولا يقبلوا منهم صلحا ولا تأخذهم بهم رافة حتى  
 يسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل وكتبوا بذلك  
 صحيفة علقوها فى جوف الكعبة هلال المحرم سنة سبعة من  
 مبعثه فأنحاز بنو هاشم الى أبى طالب وخرج من بنى هاشم  
 أبو لهب فانه أنحاز لقريش وكانت امرأته على رأيه فى عداوة  
 النبي صلى الله عليه وسلم فكانت تتم عليه وتفسد القلوب من



جانبه فسيهاها الله تعالى : حمالة الحطب . وانخذل عنهم بنو عميه  
عبد شمس ونوفل بن عبد مناف وكان بنو هاشم محصورين  
في الشعب لا يخرجون إلا من موسم الى موسم حتى جهدوا  
وكان لا يصل اليهم أحد إلا سرّاً وكان اعداؤهم يمنعون التجار  
من مبايعتهم . وبعد دخول الرسول وقومه الشعب أمر جميع  
المسلمين أن يهاجروا للحبشة حتى يساعدوا بعضهم على الاختراب  
فهاجر معظمهم ولما رأت قریش ذلك أرسلت في أثرهم عمراً  
بن العاص وعمارة بن الوليد بهدايا الى النجاشي لیسلمهم المسلمين  
فرجعوا شرجة ولم ينالا من النجاشي الا الإهانة لما خاطباه  
به من خفر ذمته في قوم لا ذوا به . أما بنو هاشم فكثروا في  
الشعب قريباً من ثلاث سنوات في شدة الجهد والبلاء لا  
يصلهم شيء من الطعام الا خفية حتى قام خمسة من أشرف  
قریش يطالبون بنقض الصحيفة الظالمة واتفقوا على ذلك ليلا  
فلما أصبحوا غدا أحدهم فطاف بالبيت ثم أقبل على الناس فقال :  
« يا أهل مكة أنا كل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم والمطاب  
هلكي لا يبيعون ولا يتاعون ؛ والله لا أقعد حتى تشق هذه

الصحيفة. ثم أن النبي أخبر عمه أبا طالب أن الله سلط الأريضة على الصحيفة فلم تدع فيها غير اسم الله تعالى الذي كانت قريش تستفتح بها كتابها - وهو لفظ اللهم باسمك - فانطلق أبو طالب في عصابة حتى أتوا المسجد فلما رأتهم قريش ظنوا أنهم خرجوا من شدة البلاء ليسلموا النبي فقال أبو طالب: إنما أتيت في امر هو نصف فيما بيننا وبينكم: ان ابن أخي أخبرني بأمر فان كان الحديث كما يقول فلا والله لا نسلمه حتى نموت عن آخرنا. وان كان الذي يقول باطلاً دفعنا لكم صاحبنا فقتلتم أو استحيدتم. واخبرهم الخبر فارتضوا به وفتحوا الصحيفة فوجدوها كما قال فقالوا هذا سحر من ابن اخيك وزادهم ذلك بغياً ثم مشى في نقض الصحيفة قوم من قريش واخرجوا بني هاشم وبني المطلب من الشعب وذلك في السنة العاشرة من مبعثه صلى الله عليه وسلم

وبعد ما خرج بنو هاشم من الحصار بالشعب بقليل توفيت خديجة فحزن عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم حزناً شديداً ولقد زاد حزنه ان توفي بعدها بقليل ابو طالب عمه



حتى سمي هذا العام بسنة الحزن وكانوا يؤرخون به ولما  
 حضرت أبا طالب الوفاة جمع اليه وجود قريش فأوصاهم وقال  
 يا معشر قريش « أتم صنوة الله من خلقه وقلب العرب وفيكم  
 السيد المطاع وفيكم المقدم الشجاع والواسع البال واعلموا أنكم  
 لم تتركوا للعرب في المآثر نصيباً إلا احرزتموه ولا شرفاً إلا  
 ادركتموه فلكم بذلك على الناس الفضيلة ولهم اليكم الوسيلة  
 والناس لكم حرب وعلى حربكم ألد واني اوصيكم بتعظيم هذه  
 البيئة فان فيها مرضاة للرب وقواما للمعاش ونبأة للوطاة صلوا  
 ارحامكم ولا تقطعوها فان في صلة الرحم منسأة للاجل وزيادة  
 للعلم واتركوا البني والعقوق فهما هلكت القرون قبلكم  
 وأجبيوا السائل واعطوا الداعي فان فيهما شرف الحياة والمات  
 وعايكم بالصدق في الحديث وادوا الامانة فان فيهما محبة للخاص  
 ومكرمة في العام . واني اوصيكم بمحمد خيراً فانه الامين في  
 قريش والصديق في العرب وهو الجامع لكل ما اوصيتكم  
 به وقد جاء بأمر قبله الجنان وأنكره اللسان مخافة الشنان  
 وایم الله كأنی انظر الى صعاليك العرب واهل الوبر في

الاطراف والمستضعفين من الناس قد اجابوا دعوته وصدقوا  
 كلمته وعظمو امره فخاض بهم غمرات الموت فصارت رؤساء  
 قريش وصناديدها اذنباً ودورها خراباً وضعناؤها ارباباً  
 واعظمهم عليه احوجهم اليه وانفرهم منه احظاهم عنده قد  
 محضته العرب ودادها واصفت له فؤادها واعظمت له قيادها.  
 دونكم يا معشر قريش وكونوا له ولادة ولحزبه حماة والله لا  
 يسلك احدكم سبيله الارشد ولا يأخذ احد بهديه إلا سعد  
 ولو كان لنفسى مدة أو لاجلى تأخير الكففت عنه الهزاهز  
 ولدفعت عنه الدواهي « ثم توفى وبوفاته نالت قريش من النبي  
 صلى الله عليه وسلم ما لم تكن نالته في حياته فهاجر الى الطائف  
 في شوال سنة عشر من البعثة وهو مكروب مشوش الخاطر  
 مما لقي من قريش ومن قرابته وعترته خصوصاً من ابى لهب  
 وزوجته من الهجو والسب والتكذيب فخرج الى الطائف  
 مع مولاه زيد بن حارثة يلتمس من ثقيف الاسلام  
 أو ان يناصروه ويقوموا معه على من خالتوه من قومه  
 لانهم كانوا اخواله فلم يجد منهم ذلك . ومع استدامة اهل



مكة على أذاه كان صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على القبائل في مواسم الحج ويدعو الناس الى دين الله وقبل الهجرة بسنة أسرى الله به من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى (١) ولما أصبح تص على قریش ذلك ووصف لهم البيت المقدس وأعطاهم علامات وأمارات تحققوا من صدقها ولكنهم طمس على بصائرهم فلم يجدوا طريقة الا أن يرموه بالسحر وكذبوه

(١) اختلف في الاسراء هل كان بالجسد والروح أو بالروح فقط. على أن لا شيء يمنع من قبول أن الاسراء كان بالجسد والروح نعم ان الطبيعيين ينكرون صعود الاجسام الثقيلة الى الجو واختراقها الافلاك لو قوفهم عند المحسوسات ونحن لا ننكر على الله تعالى الذي رفع مثل سيدنا عيسى عليه السلام أن يسرى بمحمد خصوصاً بعد عامنا أن الكواكب اجرام متحيزة في مراكزها غير مرتكزة على شيء ولا معلقة بشيء فالذي رفعها وسيرها مع فرط ثقلها لا يعجزه رفع جسم صغير جداً بالنسبة اليها كيف ونحن نرى الاجرام الثقيلة ترتفع الى الجو بالبخار المخلوق لله تعالى فاذا وقع الشيء بأثر من آثار الله تعالى كيف يمتنع وقوعه بأمره ومشيئته. لا يقف في ذلك الا من أضله الله تعالى وسلبه نور الهداية فبقى متخبطاً في ظلمات الغواية ومن يضل الله فما له من هاد

وازداد بعض خصومه تمردا عليه وطغيانا ولكن الاسلام  
كان قد فشا في قريش وفي التباثل . وبينما كان الرسول عليه  
السلام في بعض المواسم عند عتبة الجحرة سنة احدى عشرة  
من النبوة اذ لقي رهطا من الخزرج وكانوا ستة وقيل ثمانية  
أراد الله بهم خيرا فجلسوا معه فدعاهم الى الاسلام ورأوا  
امارات الصدق عليه لأئمة فأجابوه وصدقوه واسلموا وقالوا  
انا تركنا قومنا - الاوس والخزرج - بينهم من العداوة والشر ما  
ينهم فان يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك ووعدوه  
المتابعة في الموسم المقبل فرضى بذلك - وهذا ابتداء اسلام  
الانصار - وفي السنة التالية جاءه اثنا عشر رجلا منهم عشر من  
الخزرج واثان من الأوس فاجتمعوا عند العقبه فبايعهم  
وعاهدوه على ان يمنعوه بما يمنعون به نساءهم ولما انصرفوا  
راجعين أرسل معهم ابن أم مكتوم - وهو ابن خال خديجة -  
ومصعب بن عمير الى المدينة ليتلوا على أهلها القرآن ويفقهائهم  
في الدين فكان يسلم بسمع القرآن أناس كثيرون حتى أسامت  
كل بيوت الانصار إلا بيت أمية بن زيد . وفي السنة الثالثة



عشر من البعثة قدم اليه صلى الله عليه وسلم ثلاثة وسبعون رجلا من الانصار وامر آنان في أيام التشريق بالعقبة وبايعوه بيعة العقبة الثانية وجاءهم النبي صلى الله عليه وسلم ومعه العباس بن عبد المطلب فقال العباس لهم : « يا معشر الخزرج ان محمدا منا حيث علمتم وقد منعناه من قومنا فمن هو على مثل ما رأينا فهو في عز من تومه ومنعه في بلده وانه قد أبى إلا انحيازاً اليكم والاحق بكم فان كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتوه اليه وما نعوه ممن خالفه فأتهم وما تحلمتم من ذلك. وان كنتم ترون انكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به اليكم فمن الآن دعوه في بنى عشيرته فانه منهم لمكان عظيم. » فقالوا : قد سمعنا ما قلت والله لو كان لنا في انفسنا غير ما نطقنا به لقلنا واكلنا نريد الوفاء والصدق وبذل مهجنا دون رسول الله. وعند ذلك قالوا للنبي عليه الصلاة والسلام : خذنا نفسك ولربك ما أحببت. فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن ودعا الى الله ورغب في الاسلام ثم قال : أبايكم على ان تمنعوني مما تمنعون به انفسكم ونساءكم وابنائكم متى قدمت عليكم . فأخذ

البراء بن معرور - كبيرهم والمتكلم عنهم - يبدو وقال: والذي بعثك  
 بالحق لنمنعنك مما تمنع به أزرنا. فبايعوا رسول الله صلى الله عليه.  
 وقال بعضهم: يا رسول الله ان بيننا وبين الرجال عهداً وانا  
 قاطعوها فهل عسيت ان نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله ان  
 ترجع الى قومك وتدعنا؟! فقبسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 ثم قال: « بل الدم الدم والهدم الهدم انا منكم وأتم مني  
 أحارب من حاربتهم وأسالم من سالمتم »

الهجرة للمدينة والانصار والمهاجرون - ولما تم أمر  
 البيعة بين النبي وبين أهل المدينة على الصورة المتقدمة وبقي  
 أصحابه في ضنك من ايداء المشركين شكوا الى رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم ثم استأذنوه في الهجرة فكث أياما وخرج  
 الى أصحابه يوماً مسروراً وأخبرهم ان الله اختار له يثرب دار  
 هجرة وأمر من يريد من أصحابه الخروج بأن يخرج اليها  
 فصار القوم يتجهزون ويرحلون من مكة سراً إلا عمر بن  
 الخطاب فانه أعلن بالهجرة ولم يمنعه أحد من المشركين. ولما  
 قدموا المدينة أنزلهم الانصار في دورهم وواسوهم ولم يبق بمكة



إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعلى رضی الله  
 عنهما . ثم لما رأت قريش ان رسول الله صارت له شيع  
 واصحاب من غيرهم بغير بلدهم ورأوا خروج شيعة أصحابه من  
 المهاجرين اليهم تحذروا خروجه واجتمعوا في دار الندوة  
 واجمعوا على قتله واختاروا لذلك نفرا من كل القبائل كي يتفرق  
 دمه في القبائل كلها فيأمنون قتال قومه . فاجتمع القوم على  
 يابه يرصدونه حتى ينام فيثبوا عليه مرة واحدة ويقتلوه  
 ولكن الله أوحى اليه بالهجرة وبأن لا يبيت تلك الليلة في  
 فراشه فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا بذلك وأمره  
 ان ينام محله وغطاه ببرده كي لا يقع الشك في وجوده أثناء الليل  
 فانهم كانوا يرددون النظر من شقوق الباب ليعلموا وجوده  
 فامتثل على - وكان أول من شرى نفسه ونزل فيه قوله تعالى  
 «ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله» - وخرج رسول  
 الله وقد أخذ الله على ابصار القوم فلم يره احد وثر على رؤسهم  
 ترابا في يده وهو يتلو « وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن  
 خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون » ثم انصرف حتى

وصل الى دار أبي بكر وأخبره الخبر فرافقه الى غار ثور  
 واختفيا فيه. أما الذين يرصدون الباب لما استيقظوا من نومتهم  
 هجموا على النائم ولكنهم زادوا تعجباً واستغراباً حينما  
 وجدوا امامهم علياً بدلاً النبي فسألوه عن محمد صلى الله عليه  
 وسلم فقال: لا أدري ولست عليه حارساً! فشق على المشركين  
 خلاصه من أيديهم وجدوا في طلبه من الاودية والجبال  
 وبعثوا في اثره من يقتله أو يأتهم به. وهنا يستغرب الانسان  
 من صدق اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم واخلاصهم له فما  
 بايعه أحد وخذله أو هم بخيانة ضده بل جميعهم تحملوا الأذى  
 والمكروه الشديد من أجله وكانوا كلما ازداد القوم تعذيباً  
 لهم ازدادوا هم تعلقاً به صلى الله عليه وسلم!! فرضوان الله على  
 هؤلاء الاصحاب الذين لم يسبق لوفائهم في التاريخ مثل: وأين  
 من وفائهم وفاء الحواريين مثلاً وهم اصحاب عيسى عليه السلام  
 ومنهم من انكره ومن دن عليه اعداءه ومن خذله؟! فلم نسمع  
 ان أحد اصحاب عيسى استمر معه كما استمر مع رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم اصحابه بل ولا ان من بينهم من قدم نفسه فداء



له كما عمل علي رضي الله عنه . وبالجملة فان كل شئ للنبي صلى  
الله عليه وسلم حتى أصحابه ووفائهم له وصدقهم في محبته وعهده  
كان خوارق عادات ومعجزات بينات يحار فيها عقل كل  
لييب ولا ينكرها إلا كل مكابر . واننا لو تدبرنا ذلك لعلمنا ان  
أولئك الاصحاب الكرام كانوا على يقين تام من صدقه ومن أن  
ما أتى به حق لا صرية فيه ومن أن وعده إياهم بالنجاة مقطوع  
بصحته وإلا فلا معنى لهذا الاستسلام الاعمى والطاعة لهذا  
الحد مع ما يعلمه الكل في حالة العرب !!! ولنرجع  
لما كنا عليه من هجرة المصطفى عليه الصلاة والسلام فلقد  
أسلفنا أنه أخذ ابا بكر واختفيا بغار بجبل ثور وان  
المشركين لما علموا بفساد مكرهم وانهم انما باتوا يجرسون  
علياً بن ابي طالب لا محمداً بن عبد الله حاجت عواظهم وأرسلوا  
في طلبه من كل جهة وجعلوا الجوائز لمن يأتي بمحمد او يدل  
عليه وقد وصلوا في طلبهم إلى ذلك الغار الذي فيه طلبتهم  
بحيث لو نظر احدهم تحت قدميه لنظر من فيه فبكي أبو بكر  
فقال له عليه السلام: لا تحزن ان الله معنا . فأعمى الله أبصار

المشركين عنهما واراد الله ان ينسج العنكبوت على باب  
الغار فزاد التوم حيرة واستبعدوا أن يكونا دخلاه والعنكبوت  
ناسج عليه وقاتوا الغار وظلوا في طريقهم مجدين البحث  
على غيرهم . فأقام النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر  
في الغار ثلاث ليال ولما انقطع الطلب خرجا وسارا متبعين  
طريق الساحل وفي الطريق لحقهم سراقة بن جعشم فدنا  
من الرسول واراد الايقاع به فساخت قوائم فرسه  
وانتهى الامر به ان انقلب من عدو عتيد الى طالب أمان  
من خصمه الذي كان يطارده وينوى قتله فنجاه الله من كيد  
وكيد المشركين . ثم سار النبي صلى الله عليه وسلم الى ان وصل  
بلدة قباء وذلك يوم الاثنين الثامن من شهر ربيع الأول  
وهذا أول تاريخ جديد لظهور الاسلام بعد ان مضى عليه  
ثلاث عشرة سنة وهو مضيق عليه من مشركي قريش (١)

( ١ ) أجمع الكل على أن الهجرة كانت يوم اثنين واختلفوا  
في أي الاثنين كانت فزعم بعضهم انها في اليوم الثاني من ربيع الاول  
وزعم آخرون انها في اليوم الثامن منه كما قال غيرهم انها في اليوم



وأقام رسول الله عليه الصلاة والسلام بقاء بضعة عشرة  
ليلة أسس فيها مسجد بقاء وصلى فيه بمن معه من الانصار  
والمهاجرين الذين وفدوا عليه بمجرد سماعهم بخبر قدومه وهم  
آمنون مطمئنون ثم تحول عليه السلام الى المدينة والانصار  
محيطون به متقلدين سيوفهم فكان على أهل المدينة يوما  
سعيداً لم يره أحد فرحين بشئ فرحهم برسول الله وخرج  
النساء والولائد يضربن بالدفوف ويقلن

أشرق البدر علينا من ثنيات الوداع

وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

ايها المبعوث فينا جئت بالامر المطاع

وكان الناس يسرون وراء رسول الله ما بين ماش  
وراكب يتنازعون زمام ناقته كل يريد أن يكون نزيله فيقول  
دعوها فانها مأمورة وأدر كته عليه السلام صلاة الجمعة في بني

الثاني عشر منه والمتفق عليه الثامن ولا يجوز أن يكون الثاني ولا  
الثاني عشر لانهما ليسا بيوم اثنين من أجل أن أول ربيع الاول في  
تلك السنة كان يوم الاثنين. وذلك نقلا عن رسالة للمرحوم محمود باشا الفلكي

سالم بن عوف فنزل وصلاتها وهذه أول جمعة له صلى الله عليه وسلم. ولم تنزل الناقة سائرة حتى أتت بفناء بني عدي بن النجار — وهم أخواله الذين تزوج منهم هاشم جدّه — فبركت بمحلة من محلاتهم أمام دار أبي ايوب الانصارى وذلك محل مسجده الشريف. فقال عليه السلام: « ههنا المنزل ان شاء الله: رب أنزاني منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين » فاحتمل ابو ايوب رحله ووضعها في منزله وتنافس الانصار في إكرامه عليه الصلاة والسلام وصار كل يود لو أن يكون عليه السلام في داره أو ان يضيف مهاجراً! وبلغ التنافس عندهم في ذلك حد أن حكموا القرعة بينهم فانزل مهاجري على انصارى إلا بقرعة! ومن يتأمل الى هذه المحبة التي يستحيل ان تكون إلا بفضل من الله ورحمته يعلم كيف انتصر هؤلاء الاقوام على معانديهم من المشركين وأهل الكتاب مع قلة العدد والعدة!! وكان الانصار يؤثرون اخوانهم المهاجرين على أنفسهم وهذا اعلى درجات الاخوة فان رسول الله عليه السلام — لم يكن بينهم الاخاء — آخى بين المهاجرين والانصار فكان كل انصارى ونزليه



اخوين في الله. ومن العبث ان نكلف التلم بأن يوضح ان هذه  
 الاخوة كانت ارقى بكثير من الاخوة العصبية بل نكل ذلك  
 للاحساس الاسلامي فانه اوضح منطقاً من القلم! وبالجملة فتلك  
 قلوب ألف الله بينها حتى صارت شيئاً واحداً من اجسام  
 متفرقة وعسى ان يوفق الله مسلمي عصرنا هذا إلى هذا الاخاء  
 أو إلى بعضه حتى يسودوا كما ساد المتحدون من قبل! وكان هناك  
 الاخاء على المواساة والحق وان يتوارثوا بعد الموت دون ذوى  
 الارحام وكان عليه السلام يقول لكل اثنين: «تأخوفاً لله  
 اخوين اخوين» ودام هذا الميراث الى ان نسخه الله بقوله:  
 «وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله»  
 ولما استقر عليه السلام بالمدينة أرسل زيداً بن حارثة  
 وأبا رافع الى مكة لياتيا بمن تخاف من أهله فقدا بفاطمة وأم  
 كاشوم - بنتيه عليه السلام - وسودة زوجته وأم أيمن زوج زيد  
 وابنها أسامة. أما زينب فنعها زوجها ابو العاص بن الربيع وخرج  
 مع الجميع عبد الله بن أبي بكر وأم رومان زوج أبيه وعائشة  
 أخته وأسماة زوج الزبير بن العوام وكانت حاملاً بأبنها عبد الله

وهو أول مولود للمهاجرين بالمدينة . ولم يكن هواء المدينة  
 في البدء موافقاً للمهاجرين من أهل مكة فأصاب كثيراً منهم  
 الحمى فقال عليه السلام : « اللهم حبب إلينا المدينة كما حبيت  
 إلينا مكة واشد وبارك في مدها وصاعها وانقل وبائها إلى  
 الجحفة » فاستجاب الله جل وعلا دعوته وعاش المهاجرون  
 في المدينة بسلام . ومنع مشركو مكة بعضاً من المسلمين عن  
 الهجرة وحبسوهم وعذبوهم فكان عليه الصلاة والسلام يدعو  
 لهم في صلاته وهذا أصل القنوت . ثم شرع عليه السلام في  
 بناء مسجده في مبرك ناقته أمام محلة بني النجار وكان محله  
 مربداً للتمر لغلامين يتيمين فاشتراه منهما وكانا أرادوا أن يهباه  
 إياه فأبى عليه السلام إلا أخذه شراء وقد عمل فيه رسول الله  
 بنفسه ليرغب المسلمين في العمل وبني بجانبه حجرتين إحداهما  
 لسوده والاخرى لعائشة زوجته — ولم يكن عليه السلام متزوجاً  
 غيرها إذ ذاك بعد وفاة خديجة — وصارت الحجرات تبنى بجوار  
 المسجد كلما جاءت زوجة . ثم سنَّ الله الأذان لتنبيه الغافل  
 وتذكير الساهي للصلاة حتى يكون الاجتماع عاماً وكان بلال



أول مؤذن في الاسلام.

هذا وكما ابتلى الله المسلمين في مكة بمشركي قريش ابتلاهم في المدينة بيهودها وهم بنو قينقاع وقريناه والنضير فانهم اظهروا العداوة والبغضاء حسداً من بعد ما تبين لهم انه الحق وكانوا قبل مجيء الرسول يستنشقون على المشركين من العرب اذا شبت الحرب بين النريقين بنبي يبعث قد قرب زمانه فلما جاءهم ما عرفوا استعظم رؤسائهم ان تكون النبوة في ولد اسماعيل فكفروا بما انزل الله بغيا مع انهم يرون ان رسول الله محمداً لم يأت الا مصداقاً لما بين يديه من كتب الله التي انزلها على من سبته من المرسلين مبيناً ما افسده التأويل منها ولكنهم نبذوه وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون !! وقد تبين الهدى لاحد رؤساء قينقاع - وهو عبد الله بن سلام - فتركه هواد واسلم بعد ان سمع القرآن . وبعد ان كان اليهود يمدونه من اعظم رؤسائهم عدوه من سفهائهم حينما بلغهم اسلامه !! ولما استحكمت في قلوبهم عداوة الاسلام صاروا يجهدون انفسهم في اطفاء نوره وكان يساعدهم على مقاصدهم هذه جماعة من

عرب المدينة اعمى الله بصائرهم فأخفوا كبرهم خوفاً على حياتهم ولا يخفى ان ضرر المنافقين أشد على المسلمين من ضرر الكفار لان أولئك يدخلون بين المسلمين فيعلمون أسرارهم ويشيعونها بين الاعداء من اليهود وغيرهم كما حصل ذلك مراراً. والاساس الذي كان عليه عليه السلام ان يقبل ما ظهر ويترك لله ما بطن واكتمه مع ذلك كان لا يأمنهم في عمل ما فكثيراً ما كان يتغيب عن المدينة ويولي عليها بعض الانصار ولكن لم يعهد انه ولي رجلاً ممن عهد عليه النفاق لانه عليه السلام يعلم ما يكون منهم لو ولوا عملاً فانهم بلا شك يتخذون ذلك فرصة لاضرار المسلمين. وهذا مثال لامراء الاسلام يدلهم على انهم لو عهدوا بجمع الاعمال الى اصحاب النفاق لعاد عليهم وعلى الاسلام بالضرر الذي لا تخفى عواقبه على أحد كما حصل مراراً مما يثني منه المسلمون حالاً في كل البلاد؛ وبالجملة فقد قبل الرسول من المنافقين ظواهرهم وعقد مع اليهود عهداً مقتضاه ترك الحرب والأذى فلا يجارهم ولا يؤذيهم ولا يعينون عليه أحداً وان دهمه بالمدينة عدو ينصرونه



وأقرهم على دينهم. ومن ذلك يعلم انه عليه الصلاة والسلام لم  
 يكن يقاتل لحد ذلك الوقت أحداً على الدخول في الدين. وبعد  
 الهجرة اذن الله للمهاجرين بقتال مشركي قريش بقوله: «أذن  
 الذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير الذين  
 أخرجوا من ديارهم الا ان يقولوا ربنا الله» ثم أمرهم بذلك  
 أيضاً في قوله: «وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا  
 تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين. واقتلواهم حيث ثقتموهم  
 واخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل. ولا  
 تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم  
 كذلك جزاء الكافرين. فان انتهوا فان الله غفور رحيم  
 وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فان انتهوا  
 فلا عدوان إلا على الظالمين» ولما تملاً على المسلمين قوم من  
 غير أهل مكة أمر الله بقتال المشركين كافة

ولما نقض اليهود العهد وساعدوا المشركين في حروبهم  
 مع المسلمين أمر الله بقتالهم بقوله « وإما تخافن من قوم  
 خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين ». فبناء

على ذلك قد ابتدأ القتال على المبادئ الآتية :

١ - اعتبار مشركي قريش محاربين لانهم بدأوا بالعدوان

فصار للمسلمين قتالهم ومصادرة تجارتهم حتى يأذن

الله بفتح مكة أو تعقد هدنة وقتية بين الطرفين

٢ - متى رؤى من اليهود خيانه وتحيز للمشركين قوتلوا

حتى يؤمن جانبهم

٣ - متى تعدت قبيلة من العرب على المسلمين أو ساعدت

قريشاً قوتلت حتى تدين بالاسلام

٤ - من بدأ بعداوة من أهل الكتاب قوتل حتى يدعن

بالاسلام أو يعطى الجزية

٥ - كل من أسلم فقد عصم دمه وماله إلا بحسابه والاسلام

يقطع ما قبله

غزواته عليه السلام - وعملا بهذه المبادئ رأى النبي

صلى الله عليه وسلم ان يبدأ بمصادرة تجارة قريش وهي مترددة

بين مكة والشام وغيرها ليكون في ذلك إضعاف لقوتهم المالية

فيكون ادعى للخذلان في ميدان القتال فأرسل عمه حمزة في



ثلاثين رجلاً من المهاجرين وعقد له لواء أبيض حملة أبو  
مرشد حليف حمزة ليعترض عيرا لقريش آية من الشام فيها  
أبو جهل وثلثمائة من كبار المشركين ولما التقى بهم كاد أن  
يكون قتال بين الطرفين لولا أن حجز بينهما مجدي بن عمرو  
الذي شكره النبي عليه الصلاة والسلام على عمله لما كان من  
قلة عدد المسلمين وكثرة عدوهم. ثم أرسل أيضاً بعد ذلك  
عبدة بن الحارث ابن عم حمزة في ثمانين فارساً من المهاجرين  
ليعترض عيرا لقريش فيها مائتا رجل فوانوا العير ببطن رابع  
فكان بينهم الرمي بالنبال ثم خاف المشركون أن يكون  
للمسلمين كمين فانهزموا ولم يتبعهم المسلمون وفر من المشركين  
إلى المسلمين المتداد بن الأسود وعتبة بن غزوان وكانا  
اسلما وخرجا ليلحقا بالمسلمين

وممن توفي من المهاجرين في بحر هذه السنة—وهي الأولى  
 من الهجرة—عثمان بن مظعون أخو رسول الله صلى الله عليه  
وسلم من الرضاع اسلم قديماً وهاجر الهجرتين ولما دفن أمر  
عليه السلام بأن يرش قبره بالماء ويوضع على قبره حجراً

قال : أتعلم به قبر أخي وأدفن إليه من مات من أهلي . وهذا كان القصد من وضع الاحجار على المقابر . ولانثى عشرة ليلة خلت من صفر السنة الثانية خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة بعد ان استخلف عليها سعد ابن عبادة ليعترض عيرا لقريش في طريق مكة ولكنه رجع بدون أن يلقى حرباً لأن العير كانت قد سبقته وفي هذه الغزوة صالح بن حمزة على انهم آمنون على انفسهم ولهم النصر على من رامهم وان عليهم نصرة المسلمين اذا دعوا ثم رجع الى المدينة بعد مضي خمس عشرة ليلة . ولم يمض على رجوعه غير قليل حتى بلغه ان عيرا لقريش آية من الشام فيها أمية بن خلف ومائة من قريش والغان وخمسمائة بعير فسار اليها في مائتين من المهاجرين وذلك في ربيع الاول وكان يحمل لواءه سعد بن أبي وقاص فلما بلغ بواط وهو جبل بينبع وجد العير قد فاتته فرجع كذلك ولم يلقى كيداً وذلك كله لما كان يأخذه المشركون من الحذر على انفسهم والاجتهاد في اخفاء اخبارهم عن اهل المدينة وأعقب رجوعه عليه السلام خروج قريش بأعظم عير لها



— فقد جمعوا فيها أموالهم حتى لم يبق بمكة قرشي أو قرشية لها  
 مثقال فصاعدا إلا بعثت به في تلك العير — وكان يرأسها أبو  
 سفيان بن حرب فخرج لها الرسول في جمادى الأولى ومعه  
 مائة وخمسون من المهاجرين واستخاف على المدينة أبا سلمة  
 بن عبد الأسد وحمل لواءه عمه حمزة ولم يزل سائراً حتى بلغ  
 العشيرة وهي موضع بطريق يابغ فوجد العير قد مضت  
 وحالف في هذه الغزوة بني مدلج وحلفاءهم ثم رجع عليه السلام  
 إلى المدينة ينتظر هذه العير حينما ترجع وبعد رجوعه بقليل  
 جاء كرز بن جابر النهري وأغار على سرح المدينة وهرب  
 فخرج الرسول في طلبه واستخلف على المدينة زيداً بن حارثة  
 الأنصاري وحمل لواءه علي بن أبي طالب فسار حتى بلغ  
 سفوان — وهو واد من ناحية بدر — وفات كرز فلم يلق  
 حرباً . وفي رجب من هذه السنة أرسل سرية عدتها  
ثمانى رجال عليها عبد الله بن جحش وأمره باكتشاف خبر  
 عير لقريش ستمر من نخلة فسار عبد الله إلى أن وصل  
 نخلة وهناك مرّت بهم عير قرشية تريد مكة فحمل المسلمون

عليهم في أول يوم من رجب فقتلوا عمراً بن الحضرمي وأسروا  
عثمان بن عبد الله بن المغيرة والحكم بن كيسان واستاقوا  
العيرو وهي أول غنيمة غنمها المسامون من أعدائهم قريش ثم رجعوا  
ولم يتمكن المشركون من اللحاق بهم فلما قدموا المدينة وشاع  
أنهم قاتلوا في الأشهر الحرم وعاتبهم قريش واليهود بذلك  
عنفهم المسلمون وقال لهم عليه السلام ما أمرتكم بقتال في  
الأشهر الحرم فأنزل الله : « ويسألونك عن الشهر  
الحرام قتال فيه ؟ قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر  
به والمسجد الحرام وأخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة  
أكبر من القتل » وقد طلب المشركون فداء أسيرهم فقال  
عليه السلام حتى يرجع سعد وعتبة فلما رجعا قبل عليه السلام  
الفدية في الأسيرين فأما الحكم بن كيسان فأسلم وحسن  
إسلامه وبقي مع المسلمين وأما عثمان فلحق مكة كافراً  
وفي هذه السنة أمر عليه السلام بتحويل القبلة إلى  
الكعبة بعد أن مكث مدة يستقبل بيت المقدس وقد أكثر  
اليهود من التنديد على الإسلام لهذا التحويل وما دروا أن



لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء الى صراط مستقيم. وفي  
 شعبان من هذه السنة أوجب الله صوم رمضان على المسلمين  
 وكان عليه الصلاة والسلام قبل ذلك يصوم ثلاثة أيام من كل  
 شهر. ولا تفوت الليب حكمة الصوم فانها تلين النفس وتهذب  
 الاخلاق فتسهل على الانسان بذل الصدقات ولذلك أوجب  
 الله عقب الصيام زكاة الفطر فترى الانسان يبذلها بسخاء نفس  
 ونية خالصة. وفي هذا العام فرضت زكاة الاموال وهذه هي  
 النظام الوحيد الذي به يأكل الفقراء والمساكين من اخوانهم  
 الاغنياء بلا ضرر على هؤلاء. والليب العاقل البعيد عن التعصب  
 يحكم لاول نظرة ان هذا النظام مع عدم اضراره بالاغنياء  
 مقلل لمصائب الفقر التي اجأت كثيرين من الفقراء بالبلاد  
 الاجنبية ان يخالفوا نظام دولهم ويؤسسوا مبادئ غاية في  
 القبح لتقويض دعائم العمران وأركان المدنية كما يفعله  
 الاشرار كيون والنهيلست وغيرهم من الفرق الكثيرة التي  
 نسمع لها كل يوم اسماً جديداً

وفي رمضان من السنة الثانية للهجرة غزا غزوة بدر

فكانت الدائرة فيها على أبي جهل وقومه وهم تسعمائة  
وخمسون رجلا والنبي وأصحابه ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا  
 وفيها نزل قوله تعالى : اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني  
مدمم بالآل من الملائكة .... الآية. وقد قتل من المشركين  
 كثيرون منهم عقبه وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عقبه وعقبه  
 بن أبي معيط والنضر بن الحارث الذين كانوا بمكة من أشد  
 المستهزئين بالمسامين. وقد استشار عليه السلام أصحابه بشأن  
 الاسرى فأشار عمر بقتلهم حتى يعلم أنه ليس في قلوب المسلمين  
 مودة للمشركين ووافق على ذلك سعد بن معاذ وعبد الله بن  
 رواحة وقال أبو بكر : يا رسول الله هؤلاء أهلك وقومك  
 قد أعطاك الله الظفر والنصر عليهم أرى ان تستبقيهم وتأخذ  
 النداء منهم فيكون ما أخذنا منهم قوة لنا على الكفار وعسى  
 ان الله يهديهم بك فيكونوا لله عضداً. فقال عليه السلام : إن  
 الله ليلين قلوب أقوام حتى تكون أين من اللين وان الله  
 ليشدد قلوب أقوام حتى تكون أشد من الحجارة وان مثلك  
 يا أبا بكر مثل ابراهيم قال : فمن اتبعني فانه مني ومن عصاني



فانك غفور رحيم . وان مثلك يا عمر مثل نوح قال : رب لا  
تذر على الارض من الكافرين دياراً . ورأى عليه السلام رأى  
أبي بكر بعد ان مدح كلا من الصاحبين لأن الوجهة واحدة  
وهي اعزاز الدين وخذلان المشركين . ثم قال لاصحابه : أتم  
اليوم عالة فلا يفلتن أحد من أسراكم الا بفداء وقد بلغ قريشاً  
ما عزم عليه الرسول في أمر الاسرى فناحت على القتلى شهراً  
ثم أشير عليهم من كبارهم ان لا يفعلوا كي لا يباغ محمداً وأصحابه  
جزعهم فيشمتوا بهم فسكتوا وصمموا ان لا يبكوا قتلاهم حتى  
يأخذوا بثأرهم وتراضوا فيما بينهم ان لا يعجلوا في طاب الفداء  
لئلا يتغالى المسلمون فيه فلم يلتفت بعضهم الى ذلك وبعثوا في  
فداء أسراهم — وكان من أربعة آلاف الى ألف درهم ومن لم  
يكن معه فداء وهو يحسن القراءة والكتابة أعطوه عشرة  
من غلمان المدينة يعلمهم وكان ذلك فداؤه — وهذه الفزوة هي  
التي أعز الله بها الاسلام وقوى أهله مع قلة المسلمين وكثرة  
عدوهم فهي آية ظاهرة على عناية الله تعالى بالاسلام ولذلك  
قال الله متمنياً على عباده بهذا النصر : « ولقد نصركم الله ببدر

وأتم أدلة . « فهي أعظم الغزوات اذ قد قتل فيها من صناديد  
 قريش من كانوا الاعداء الالاء للاسلام ودخل الرعب في  
 قلوب باقى العرب فكانت للمسلمين هيبه بها يكسرون  
 الجيوش ويهزمون الرجال فلا جرم ان شكرنا الله تعالى على  
 هذه العناية وما أحرى المسلمين بأن يتخذوا هذا اليوم عيداً  
 يشكرون فيه الله على ما أولاهم من نعمة النصر . ولقد أظهر  
 يهود بنى قنعاك التغيظ والحنق من هذا النصر المبين وأبدوا  
 مكنون ضمائرهم فبدت البغضاء من أفواههم وانتهكوا حرمة  
 سيدة من نساء الانصار فدعا عليه السلام رؤساءهم وحذرهم  
 عاقبة البنى ونكث العهد فقاتلوا : يا محمد لا يفرّتك ما لقيت  
 من قومك فانهم لا علم لهم بالحرب ولو لقيتنا لتعلمن أنا نحن  
 الناس : وكانوا أشجع اليهود فأنزل الله « قل للذين كفروا  
 ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد قد كان لكم آية في  
 فتنين التمتا : فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم  
 مثليهم رأى العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان فى ذلك  
 لعبرة لأولى الأبصار » . وعند ما تظاهر اليهود بالعداوة



وتحصنوا بحصونهم سار اليهم عليه السلام وقاتلهم حتى  
انهزموا شر هزيمة وطلبوا منه الأمان على أن يخرجوا من  
المدينة ولهم النساء والذرية والمسلمين الاموال . فقبل ذلك  
عليه السلام . ثم كانت غزوة السويق وسببها ان أبا سفيان  
ذكر قتلاه بيدر وآلى على نفسه انه لا يمس الطيب والنساء  
حتى يأخذ بثارهم فبعث رجالاً الى المدينة قتلوا بعض الانصار  
وخرج هو في مائتي رجل فجد النبي صلى الله عليه وسلم في  
طلبهم فلما أحسوا به هرب أبو سفيان وتبعه تومه وألقوا  
جرب السويق فأخذه المسلمون ولذا سميت غزوة السويق .  
وفي هذه السنة سن الله للعالم الاسلامي سنة عظيمة بها يتمكن  
أبناء البلدة الواحدة من المسلمين أن يجددوا عهود الأخاء  
ويقووا عروة الدين الوثقى وهي الاجتماع في يومى عيد الفطر  
وعيد الاضحى وكان عليه السلام يجمع المسلمين في صعيد واحد  
ويصلى بهم ركعتين تضرعاً الى الله أن لا يفصم عروتهم وأن  
ينصرهم على عدوهم ثم يخطب فيهم حاضراً على الائتلاف ثم  
يصافح المسلمون بعضهم بعضاً . ثم غزا غزوة أحد في شهر

شوال للسنة الثالثة من الهجرة وكان عدد المشركين ثلاثة  
آلاف وخلفهم هند امرأة أبي سفيان في نسوة يضربن  
الدفوف وينحن على قتلى بدر ويحرضن القوم على الاخذ  
بالثار وكان عدد المسامين ألف رجل فقتل من المشركين  
اثنا وعشرون ومن المسامين سبعون فيهم حمزة وفي هذه  
الغزوة شج وجه النبي صلى الله عليه وسلم وكلمت شفثاه وجرح  
علي وأبو بكر وكانت هند وصواحبها يملثن بالشهداء فجذ عن  
الانوف والآذان وتخذن منها قلائد وبقرت هند بطن حمزة  
ولاكت كبده ونزل في هذه الغزوة قوله تعالى: ليس لك من  
الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون . وقد  
كان يقاتل مع قريش بنو المصطلق وبنو الهون بن خزيمه  
ومعهم ابو عامر الراهب الاوسى وكان فارق المدينة كراهية  
في الرسول عليه السلام ومعه عدد ممن هم على شاكلته وخرج  
معهم جماعات من أعراب كنانة وتهامة وقد لحق بالمسلمين  
في هذه الغزوة خسائر جمّة ومات منهم كثيرون وذلك لما  
خالف الرماة وصايا النبي صلى الله عليه وسلم إذا وقفهم خلف



الجيش على ظهر الجبل وقال : لا تبرحوا : إن رأيتونا ظهرنا  
عليهم فلا تبرحوا وإن رأيتوهم ظهورا علينا فلا تبرحوا. ولما  
دارت رحى الحرب بين الفريقين كانت الدائرة على المشركين  
فانطلق الرماة يتهبون اسلابهم ناسين ان ما قاله لهم الرسول  
لا بد وان يكون لحكمة عرفوها فيما بعد. فلما رأى الاعداء  
تفرق المسلمين انطلق أحد رؤسائهم ببعض الجيش وأتى  
المسلمين من ورائهم وهم مشتغلون بديارهم فلما رأوا ذلك البلاء  
دهشوا وتركوا ما بأيديهم وانتقضت صفوفهم واختلطوا من  
غير شعور حتى صار يضرب بعضهم بعضاً وأشاع أحد  
المشركين أن محمداً قد قتل فدخل الفشل بالمسلمين وانهمزم  
جماعة منهم وتوجهوا المدينة ولكنهم استحووا أن يدخلوها  
فرجعوا وثبت رسول الله ومعه جماعة كانوا يتلقون عنه رمي  
النبال— وقد أصابه عليه السلام في هذه الغزوة شداً عظيمة  
تحملها بما أعطاه الله من الثبات— وكان أبو عامر الراهب قد  
حفر حفراً وغطاها ليقع فيها المسلمون فوقع الرسول في حفرة  
فيها فأغمى عليه وخذشت ركبته فأخذه على يده ورفعته

طلحة بن عبيد الله - وهما ممن ثبت معه - حتى استوى قائماً فرماد  
عتبة بن أبي وقاص بحجر كسر رباعيته فتبعه حاطب بن أبي  
باتعة فقتله وشج وجهه عليه السلام كما أسلفنا وجرحت  
وجنتاه ثم سار الى الشـمب فجاءت له فاطمة وغسأت  
دمه . ولقد أصاب المسلمين الذين كانوا يحوطون به كثير  
من الجراحات لان الشخص منهم كان يتلقى السهم خوفاً  
أن يصل للرسول فوجد بطلحة ست وسبعون جراحة وشلت  
يده وأصاب كعب بن مالك سبع عشرة جراحة . وقد  
فرح المشركون بذلك ورجعوا الى مكة . وفي هذه الحادثة  
عبرة لمن يعتبر : فسبب هذا الابتلاء عصيان أمر الرسول  
والتنازع قال الله تعالى في ذلك : « ولقد صدقكم الله وعده إذ  
تحسونهم بأذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتهم  
من بعد ما أراكم ما تحبون : منكم من يريد الدنيا ومنكم من  
يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو  
فضل على المؤمنين » ولما رجع الرسول المدينة نادى في اصحابه  
بالخروج خلف العدو وأن لا يخرج إلا من كان معه بالأمس



مخافة أن يشن المشركون الغارة على المدينة ويتموا إنتصارهم  
 فكان ذلك وخرجوا واللواء معقود لم يحل فأعطاه لعل بن  
 أبي طالب وولى على المدينة ابن أم مكتوم ثم سار الجيش حتى  
 وصلوا مكاناً يدعى حمراء وهو على ثمانية أميال من المدينة في  
 طريق مكة . وقد كان ما ذنبه الرسول حقاً فان المشركين  
 تلاوموا على ترك المسامحة من غير شن الغارة على المدينة حتى  
 يتم لهم النصر فأصروا على الرجوع ولكن لما بانهم خروج  
 الرسول في أثرهم ظنوا أنه قد حضر معه من لم يحضر بالأوس  
 وألقى الله الرعب في قلوبهم فمادوا من سيرهم الى مكة . وظفر  
 عليه السلام وهم في حمراء الأسد بأبي عزة الشاعر الذي كان  
 يجرض المشركين على قتال النبي — وكان أسير في بدر وأطلته  
 الرسول بعد أن عاهده على أن لا يساعد ولا يعين على قتاله —  
 فأمر بقتله فقال : يا محمد أفانى وامن على ودعنى لبناتى وأعدك  
 عهداً أن لا أعود امثل ما فعلت فقال عليه السلام : لا والله  
 لا تمسح عارضيك بمكة تقول خدعت محمداً مرتين : لا يلدغ  
 المؤمن من حجر مرتين . وضرب عنقه . وفي هذه السنة

حرم الله الخمر والميسر فكان من وراء ذلك أن نجت الامم  
 الاسلامية من مرض المسكرات وهي الداهية التي تفجع  
 اليوم أمماً كثيرة من المسيحيين وغيرهم وكانت احدى  
 الأسباب في اضطراب المجتمع الانساني وظهور مذهب  
 النوضويين مما تجهله الامم الاسلامية ولكن ربما لا يمر زمن  
 إلا وتعرفه هي أيضاً لابتعادها عن الدين وانهماك كثير من  
 أفرادها وشبانها على الذات والمسكرات بفضل المدنية والحرية  
 اللتين هادتنا بهما أوروبا المتقدمة وتمن علينا بهما !! وفي السنة  
 الرابعة غزا بنى النضير من اليهود الذين تجمعوا على قتاله صلى  
 الله عليه وسلم وشدد عليهم الحصار حتى طلبوا الخروج  
 فأخرجهم بأمتعتهم إلا السلاح فأم بعضهم خيبر وأم البعض  
 الشام . وفي السنة نفسها كانت غزوة ذات الرقاع مع جموع  
 غطفان وغزوة بدر الثانية مع أبي سفيان ولم يكن فيها حرب  
 ثم جاءت السنة الخامسة وفيها غزا غزوة الخندق المسماة بغزوة  
 الأحزاب لتحزب قبائل العرب كقريش وكنانة وغطفان  
 وقبائل نجد وبنى قريظة فدارت الدائرة على آلافهم المجتمعمة



وفيها نزل قوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله  
 عليكم اذ جاءكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً و جنوداً لم تروها .  
 وفيها أشار سلمان الفارسي رضي الله عنه على النبي صلى الله  
 عليه وسلم بأن عادة النمرس أن يطوقوا مدنهم بخندق حين  
 يحاصرها العدو إلقاء هجومه وأخذ النبي صلى الله عليه وسلم  
 برأيه وحفر خندقاً حول المدينة وعمل فيه بنفسه ترغيباً  
 للمسلمين . وفي هذه السنة غزا بني قريظة وحاصروهم خمسا  
 وعشرين ليلة في شهر ذي القعدة وسبوا منهم سبعائة رجل  
 يزيدون أو ينقصون . وفي السنة عينها أو في سنة ست غزا بني  
 المصطلق وقتلهم على ماء لهم يسمى المريسيق وقتل وسبوا وغنم .  
 وسببها أن الحارث بن ضرار - سيد بني المصطلق الذين ساعدوا  
 قريشاً على المسلمين في أحد - كان أخذ يجمع الجموع لحرب النبي  
 فسمع الرسول بذلك نخرج له وتقاتلوا بعد أن عرض النبي  
 عليهم الاسلام فلم يقبلوا وحمل عليهم المسلمون حملة رجل  
 واحد كانت الدائرة فيها على بني المصطلق وأسر المسلمون  
 كثيراً منهم ومن نساءهم فقرقهم النبي على المسلمين ومن ذلك

يظهر حسن السياسة ومنتهى الكرم فان بنى المصطلق من اعز العرب داراً فأسر نساءهم بهذه الحال صعب جداً فأراد عليه السلام أن يجعل المسامحين يمتنون على النساء بالحرية من تلقاء أنفسهم فتزوج برة بنت الحارث التي سماها جويرية فقال المسلمون : أصهار رسول الله لا ينبغي أسرهم في أيدينا . فنوا عليهم بالعتق وتسبب عن هذا الكرم العظيم وهذه المعاملة الجليلة أن أسلم بنو المصطلق عن بكرة أبيهم وكانوا للمسلمين بعد ان كانوا عليهم . وقد حصل في هذه الغزوة نادرتان لولا أن صاحبتهما حكدة رسول الله لعادتا بالتزريق على المسلمين (١)

( ١ ) فأولاهما أن أجيراً لعمر بن الخطاب اختصم مع حليف للخزرج فضرب الاجير الحليف حتى سال دمه فاستصرخ بقومه الخزرج واستصرخ الاجير بالمهاجرين فعلت الشخفاء وكادوا يقتتلون لولا أن خرج عليهم رسول الله فأخبروه الخبر ثم كلم المضروب حتى أسقط حقه وبذلك سكنت الفتنة فلما بلغ عبد الله بن أبي هذا الحصام غضب وكان عنده رهط من الخزرج فقال : ما رأيت كالיום مذلة أو قد فعلوها نافرنا في ديارنا والله ما نحن والمهاجرون الا كما قال الاول سمن كلبك يا كلك اما والله لئن رجعنا الى المدينة



وهما من مضار المنافقين الذين يدخلون بين الامم مظهرين  
الحبة لهم وقلوبهم مملوءة حقداً يتربصون الفتن فتى رأوا باباً

ليخرجن الاعز منها الاذل ثم التفت الى من معه وقال : هذا ما  
فعلتم بأنفسكم أحللتوهم بلادكم وقاسمتوهم أموالكم أما والله لو  
أمسكتهم عنهم بأيديكم لتحولوا الى خير داركم ثم لم ترضوا بما فعلتم  
حتى جعلتم أنفسكم غرضاً للمنايا دون محمد فأيتتم أطفالكم وقتلتم وكثروا فلا  
تتفقوا عليهم حتى ينفضوا من عنده. وكان في مجلسه شاب حديث  
السن قوى الاسلام اسمه زيد بن أرقم فأخبر رسول الله الخبر فتغير  
وجهه وقال : يا غلام لعلك غضبت عليه فقلت ما قلت؟ فقال : والله  
يا رسول الله لقد سمعته . قال : لعله أخطأ سمعك ؟ فاستأذن عمر  
الرسول في قتل ابن أبي أو أن يأمر أحداً غيره بقتله فنهاه عن  
ذلك . وقال : كيف يا عمر اذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه؟!  
ثم أذن بالرحيل في وقت لم يكن يرتحل فيه حين اشتد الحر يتصد  
بذلك عليه السلام اشغال الناس عن التكلم في هذا الموضوع فجاءه  
أسيد بن حضير وسأله عن سبب الارتحال في هذا الوقت فقال :  
أو ما بلغك ما قال صاحبكم: زعم انه ان رجع الى المدينة ليخرجن  
الاعز منها الاذل. قال: أنت والله يا رسول الله تخرجه ان شئت هو  
والله الذليل وأنت العزيز . ثم سار عليه السلام بالناس سيراً حديثاً  
حتى آذتهم الشمس فنزل بالناس فلم يلبثوا أن وجدوا مس الارض  
حتى وقعوا نياماً وكلم رجال من الانصار عبد الله بن أبي في أن

لها ولجوه فنعوذ بالله منهم . وفي هذا العام — على ما عليه  
الاكثر — فرض الله على المسلمين حج البيت الحرام من

يطلب من الرسول الاستغفار فلوى رأسه واستكبر وهنا نزل على  
الرسول سورة المنافقين التي فضحت عبد الله بن أبي واخوانه وصدقت  
زيد بن أرقم ولما بلغ ذلك عبد الله بن عبد الله بن أبي استأذن  
رسول الله في قتل أبيه حذراً من أن يكلف بذلك غيره فيكون  
عنده من ذلك أضغان وأحقاد فأمره عليه السلام بالاحسان الى أبيه  
(النادرة الثانية) وهي أفضع من الاولى وأجلب منها للمصائب  
وهي رمى عائشة الصديقة — زوج رسول الله — بالافك فاتهموها بصفوان  
بن المعطل السلمي وذلك انهم لما دنوا من المدينة آذن عليه السلام  
ليلة بالرحيل وكانت السيدة قد مضت لقضاء حاجتها حتى جاوزت  
الحيش فلما قضت شأنها أقبلت الى رحلها فامست صدرها فاذا عقد  
لها من جزع ظفار قد انقطع فرجعت تلمس عقدها فحبسها ابتغاؤه  
فأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون فاحتلموا هودجها ظانين انها فيه  
فلما جاءت منزل الحيش بعد ان وجدت عقدها لم تجد به أحداً فغابها  
عينها فنامت وكان صفوان بن المعطل يسير وراء الحيش يفقد  
ضامه فأصبح عند منزلها فعرّفها لانه كان رآها قبل الحجاب فاسترجع  
فاستيقظت باسترجاعه وسرت وجهها بجلابها فأناخ راحلته وأركبها  
من غير أن يتكلما بكلمة ثم انطلق يقودها الراحلة حتى وصل  
الحيش وهو نازل للراحة فقامت قيامة أهل الافك وقالوا ما قالوا في



استطاع اليه سبيلاً وفي ذلك من تقوية الرابطة واتحاد القلوب ما فيه للمسلمين الفائدة العظمى. وفي السنة السادسة خرج

عائشة وصفوان والذي تولى كبر الافك عبد الله بن أبي ولما قدموا المدينة مرضت عائشة شهراً والناس يفيضون في قول أهل الافك وهي لا تشعر بشيء. وكانت تعرف في رسول الله رقة اذا مرضت فلم يعطها نصيباً منها في هذا المرض بل كان يمر على باب الحجر لا يزيد على قوله كيف حالكم مما جعلها في ريب عظيم فلما نقهت خرجت هي وأم مسطح بن أثانة — أحد أهل الافك — للتبرز خارج البيوت فعرثت أم مسطح في مرطها فقالت: تعس مسطح. فقالت عائشة: بس ما قلت أتسيين رجلاً شهيد بديراً فقالت: يا بنتاه أو لم تسمعي ما قالوا؟ فسألتها عائشة عن ذلك فأخبرتها الخبر فازدادت مرضاً على مرضها ولما جاءها عليه السلام كعادته استأذنته أن تمرض في بيت أبيها فأذن لها فسألت أمها عما يقول الناس فقالت يا بنية: هوني عليك فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها لها ضرائر الا أكثرن عليها. فقالت: سبحان الله أو لقد تحدث الناس بهذا؟ وبكت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لها دمع ولا تسكتحل بنوم وفي خلال ذلك كان عليه السلام يستشير كبار أهل بيته فيما يفعل. فقال له أسامة بن زيد لما يعلمه من براءة عائشة: أهلك أهلك ولا نعلم عليهم الا خيراً. وقال علي بن أبي طالب: لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير. وسل الجارية تصدقتك. فدعا عليه السلام بريرة جارية عائشة

صلى الله عليه وسلم وأصحابه من المهاجرين والانصار وكانوا  
ألفاً وربعمائة وساق الهدى قاصداً مكة وبلغ ذلك قريشاً فبعثت

وقال لها : هل رأيت من شيء بربيك ؟ فقالت : والذي بعثك بالحق  
ما رأيت عليها أمراً قط أغمضه غير انها جارية حديثة السن تنام عن  
عينيها فتأتى الداخن فتأكله. فقام عليه السلام وصعد المنبر والمسلمون  
مجمعون. وقال : من يمدرنى من رجل قد بلغنى أذاه فى أهلى ؟ والله  
ما علمت على أهلى الا خيراً ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه الا  
خيراً وما يدخل على أهلى الا مبي. فقال : سعد بن معاذ : أنا يارسول  
الله أعذرك منه فان كان من الاوس ضربت عنقه وان كان من  
اخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك. فقام سعد بن عبادة الخزرجى  
وقال : كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله ولو كان من  
من رهطك ما أحببت أنه يقتل. فقام أسيد بن حضير وقال لسعد بن  
عبادة : كذبت لعمر الله لنقتله فانك منافق تجادل عن المنافقين  
وكادت تكون فتنة بين الاوس والخزرج لولا أن رسول الله نزل  
من فوق المنبر وخفضهم حتى سكتوا أما عائشة فبقيت حزينة كئيبه  
لا يهنأ لها عيش ولا يهدأ لها بال. وبينما هى مع أبويها اذ دخل عليه  
السلام فسلم ثم جلس فقال : أما بعد يا عائشة انه بلغنى عنك كذا  
وكذا فان كنت بريئة فسيبرئك الله وان كنت ألمت بذنب فاستغفرى  
الله وتوبى اليه فان العبد اذا اعترف وتاب تاب الله عليه فتخلص دمع  
عائشة وقالت لابويها : أحببنا رسول الله . فقالا : والله ما ندرى ما



اليه عمرو بن مسعود الثقفي سيد أهل الطائف فقال له : أن  
قريشاً عاهدوا الله أن لا تدخل عليهم مكة عنوة ورجع لهم  
فقال : جئت كسرى وقيصر في ملكهما فوالله ما رأيت ملكاً

نقول . فقالت : انى والله لقد علمت أنكم سمعتم هذا الحديث حتى  
استقر في أنفسكم وصدقتم به . فلئن قلت لكم انى بريئة لا تصدقونى  
ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم انى منه بريئة لا تصدقونى فوالله لا  
اجد لى ولكم مثلاً الا أبابوسف قال : « فصر جميل والله المستعان  
على ما تصفون » . ثم تحولت واضطجعت على فراشها ولم يزاول  
رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه حتى نزلت عليه الآيات من  
سورة النور ببراءة السيدة المطهرة عائشة الصديقة وأولها « ان الذين  
جاؤا بالافك عصبه منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكل امرئ  
منهم ما اكتسبت من الاثم والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم »  
فسرى من رسول الله وهو يضحك وبشر عائشة بالبراءة فقالت لها  
أمها : قومى فاشكرى رسول الله . فقالت : لا والله لا أشكر الا الله  
الذى برأنى . وبعد ذلك أمر عليه السلام بأن يجلد من صرح بالافك  
ثمانين جلدة وهى حد القاذف وكانوا ثلاثة جنة بنت جحش ومسطح  
بن أنانة وحسان بن ثابت . وكان ابو بكر ينفق على مسطح بن أنانة  
لقربته منه فلما تكلم بالافك قطع منه النفقة فأنزل الله « ولا يأتل  
أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى واليتامى والمساكين

في قومه مثل محمد في أصحابه . وبعث صلى الله عليه وسلم  
عثمان بن عفان ليخبر أبا سفيان وأشرف مكة أن الرسول لم  
يأت محاربا وإنما أتى زائراً معظماً البيت فقالوا له : ان أحببت  
أن تطوف بالبيت فطف فقال لا إلا أن يطوف رسول  
الله . فبسوه وبلغ الرسول صلى الله عليه وسلم أنهم قتلوه  
فدعا من معه الى البيعة فبايعوه بيعة الرضوان تحت الشجرة  
قال الله تعالى : لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت  
الشجرة . ولما علمت قريش بهذه البيعة خافوا وأشار اهل الرأى  
منهم بالصلح فبعثوا الى النبي صلى الله عليه وسلم سهل ابن  
عمرو فأجابه الى ما طلبت قريش من وضع الحرب على  
شروط<sup>(١)</sup> ونحر هديه وحلق رأسه وفعل مثله صحبه وعادوا

والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا الا تجون أن يغفر الله  
لكم والله غفور رحيم « فقال : أبو بكر بنى نحب ذلك يا رسول  
الله واعاد النفقة على مسطح

(١) وهذه هي الشروط وتسمى بصاح الحديدية نسبة الى  
المكان الذي عقدت فيه

١ — وضع الحرب بين المسلمين وقريش أربع سنوات



وفي شهر المحرم من السنة السابعة غزا خيبر وصالحه أهلها على  
ان يساق بهم بنصف الثمار ويخرجهم متى شاء ففعل وفيها اكل صلى

٢ — من جاء المسلمين من قريش يردونه ومن جاء قريشاً من  
المسلمين لا يلزمون برده

٣ — أن يرجع النبي من غير عمرة هذا العام ثم يأتي العام المقبل  
فيدخلها بأصحابه بعد ان تخرج منها قريش فيقيم فيها ثلاثة  
أيام ليس مع أصحابه من السلاح الا السيف في القراب والقبوس

٤ — من أراد أن يدخل في عهد محمد من غير قريش دخل  
فيه ومن أراد أن يدخل في عهد قريش دخل فيه

ولما قبل النبي هذا الشرط داخل المسلمين منه أمر عظيم  
وقالوا : سبحان الله كيف نرد اليهم من جاءنا مسلماً ولا يردون  
من جاءهم مرتداً؟ فقال عليه السلام : ان من ذهب منا اليهم فأبعده  
الله ومن جاءنا منهم فرددناه اليهم فسيجعل الله له فرجاً ومخرجاً. أما  
الامر الثالث وهو صد المسلمين عن الطواف بالبيت فكان أشد تأثيراً  
على قلوبهم لان الرسول أخبرهم أنه رأى في منامه أنهم دخلوا البيت  
أمين وقد سأل عمر أبا بكر في ذلك فقال رضى الله عنه : وهل  
ذكر أنه في هذا العام؟. وكتب شروط الصالح بين الطرفين وكان  
الكاظم على بن أبي طالب فأملأه عليه السلام بسم الله الرحمن الرحيم  
فقال سفير قريش : اكتب باسمك اللهم فأمر الرسول أن يكتب  
ذلك ثم قال هذا ما صالح عليه محمد رسول الله فقال السفير : لو نعلم

الله عليه وسلم من الشاة المسمومة التي اهدتها اليه زينب بنت  
الحرث اليهودية اذ لم تزل تعاوده الى وفاته وتقل في عين

انك رسول الله ما خالفناك ا كتب محمد بن عبد الله فأمر عليه السلام  
عائياً بمحو ذلك وكتابة محمد بن عبد الله فامتنع على وتوقف فمحاها  
النبي بيده وكتبت نسختان لكل من الطرفين نسخة وهذه هي أول  
معاهدة دولية ظهرت في العالم وبعد كتابتها قال النبي صلى الله عليه  
وسلم املى: سيكون لك مثل هذه الواقعة. وقد حصل بالفعل له مثل  
ذلك حين كتابة شروط التحكيم بينه وبين معاوية

وبعد كتابة الشروط جاءهم أبو جندل بن سهيل يحجل في قيوده  
وكان من المسلمين المنوعين من الهجرة فهرب للمسلمين هذه المرة  
ليحموه فقال له الرسول: اصبر واحتسب فان الله جاعل لك ولمن  
معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً انا قد عقدنا بين القوم صلحاً  
وأعطيناهم وأعطونا على ذلك عهداً فلا تغدر بهم. وكذلك رد الى  
قريش أبو بصير رضي الله عنه حين فر وأرسلت في طلبه اثنين  
ولكن أراد الله تعالى أن أهل قريش طلبوا أنفسهم ابطال هذه  
الشروط وأعطوا للنبي الحق في امساك من جاءه بأن اجتمع المسلمون  
الذين بمكة وفروا لجهة الشام واتحدوا مع جمع من الاعراب وقطعوا  
الطريق على بحارة قريش كما قطعوا عنهم الامداد فاستغاثت قريش لمنع  
ذلك برسول الله فقبل منهم ابطال هذا الشرط وأزاح الله عن المسلمين  
هذه الغمة التي صعب عليهم تحملها في الحديدية حينما أمرهم عليه



على وكانت رمداً فبرئ واعطاه الراية فقاتل اهل الحصن حتى فتح الله عليه بقلع بابه ثم انصرف صلى الله عليه وسلم الى وادى القرى فحاصره وفتحها عنوة وفي هذه السنة كانت عمرة القضاء التي خرج لاجلها صلى الله عليه وسلم في ألفين من أصحابه وأدوها وفي السنة الثامنة أسلم خالد بن الوليد وعمر بن الخطاب وعثمان بن طلحة بن عبد الدار وفيها كانت غزوة مؤتة بين الروم والمسلمين ونال المسلمون الفتح فيها على يد

الصلاة والسلام برد أبي جندل وعلموا أن رأى الرسول أفضل وأحسن من رأيهم حيث كان في أمر تسبب عنه اختلاط الكفار بالمسلمين تخالطت بشاشة الاسلام قلوبهم حتى قال أبو بكر: ما كان فتح في الاسلام أعظم من فتح الحديبية ولكن الناس قصر رأيهم عما كان بين محمد وربه والعباد يعجلون والله لا يعجل لمجلة العباد حتى تبلغ الامور ما أراد . وفي رجوعه عليه الصلاة والسلام من الحديبية نزلت عليه سورة الفتح وقال سبحانه وتعالى في أولها ( ان فتحنا لك فتحاً مبيناً ) وفي الحقيقة انه ترتب على هذه المهادنة — التي لم تعجب المسلمين في مبدأ الامر — دخول كثيرين في الاسلام اذ لما كانت الهدنة ووضعت الحرب أوزارها وأمن الناس بعضهم بعضاً التقوا وتفاوضوا في الحديث والمنازعة فلم يكلم أحد بالاسلام أحداً الا دخل فيه

خالد بن الوليد بعد أن استشهد من قواد المسلمين ثلاثة هم  
 زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة. وفي  
 هذه السنة خرج صلى الله عليه وسلم باثني عشر النمامن  
 المهاجرين والانصار وطوائف غيرها الى قرب مكة قاصدا  
 فتحيا لنتض قريش العهد ولله مقربة من مكة ركب العباس  
 عمه الى مكة ليخبر أشرانها فيأتوا الى النبي صلى الله عليه وسلم  
 ويستأمنوه فوجد أبا سفيان فأتى به واسلم ثم امر النبي الجنود  
 لتدخل مكة فدخلوها يوم الجمعة لعشر بقين من رمضان واطمان  
 الناس وطاف صلى الله عليه وسلم بالبيت وصلى فيه وكسر  
 الاصنام قائلاً : قل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان  
 زهوقاً. ثم ارسل السرايا لتدعو من هم حول مكة الى الاسلام  
 وكانت منها سرية خالد بن الوليد التي نزل بها على ماء بني  
 جذيمة ولكونهم أبوا الاسلام قاتلهم وقتل منهم ولما بلغ  
 ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن امر بالقتال. قال :  
 اللهم انى أبرأ اليك مما صنع خالد ثم أرسل علياً بمال أدى به  
 دية القتلى وبقي معه مال دفعه اليهم تطيباً لخواطرم وفي هذه



السنة كانت غزوة حنين وكان النبي في اثني عشر ألفاً من اصحابه فنالوا النصر المبين وأعجب المؤمنون فيها بكثرتهم حتى قال احدهم: لن نغلب اليوم عن قلة! فنزل قوله تعالى: ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم. وتجمع المشركون من ثقيف بالطائف بعد هزيمتهم في حنين فسار اليهم النبي وحاصرهم اياماً وقتلهم بالمنجنيق وظهر عليهم وغنم شيئاً كثيراً بلغ على ما يقولون اربعة وعشرين ألف بعير واكثر من اربعين الف شاة واربعة آلاف أوقية من الفضة ففرقها صلى الله عليه وسلم على مسلمي الفتح ففتط من أهل مكة فوجد الانصار في نفوسهم فدعاهم فقال صلى الله عليه وسلم: اوجدتم يا معشر الانصار على لعنة من الدنيا ألفت بها قوماً ليسلموا ووكاتكم الى اسلامكم أما ترضون ان يذهب الناس بالعين والشاه وترجعون برسول الله الى رحالكم؟ أما والذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرأ من الانصار ولو سلك الناس شعباً لسلكت شعب الانصار اللهم ارحم الانصار وابناء الانصار. واطلق النبي صلى الله عليه وسلم السبي وكانت عدته ثمانية آلاف وفي هذه

الغزوة اسلم مقدم هوازن مالك بن عوف واستعمله النبي صلى  
 الله عليه وسلم على قومه ومن اسلم من تلك القبائل. ثم جاءت  
 السنة التاسعة وفيها كاتب النبي صلى الله عليه وسلم الملوك  
 والقبائل ودعاهم الى الاسلام فبعث الى النجاشي ملك الحبشة  
 عمر بن أمية بكتاب فقبله ولى المقوقس - عامل الروم على  
 مصر - حاطب بن ابى بلتعة بكتاب فأكرم المقوقس حاطباً  
 وردده بلطف واهدى الى النبي صلى الله عليه وسلم بغلة وحملاً  
 وجاريتين احدهما مارية التبطية - والدة ابراهيم بن النبي صلى  
 الله عليه وسلم - ولى قيصر الروم دحية بكتاب فاحترمه  
 واعتذر عن الاسلام لتهيج شعبه ونفرتهم منه ولى كسرى -  
 ملك النرس - عبد الله بن حدانة بكتاب فزقه كسرى وكتب  
 الى عامله باليمن ان يرسل النبي اليه وبلغ النبي ذلك فدعا عليه  
 فساط الله على كسرى ابنه شيرويه فقتله. وكتب شيرويه الى  
 عامل اليمن وكان اسمه باذان بأن لا يتعرض الى النبي صلى الله  
 عليه وسلم فى شىء فأسلم باذان وجمع من فارس. وبعث الى  
 الحارث بن أبى شمر الغساني شجاع بن وهب الأسدي



بكتاب تقرأه وقال : أنا سائر اليه ندعا عليه النبي صلى الله  
 عليه وسلم فأباد الله ملكه . والى هوزة ملك اليمامة سايظ بن  
 عمرو فقال : ان جعل الامر لي بعده سرت اليه وأسلمت  
 ونعرتة وإلا حاربتة . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اللهم  
 اكفنيه . فأت بعد قليل والى المنذر ملك البحرين العلاء بن  
 الحضرمي فأسلم وأسلمت معه عرب البحرين . وفي آخر هذه  
 السنة غزا النبي صلى الله عليه وسلم الروم في تبوك وكانت  
 جيوش الاسلام ثلاثين ألفاً وتمت هذه الغزوة بالصالح وصالح  
 المسلمون أهل أذرب ودمومة الجندل . وبعد عودته صلى الله  
 عليه وسلم وفدت عليه الوفود للاسلام من بلاد العرب تماماً  
 ونزل قوله تعالى : اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس  
 يدخلون في دين الله أفواجا... الآية . ثم بعث النبي صلى الله  
 عليه وسلم علياً بكتاب الى اليمن فأسلمت همذان كانوا بعد  
 سماءه في يوم واحد ثم تابعت سكان الاطراف والشواطئ  
 لتدين بالاسلام حتى طبق الدين الانحاء وملا تلك الارحاء  
 كل ذلك في تمام السنة العاشرة من الهجرة . ثم حج النبي صلى

الله عليه وسلم — بعد ان عمم بغزواته انتشار المسلمين في البلاد  
 العربية — حجته المشهورة بحجة البلاغ لتبليغه المناسك للمسلمين  
 فيها وهي حجة الاسلام المنزل فيها قوله تعالى: اليوم اكملت  
 لكم دينكم واتممت عاينكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً .  
 ويقال لها حجة الوداع لتوديع النبي صلى الله عليه وسلم فيها  
 للمسلمين وكان صلى الله عليه وسلم في تسعين ألفاً أو مائة  
 واربعة عشر ألفاً من المؤمنين ووجد ان علم الناس مناسكهم  
 وارشدهم الى سنن حجهم خطب فيهم خطبته الشهيرة على  
 عرفات وهو على ناقته القصواء فقال فيها: ان الحمد لله نحمده  
 ونستغفره ونتوب اليه ونعوذ بالله من شرور انفسنا ومن  
 سيئات اعمالنا من يهد الله فلا مضل له ومن يضال الله فلا  
 هادي له واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد  
 ان محمداً عبده ورسوله . اوصيكم عباد الله بتقوى الله واحتم  
 على طاعة الله واستفتح بالذي هو خير . أما بعد ايها الناس  
 اسمعوا مني ايين لكم فاني لا ادري لعلي لا ألقاكم بعد عامي  
 هذا في موقفي هذا . ايها الناس ان دماءكم واموالكم عليكم



حرام الى ان تأتوا ربكم بحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في  
 بلدكم هذا ألا هل بلغت اللهم اشهد . فمن كانت عنده امانة  
 فليؤدها الى الذي ائتمنه عليها . وان ربا الجاهلية موضوع وان  
 اول ربا ابدأ به ربا عمى العباس بن عبد المطلب . وان دم  
 الجاهلية موضوعة وان اول دم ابدأ به دم عامر بن ربيعة  
 بن الحارث بن عبد المطلب . وان ماثر الجاهلية موضوعة غير  
 السدانة والسقاية . والعمد قود وشبه العمد ماقتل بالعصا والحجر  
 ففيه مائة بعير فمن زاد فهو من اهل الجاهلية . ايها الناس ان  
 الشيطان قد يئس ان يعبد في ارضكم هذا ولكنه رضى ان  
 يطاع فيما سوى ذلك مما تحمرون من اعمالكم . ايها الناس انما  
 النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كذبوا بآيات الله  
 ويمرؤنه عامما ليواطؤا عدة ما حرم الله وان الزمان قد استدار  
 كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وان عدة الشهور  
 عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات  
 والارض منها أربعة حرم ثلاثة متواليات وواحد فرد ذو  
 القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب الذي بين جمادى وشعبان

ألا هل بلغت اللهم أشهد . أيها الناس ان لنسائكم عليكم حقاً  
 وان لكم عليهن حقاً : لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم غيركم  
 ولا يدخلن أحداً تكبرهونه بيوتكم الا باذنكم ولا يأتين  
 بفاحشة فان فعلن فان الله أذن لكم أن تعضلوهن وتهجروهن  
 في المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مبرح فان انتهين وأطعنكم  
 فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف . وانما النساء عندهم عوار  
 لا يملكن شيئاً أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن  
 بكلمة الله فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهن خيراً . أيها  
 الناس انما المؤمنون اخوة فلا يحل لامرئ مال أخيه إلا عن  
 طيب نفس ألا هل بلغت اللهم أشهد . فلا ترجعوا بعدي  
 كفاراً يضرب بعضهم أعناق بعض فاني قد تركت فيكم  
 ما إن أخذتم به لن تضلوا : كتاب الله وأهل بيتي ألا هل  
 بلغت اللهم أشهد . أيها الناس ان ربكم واحد وان اباكم واحد  
 كلكم لا دم وادم من تراب أكرمكم عند الله اتقاكم ليس  
 لعربي على عجمي فضل الا بالتقوى ألا هل بلغت . قالوا : نعم  
 قال : فايبلغ الشاهد منكم الغائب . أيها الناس ان الله قسم



لكل وارث نصيبه من الميراث ولا يجوز لو ارث وصية في  
 أكثر من الثلث والولد للتراش وللعاشر الحاجر من دعي الى  
 غير أبيه او تولى الى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس  
 اجمعين لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً والسلام عليكم ورحمة  
 الله وبركاته

هذه هي خطبة الوداع ولو اردنا شرح ما حوته من  
 الحكم والتشريع لازم لذلك مجلدات وايس هنا موضعه  
 وفاته عليه السلام - وبعد ان فرغ صلى الله عليه وسلم  
 من حجه عاد الى المدينة فأقام بها الى أواخر شهر صفر من  
 السنة الحادية عشرة ثم اعتراد مرضه الذي توفي به. ولم تنزله  
 عليه الصلاة والسلام عنيته وشفقته على المسلمين حتى في  
 مرضه. من ذلك أنه خرج في حال مرضه يوماً مسنداً بين  
 الفضل بن العباس وعلي بن أبي طالب قاصداً المسجد فصعد  
 المنبر فحمد الله. ثم قال: أيها الناس من كنت جلديت له ظهراً  
 فهذا ظهري فليستقد منه ومن أخذت له مالاً فهذا مالي  
 فليأخذ منه ولا يخشى الشحناء من قبلي فانها ليست من شأني.

ونزل فصلى الظهر ورجع الى المنبر فعاد الى مقالته فادعى عليه رجل ثلاثة دراهم فأعطاه بدلها . ولما اشتد عليه مرضه استأذن أزواجه أن يمرض في بيت عائشة أم المؤمنين فأذن له . وتأخر عن الصلاة بالناس ثلاثة أيام قال في أول يوم منها مروا أبا بكر فليصل بالناس . فقالت عائشة : انه رجل رقيق وانه متى يتم مقامك لا يطيق ذلك فقال : مروا أبا بكر فليصل بالناس . فقالت : مثل ذلك فقال صلى الله عليه وسلم انكن صواحبات يوسف مروا أبا بكر فليصل بالناس فصلى أبو بكر بالناس ثلاثة أيام بعدها توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة اثنتى عشر ليلة خلت من شهر ربيع الأول ٨ يونيو سنة ٦٣٢ ميلادية فغسل وكفن في ثلاثة أثواب وحفر له تحت فراشه صلى الله عليه وسلم ودفن في قبره ليلة الاربعاء وله ثلاثة وستون سنة قرية وثلاثة أيام وتوفي عليه الصلاة والسلام مستريح البال والضمير إذ أتم العمل الذي كان دائماً يفكر فيه وقام بالمهمة التي عهدا اليه ربه سبحانه وتعالى خير قيام فآلف بين قلوب مختلفة وأهواء



متشقة وأمم متفرقة وقبائل متباعدة بحيث أصبحوا بعد  
النفرة بنعمة الله اخوانا وأوجد وحدة قومية وجامعة دينية  
بين اقوام لم يعهدوها بل ولم يتخيلوها من قبل وأسس حكومة  
يصح ان تقول فيها إنها دستورية شوروية ملكية جمهورية  
امبراطورية في آن واحد وما احراها ان تدعى بالحكومة  
الابوية كما لا يخفى على كل منصف وأسس ديناً هو خاتمة  
الأديان لأنه يأمر المتدين به ان يعمل لدنياه كأنه لا يموت  
أبدًا ولا آخريته كأنه يموت غدًا فهو دين جمع بين حاجيات  
الدنيا وحاجيات الآخرة وهذا هو السبب الذي ساعد  
بالاكثر على انتشاره بالسرعة والسهولة التي عجب لها كل  
انسان وادهشت كل مناظر. لان الأديان المنزلة من قبله  
كانت إما اليهودية وهي دين دنيوى محض يقضى بأن يعامل  
كل انسان الآخر بمثل ما يعامله به السن بالسن والعين بالعين  
وإما النصرانية وهي دين أخروي محض يوجب على صاحبه  
ان يتحمل كل شيء ويصبر على كل مكروه ويأمر من يضرب  
على خده اليسار ان يدير لضاربه خده اليمين وان يترك الدنيا

ويزهد فيها كل الزهد الخ .

ولا يخفى ان عاقبة السير على مقتضى كل من الدينين لا  
تؤدى الى تأسيس حكومة نظامية ثابتة الاساس قوية الاركان  
واقدم عرف سيدنا عيسى عليه السلام كل ذلك فقال: لا تظنوا  
انى جئت لالاقى بينكم سلماً كلاً بل سيفاً . ولا يمكن فى الحقيقة  
ونفس الامر ان يكون إلا ما تنبأ به . فأوجد الله الاسلام  
جامعاً بين الدينين يأمر بالتصاوص والعفو ويكلف الناس  
بالعمل للدنيا والآخرة وجعل المسلمين أمة وسطا فهو دين  
يطابق كل زمان وكل مكان يقبله العقل ويوافق كل ذوق سليم  
ولذلك قبله عقلاء العرب وتبعهم فى ذلك جم غفير من الاقوام  
الآخريين وما زال ولن يزال ينتشر بسرعة غريبة بدون  
مبشرين ولا مرسلين مما جعل التفرنج يتخوفون من نتيجة  
ذلك الانتشار ويبحثون عن السر فيه ويجتهدون فى ايقاف  
تياره ولكنهم عبثاً يحاولون ذلك اذ انى لهم ان يقفوا فى سبيله  
وهو ما صادف قلباً إلا تمكن منه ولا يسع أحداً ان ينزعه  
منه بشهادة كثيرين من الباحثين فى هذا الموضوع وافاضل



علماء الفرنج قلا جرم اذا كان الاسلام خاتمة الاديان وحسبنا  
دليلاً على أن مرجع العالم كله اليه والى مبادئه ما نراه من  
افتقار العالم أو بعبارة أخرى افتقار الدول العريقة في التمدن  
كما تسمى نفسها الى الرجوع الى بعض أحكامه من حين  
لآخر وإلا أليس في محاولة إدخال الطلاق والخدمة العسكرية  
الجبرية في القوانين الأوروبية الحديثة رجوع الى مبادئ  
الدين الاسلامي الذي طالما رماه بعض المتعصبين الجاهلين  
بالهمجية والتوحش؛ وأليس في تلك الحقوق والامتيازات التي  
تطلبها نساء الفرنج ويسمى في تقريرها لمن بعض متشرعي  
أوروبا رجوع كذلك لما منحه ذلك الدين منذ ثلاثة عشر  
قرناً لزميلاتهن المسلمات؛ وأليس ما نراه الآن بين دول أوروبا  
المسيحية التي يأمرها دينها بتحمل الضير والصبر على الذل  
والمكروه وعدم المقاتلة حتى مع أعدائهم من تلك الجروب  
التي تشبها استحسان لما ورد في الدين الاسلامي ورجوع  
اليه مع أنهم يستقبحون ذلك من المسلمين لو جاء منهم  
ويعدونه توحشاً وهمجية؛ ولو تدبروا الامر لوجدوا الاسلام

لم يفرض الجهاد إلا لاعلاء كلمة الله والحق التي هي أساس  
كل مدينة ومصدر الانسانية وشتان بين هذا المقصد  
ومقصد حشد الجيوش وازهاق النفوس لاغتصاب البلاد  
واستعباد الانسان للأغراض الدنيوية المحضة كما هو شأن  
تلك الدول المتعدنة ولكنهم لغايات في النفس ممن ينظرون  
للتدنى الذي في عين غيرهم ولا ينظرون للاخشبة التي في  
أعينهم !!!

سيرته عليه السلام بعد بعثته لحبى وفاته - كان صلى الله  
عليه وسلم بشهادة ربه جل وعلا على خاتى عظيم ولا يدفع  
السيئة بالسيئة وكان شديد الرأى وافر الحلم لباسه السكينة  
وشعاره البر والتقوى ومعقوله الحكمة وطبيعته الصدق  
والوفاء وخلاته العفو والمعروف وسيرته العدل وشريعته الحق  
وامامه الهدى وملته الاسلام استكمل الاوصاف الجبلية  
والكسبية من كمال خلته وقوة عقله وصحة فهمه وفصاحة  
لسانه وقوة حواسه وشرف نسبه وعزة قومه وكرم أرضه  
وقوة جأشه وتخلقه بالاخلاق العلية وكان راجح الرأى يعلم



ذلك من تدبيره أمر بواطن الخلق وظواهرهم وسياسته العامة  
والخاصة وما أفاضه على العالم من العلوم وقرره من الشرع من  
غير سبق تعلم. فأعجب به من أمي بلغ في العلم الغاية القصوى  
كما يعلم من جوامع كمله وحكم حديثه وقضايا أحكامه وأخباره  
عما في التوراة والانجيل والكتب المنزلة وحكم الحكماء  
وسير الأمم الخالية وأيامها وضرب الأمثال وسياسة الأنام  
وذلك فضل الله كما قال: «وعلمك ما لم تكن تعلم وكان  
فضل الله عليك عظيماً» وكان قليل النوم قليل الغذاء لم يمتلئ  
بطنه شبعاً قط لا يسأل أهله طعاماً ولا يشتهي إن أطعموه  
أكل وما سقوه شرب يجلس للأكل مستوفزاً مقعياً ويقول:  
«انما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد»  
لم يبق جوده في يده شيئاً من المال فقد فتح عليه في حياته  
بلاد الحجاز واليمن وكل جزيرة العرب وما تآخها من أطراف  
الشام والعراق وجلبت إليه أخماسها وجزيتها وصدقتهها وسقت  
إليه الغنائم وهداه بعض الملوك بالتحف وما استأثر بشيء من  
هذا ولا أمسك منه درهما ولا ديناراً بل صرفه في جهته

وأغنى به غيره وقوى به المسامين . وقال : ما يسرنى أن لى  
أحداً ذهباً بيت عندي منه دينار الا ديناراً أرصده لدينى .  
وكان يلبس ما وجده ويلبس فى الغالب الشملة والكساء الخشن  
والبرد الغليظ ويقسم على من حضره أقبية الديباج المخصوصة  
بالذهب ويرفع منها لمن لم يحضره . قد جبل على مكارم  
الأخلاق بمجود إلهى وفضل ربانى . وكان يؤلف بين الناس  
ولا ينفهم ولو كان فظاً غليظ القلب لانفضوا من حوله وكان  
يكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم  
قد وسع الناس خاتمه وبسطه فصار لهم أباً وصاروا عنده فى  
الحق سواء يجيب دعوة الحر والعبد والامة والمسكين ويعود  
المرضى فى أقصى المدينة ويقبل عذر المعتذر ويبدأ من لقيه  
بالسلام وأصحابه بالمصافحة ما رؤى قط ماداً رجليه بين أصحابه  
يكرم من يدخل عليه وربما بسط له ثوبه ويؤثره بالوسادة  
التي تحته ويعزم عليه فى الجلوس عليها إن أبى ويكنى أصحابه  
ويدعوهم بأحب أسمائهم تكريمة ولا يقطع على احد حديثه  
وكان يكره نقل أحاديث الناس اليه ونهى عن ذلك . فقال :



لا يبلغني احد منكم عن احد من اصحابي شيئاً فاني أحب ان  
أخرج اليكم وأنا سليم الصدر . يصل ذوى رحمه من غير ان  
يؤثرهم على من هم أحق منهم . يتواضع بين اصحابه تواضع  
احدهم لرفيقه ويجلس حيثما انتهى به المجلس وفي بيته يكون  
في مهنة اهله . وكان مجلسه مجلس حلم وعلم وحياء وخير وأمانة  
إذا تكلم أطرق جاسأوه كأن على رؤسهم الطير لا يجب  
التوسع في المآكل والمشارب والفرش زهداً في الدنيا  
وزخرفها ولذا نذها . وكان خوفه من ربه على قدر علمه به تعالى  
قد أبان طريقته المثلى في جوامع كمله حيث قال : «المعرفة رأس  
مالي والعقل اصل ديني والحب اساسي والشوق مركبي  
وذكر الله انيسى والثقة كنزى والحزن رفيقى والعلم سلاحى  
والصبر ردائى والرضا غنيمتى والعجز نخري والزهد حرفتى  
واليقين قولى والصدق شفيمى والطاعة حسبى والجهاد خلقى  
وقرة عينى فى الصلاة وثمره فؤادى فى ذكره وغمى لاجل  
أمتى وشوقى إلى ربى عز وجل » يعظم النعمة وان دقت وما  
انتصر لنفسه قط من مظلمة ظلمها ما لم تكن حرمة من

حرمت الله تعالى ولقد صبر على معاداة قريش ومقاساة  
 تحاملها واذى الجاهلية ومصابرة الشدائد الصعبة معهم إلى  
 ان اظفره الله عليهم وحكمه فيهم وهم لا يشكون في استئصاله  
 شأفتهم فما زاد على ان عفا وصفح يوم فتح مكة وقال: ماتقولون  
 انى فاعل بكم؟ قالوا خيراً أخ كريم وابن أخ كريم. فقال: اقول  
 كما قال اخى يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم  
 اذهبوا فأنتم الطلقاء. وكان يجالس المرضى وذوى العاهات  
 ويؤآكلهم ويكلم كل قبيلة بلغتها ويكتب الى ملوك العرب  
 ورؤساء القبائل والاقبال بلغاتهم ويكرم الوفود على اى دين  
 كانوا ويجادل بالحسنى ويناظر مع ملاحظة الآداب. وهو  
 يصمت عند تطاول السفهاء ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر  
 وبالجملة فقد كان على جانب عظيم من اللين يطمع الطفل ان  
 يقعد فى حجره ويعبث فى ردائه وله هيبه فى القلوب كأنه  
 ملك محاط بجنود واعوان دخل عليه فى بيته رجل فأخذته  
 الهيبه فارتعد فقال له: هوّن عليك فانما انا ابن امرأة تأكل  
 القديد. وهذا منتهى الحلم ومكارم الاخلاق وكان مع ذلك



شجاعاً بطلاً أظهر من البسالة وحسن التدبير في حروبه ما  
شهد له به الأعداء قديماً وحديثاً وكل ذلك ولا شك بتوفيق  
من الله سبحانه وتعالى

### الفصل الثاني

القرآن وكونه معجزاً -- الدين الاسلامي أو الاسلام -- انتشار الاسلام  
بسرعة عجيبة لم يسبق لها مثيل في التاريخ

القرآن وكونه معجزاً -- القرآن هو الكلام العربي المنزل  
على محمد صلى الله عليه وسلم المتحدى بأقصر سورة منه المنقول  
تواتراً وهو من معجزاته عليه الصلاة والسلام وذلك أنه لما  
كانت معجزة كل نبي من جنس ما غلب على اهل زمانه  
وتهالكوا عليه وتفاخروا به كالسحر في زمن موسى والطب  
في زمن عيسى والموسيقى في زمن داود وكان زمن نبينا صلى  
الله عليه وسلم زمن فصاحة وبلاغة كانت معجزته القرآن  
المجيد الذي عجز فصحاء العرب وبلغاؤهم عن معارضته مع  
كونهم أحق بها إن أمكنت لكثرة اشتغالهم بما يناسب

ذلك وكما لهم فيه وفرط اهتمامهم بالمعارضة وتوفر دواعيهم وقد  
 تحدى عليه السلام بما فيه من الأعجاز ودعاهم الى معارضته  
 والياتان بسورة من مثله فنكوا عنه وعجزوا عن الاتيان بشيء  
 منه . قال بعض العلماء : ان الذي أوردده عليه السلام على  
 العرب من الكلام الذي عجزهم عن الاتيان بمثله اعجب في  
 الآية وأوضح في الدلالة من إحياء الموتى وبراء الاكاه  
 والابرس لانه أتى اهل البلاغة وارباب الفصاحة ورؤساء  
 البيان والمتقدمين في اللسن بكلام مفهوم المعنى عندهم وكان  
 عجزهم عنه أعجب من عجز من شاهد المسيح عند إحياء الموتى  
 لانهم لم يكونوا يطمعون فيه ولا في ابراء الاكاه والابرس  
 مما لا يتعاطون علمه وقريش كانت تتعاطى الكلام الفصيح  
 والبلاغة والخطابة فدل على ان العجز عنه انما كان ليصير علماً  
 على رسالته وحجة لنبوته وقد ورد من الاخبار في قراءة النبي  
 صلى الله عليه وسلم لبعض ما نزل عليه على المشركين الذين  
 كانوا من اهل الفصاحة والبلاغة وإقرارهم بأعجازه جل  
 كثيرة فمنها ما روى عن محمد بن كعب قال حدثت ان عتبة



بن ربيعة قال ذات يوم وهو جالس في نادى قريش ورسول  
 الله صلى الله عليه وسلم جالس وحده في المسجد : يا معشر  
 قريش ألا أقوم الى هذا فأعرض اليه أموراً لعله ان يقبل  
 منا بعضها ويكف عنا؟ قالوا بلى يا أبا الوليد . فقام عتبة حتى  
 جلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الحديث فيما  
 قاله عتبة وفيما عرضه عليه من المال وغير ذلك فلما فرغ قال  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم : أفرغت يا أبا الوليد؟ قال نعم :  
 قال فاسمع منى . قال افعل . فقال : بسم الله الرحمن الرحيم حم  
 تنزيل من الرحمن الرحيم ... حتى بلغ قرآنا عربياً فمضى رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها فلما سمعها عتبة أنصت لها  
 وألقى بيديه خلف ظهره معتمداً عليهما يستمع منه حتى انتهى  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السجدة فسجد فيها ثم قال :  
 سمعت يا أبا الوليد؟ قال سمعت فأنت وذاك ! وقام عتبة الى  
 أصحابه فقال بعضهم لبعض يحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد  
 بغير الوجه الذى ذهب به فلما جلس اليهم قالوا ما وراءك يا  
 أبا الوليد؟ قال إني والله قد سمعت قولاً ما سمعت بمثله قط !

والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة. يا معشر قريش  
 أطيعوني خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فوالله ليكون  
 لقوله الذي سمعت نبأ. قال فاجابني بشيء والله ما هو بسحر  
 ولا بشعر ولا كهانة قرأ بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل  
 من الرحمن الرحيم حتى بلغ فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة  
 عاد وثمود فأمسكت فيه وناشدته الرحم ان يكف وقد علمت  
 أن محمداً إذا قال شيئاً لم يكذب نخفت ان ينزل بكم العذاب.  
 وعن عكرمة في قصة الوليد بن المغيرة— وكان زعيم قريش في  
 النصيحة— أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم اقرأ على فقرأ عليه  
 ان الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذى التربي الى آخر  
 الآية قال أعد فأعاد صلى الله عليه وسلم فقال والله ان له  
 لحلاوة وإن عليه لطلاوة وان اعلاه لسبر وان أسفله لمغدق  
 وما يقول هذا بشر! ثم قال لقومه والله ما فيكم رجل أعلم  
 بالشعار مني ولا أعلم برجزه ولا بالشعار الجن والله ما يشبه  
 الذي يقول شيئاً من هذا وانه ليعلو وما يعلى. وروى عن رجل  
 من بني سلمة قال لما أسلم فتیان بنی سلمة قال عمرو بن الجموح



لابنه أخبرني ما سمعت من كلام هذا الرجل فقراً عليه: الحمد لله رب العالمين الى قوله الصراط المستقيم فقال ما أحسن هذا وأجمله! أو كل كلامه مثل هذا قال يا أبت واحسن من هذا. وقال بعضهم ان هذا القرآن لو وجد مكتوباً في مصحف في فلاة من الارض ولم يعلم من وضعه هناك لشهدت العقول السليمة أنه منزل من عند الله وان البشر لا قدرة لهم على تأليف مثل ذلك. وقد كان بوجدنا ان نوفي هذا الموضوع حقه ونتكلم على الدين الاسلامي وما حوى من حكم وآداب وفضائل ولكن اطلعنا على كلام في هذا الصدد وفي انتشار الاسلام لحضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ محمد عبده المصري مفتي الديار المصرية حالاً فأثرنا نقله برمته هنا تماماً للفائدة فلقد اجاد فيما قال جزاه الله عن الاسلام والمسلمين خيراً خصوصاً وفضيائته حجة في هذا الموضوع قال حفظه الله في رسالة التوحيد التي طبعها ما يأتي تحت عنوان القرآن جاءنا الخبر المتواتر الذي لا تطرق اليه الريبة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في نشأته وأميته على الحال التي ذكرنا

وتواترت أخبار الأمم كاذبة على أنه جاء بكتاب قال انه أنزل عليه وان ذلك الكتاب هو القرآن المكتوب في المصاحف المحفوظ في صدور من عنى بحفظه من المسلمين الى اليوم . كتاب حوى من أخبار الامم الماضية ما فيه معتبر للاجيال الحاضرة والمستقبله نقب على الصحيح منها وغادر الأباطيل التي ألحقها الاوهام بها ونبه على وجوه العبرة فيها . حكى عن الانبياء ما شاء الله ان يقص علينا من سيرهم وما كان بينهم وبين أممهم وبرأهم مما رامهم به اهل دينهم المعتقدون برسالاتهم آخذ العلماء من الملل المختلفة على ما أفسدوا من عقائدهم وما خلطوا في أحكامهم وما حرفوا بالتأويل في كتبهم . وشرع للناس أحكاماً تنطبق على مصالحهم وظهرت الفائدة في العمل بها والمحافظة عليها وقام بها العدل وانتظم بها شمل الجماعة ما كانت عند حد ما قرره ثم عظمت المضرة في إهمالها والانحراف عنها أو البعد بها عن الروح الذي أودعته ففاقت بذلك جميع الشرائع الوضعية كما يتبين للناظر في شرائع الامم ثم جاء بعد ذلك بحكم ومواعظ وآداب تخشع لها القلوب وتهش لاستقبالها



العقول وتنصرف وراءها الهمم انصرفوا في السبيل الأمم .  
 نزل القرآن في عصر اتفق الرواة وتواترت الاخبار على أنه  
 أرقى الاعصار عند العرب وأغزرها مادة في الفصاحة وأنه  
 الممتاز بين جميع ما تقدمه بوفرة رجال البلاغة وفرسان الخطاب  
 وانفس ما كانت العرب تتنافس فيه من ثمار العقل ونتائج  
 الفطنة والذكاء هو الغلب في القول والسبق الى إصابة مكان  
 الوجدان من القلوب ومقر الاذعان من العقول وتفانيهم في  
 المفاخرة بذلك مما لا يحتاج الى الاطالة في بيانه . تواتر الخبر  
 كذلك بما كان منهم من الحرص على معارضة النبي صلى الله  
 عليه وسلم والتماسهم الوسائل قريتها وبعيدها لابطال دعواه  
 وتكذيبه في الاخبار عن الله واتيانهم في ذلك على مبلغ  
 استطاعتهم وكان فيهم الملوك الذين تحملهم غزوة الملك على  
 معاندته والامراء الذين يدعوهم السلطان الى مناواته والخطباء  
 والشعراء والكتاب الذين يشدخون بأنوفهم عن متابعتة وقد  
 اشتد جميع أولئك في مقاومته وانها لوا بقوا هم عليه استكباراً  
 عن الخضوع له وتمسكاً بما كانوا عليه من اديان آبائهم وحمية

لعقائدهم وعقائد اسلافهم وهو مع ذلك يخطئ آرائهم  
ويسفه احلامهم ويحتقر اصنامهم ويدعوهم الى ما لم تعهده  
ايامهم ولم تحقق لمثله اعلامهم ولا حجة له بين يدي ذلك كاه  
إلا تحديهم بالآيات بمثل أقصر سورة من ذلك الكتاب أو  
بعشر سور من مثله وكان في استطاعتهم ان يجمعوا اليه من  
العلماء والنصحاء البلغاء ما شاؤا ليأتوا بشيء من مثل ما أتى به  
ليبتلوا الحجة ويفجروا صاحب الدعوة! جاءنا الخبر المتواتر أنه  
مع طول زمن التجدي ولجاج التوم في التعدي أصيبوا  
بالعجز ورجعوا بالخيبة وحقت للكتاب العزيز الكلمة العليا  
على كل كلام وقضى حكمه العليّ على جميع الاحكام. أليس  
في ظهور مثل هذا الكتاب على لسان أميّ أعظم معجزة وأدل  
برهان على أنه ليس من صنع البشر وانما هو النور المنبعث عن  
شمس العالم الالهي والحكم الصادر عن المقام الرباني على لسان  
الرسول الاميّ صلوات الله عليه<sup>(١)</sup> هذا وقد جاء في الكتاب

( ١ ) مما يضحك التكلّي ان يقوم من بين علماء الفرنج في هذه  
الايام مدع يجهل طبعاً حقيقة ما يقول يزعم ان القرآن غير فصيح



من أخبار الغيب ما صدّقه حوادث الكون كالخبر في قوله غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغالون في بضع سنين وكالوعد الصريح في قوله : وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قباهم... الآية وقد تحقق جميع ذلك وفي القرآن كثير من مثل هذا يحيط به من يتلوه حق تلاوته . ومن الكلام عن الغيب فيه ما جاء في تحدى العرب به واكتفائه في الرجوع عن دعواه بأن أتوا بسورة من مثله مع سعة البلاد العربية ووفرة سكانها وتباعد أطرافها وانتشار دعوته على لسان الوافدين الى مكة من جميع ارجائهم . ومع أنه لم يسبق له صلى الله عليه وسلم السياحة في نواحيها والتعرف برجالها وقصور العلم البشرى عادة عن الاحاطة بما أودع في قوى أمة عظيمة

---

وانه لم ينزل بلغة العرب الفصحى!! ويقوم بكل تبجح يخطب في مؤتمر المستشرقين الذي انعقد في هذا العام — سنة ١٩٠٥ — ببلاد الجزائر يمثل هذه الارجيف والاضاليل ولكن لله در مندوبى مصر فقد أوقفوه عند حده وردوا كيده في نحره .

كالامة العربية فهذا القضاء الحاتم منه بأنهم لن يستطيعوا  
 أن يأتوا بنبىء من مثل ما تحدّاهم به ليس قضاء بشرياً ومن  
 الصعب بل من المتعذر أن يصدر عن عاقل التزام كالذى التزمه  
 وشرط كالذى شرطه على نفسه لغلبة الظن عند من له شىء  
 من العقل أن الارض لا تخلو من صاحب قوّة مثل قوّته وانما  
 ذلك هو الله المتكلم والعليم للخير هو الناطق على لسانه وقد  
 أحاط عامه بقصور جميع القوى عن تناول ما استنهضهم له  
 وبلوغ ما حثهم عليه . يقول واهم إن العجز حجة على من عجز  
 فان العجز هي حجة الاقحام وإلزام الخصم وقد يلتزم الخصم  
 ببعض المسلمات عنده فيفهم ويعجز عن الجواب فتلتزمه الحجة  
 ولكن ليس ذلك بملزم لغيره فمن الممكن أن لا يسلم غيره بما  
 سلمه فلا يفحّمه الدليل بل يجد الى ابطاله أقرب سبيل وهو  
 وهم يضمحل بما قدّمناه من البيان اذ لا يوجد من المشابهة  
 بين إعجاز القرآن وإقحام الدليل إلا أنه يوجد عن كل منهما  
 عجز وشتان بين العجزين وبعد ما بين وجهتى الاستدلال  
 فيهما فان إعجاز القرآن برهن على أمر واقى وهو تقاصر



القوى البشرية دون مكانته من البلاغة وقلنا القوى البشرية  
 لانه جاء بلسان عربي وقد عرف الكتاب عند جميع العرب  
 في عهد النبوة وكان حال العصر من البلاغة كما ذكرنا وحال  
 القوم في العناد كما بينا ومع ذلك لم يمكن للعرب أن يعارضوه  
 بشئ من مبلغ عقولهم فلا يعقل أن فارسياً أو هندياً أو رومانياً  
 يبلغ من قوة البلاغة في العربية ان يأتي بما عجز عنه العرب  
 أنفسهم وتقاصر القوى جميعها عن ذلك مع التماثل بين النبي  
 وبينهم في النشأة والتربية وامتياز الكثير منهم بالعلم والدراسة  
 دليل قاطع على أن الكلام ليس مما اعتيد صدوره عن البشر  
 فهو اختصاص من الله سبحانه لمن جاء على لسانه ثم ما ورد  
 في القرآن من تسجيل العجز عليهم والتعرض للاصطدام بجميع  
 ما أوتوا من قوة مما يدل على الثقة من أمره مع ما سبق  
 تعداده من الامور التي لا يمكن معها لعاقل أن يقف ذلك  
 الموقف مع طول الزمن وانفساح الاجل كل ذلك يدل على  
 أن الناطق هو عالم الغيب والشهادة لا رجل يعظ وينصح على  
 العادة. فثبت بهذه المعجزة العظمى وقام الدليل بهذا الكتاب

الباقي الذي لا يعرض عليه التغيير ولا يتناوله التبديل أن نبينا  
 محمداً صلى الله عليه وسلم رسول الله الى خلقه فيجب التصديق  
 برسالاته والاعتماد بجميع ما ورد في الكتاب المنزل عليه  
 والاخذ بكل ما ثبت عنه من هدى وسنة متبعة وقد جاء في  
 الكتاب أنه خاتم الانبياء فوجب علينا الايمان بذلك كذلك  
 بقي علينا ان نشير الى وظيفة الدين الاسلامي وما دعا  
 اليه على وجه الاجمال وكيف انتشرت دعوته بالسرعة المعروفة  
 والسر في كون النبي صلى الله عليه وسلم خاتم المرسلين صلوات  
 الله عليهم أجمعين

الدين الاسلامي أو الاسلام - هو الدين الذي  
 جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وعقله من وعاه عنه من صحابته  
 ومن عاصرهم وجرى العمل عليه حيناً من الزمن بينهم بلا  
 خلاف ولا اعتساف في التأويل ولا ميل مع الشيع وإني  
 مجمل في هذا الباب مقتدياً بالكتاب المجيد في التفويض لذوى  
 البصائر أن يفصلوه وما سندی فيما أقول الا الكتاب والسنة  
 القوية وهدى الراشدين



جاء الدين الاسلامي بتوحيد الله تعالى في ذاته وأفعاله  
وتنزيهه عن مشابهة المخلوقين فأقام الأدلة على ان لا يكون  
خالقاً واحداً متصفاً بما ذات عليه آثار صنعه من الصفات  
العالية كالعلم والقدرة والارادة وغيرها وعلى أنه لا يشبهه شيء  
من خلقه وأن لا نسبة بينه وبينهم الا أنه موجودهم وأنهم له  
واليه راجعون « قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد  
ولم يكن له كفواً أحد » وما ورد من ألفاظ الوجه واليدين  
والاستواء ونحوها له معان عرفها العرب المخاطبون بالكتاب  
ولم يشبهوا في شيء منها وان ذاته وصفاته يستحيل عليها أن  
تبرز في جسد أو روح أحد من العالمين وانما يختص سبحانه  
من شاء من عباده بما شاء من علم وسلطان على ما يريد  
أن يسلطه عليه من الأعمال على سنة له في ذلك منها في  
علمه الازلي الذي لا يعتريه التبديل ولا يدنو منه التغيير  
وحظر على كل ذي عقل أن يعترف لأحد بشيء من ذلك  
إلا يبرهان ينتهي في مقدماته الى حكم الحس وما جاورد من  
البدهييات التي لا تنقص عنه في الوضوح بل قد تملود

كاستحالة الجمع بين التمييزين أو ارتفاعهما معاً أو وجوب ان  
الكل أعظم من الجزء مثلاً وقضى على هؤلاء كغيرهم بأنهم  
لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرراً وغاية أمرهم أنهم عباد  
مكرمون وأن ما يجريه على أيديهم فانما هو باذن خاص وبتيسير  
خاص في موضع خاص لحكمة خاصة ولا يعرف شأن الله  
في شيء من هذا الا ببرهان كما تقدم

دل هذا الدين بمثل قول الكتاب « والله أخرجكم من  
بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والابصار  
والانفذة لعلكم تشكرون » والشكر عند العرب معروف أنه  
تصريف النعمة فيما كان الانعام بها لاجله دل بمثل هذا على  
أن الله وهبنا من الحواس وغرز فينا من القوى ما نصرفه  
في وجوهه بمحض تلك الموهبة فكل شخص كاسب لعمله  
بنفسه لها أو غيرها وأما ما يتخير فيه مداركنا وتقصر دونه قوانا  
وتشعر فيه أنفسنا بسلطان يقهرها أو ناصر يمدّها فيما أدركها  
العجز عنه على انه فوق ما تعرف من القوى المسخرة لها وكان  
لا بد من الخضوع له والرجوع اليه والاستعانة به فذلك انما



يرد الى الله وحده فلا يجوز أن تخشع الاله ولا أن تطمئن  
إلا اليه وكذلك جعل شأنها فيما تخافه وترجوه مما تقبل عليه  
في الحياة الآخرة لا يسوغ لها أن تلجأ الى أحد غير الله في  
قبول أعمالها من الطيبات ولا في غفران أفعالها من السيئات  
فهو وحده مالك يوم الدين

اجتثت بذلك جذور الوثنية وما وليها مما لو اختلف عنها  
في الصورة والشكل أو العبارة واللفظ لم يختلف عنها في المعنى  
والحقيقة تبع هذا طهارة العقول من الاوهام الفاسدة التي لا  
تنفك عن تلك العقيدة الباطلة ثم تنزه النفوس عن المالكات  
السيئة التي كانت تلازم تلك الاوهام وتخلصت بتلك الطهارة  
من الاختلاف في المعبودين وعليهم وارتفع شأن الانسان  
وسمت قيمته بما صار اليه من الكرامة بحيث أصبح لا يخضع  
لاحد إلا خالق السموات والارض وقاهر الناس أجمعين  
وأبيح لكل أحد بل فرض عليه أن يقول كما قال ابراهيم :  
« انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفاً  
وما أنا من المشركين » وكما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم

أن يقول « ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين  
 لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين » الشيخ محمد بن  
 تيمية تجلت بذلك للانسان نفسه حرة كريمة واطلقت ارادته  
 من القيود التي كانت تعقدها بارادة غيره سواء كانت ارادة  
 بشرية ظن انها شعبة من الارادة الالهية أو أنها هي كارادة  
 الرؤساء والسيطرين أو ارادة موهومة اخترعها الخيال كما  
 يظن في القبور والاحجار والاشجار والكواكب ونحوها  
 وافتكت عزيمته من أسر الوسائط والشغفاء والمتكهنه والعرفاء  
 وزعماء السيطرة على الاسرار ومنتحلي حق الولاية على أعمال  
 العبد فيما بينه وبين الله الزاعمين أنهم واسطة النجاة وبأيديهم  
 الاشتماء والاسعاد وبالجملة فقد اعتقت روحه من العبودية  
 للمحتالين والدجالين وصار الانسان بالتوحيد عبد الله خاصة  
 حرا من العبودية لكل ما سواه فكان له من الحق ما للحر  
 على الحر لا على في الحق ولا وضع ولا سافل ولا رفيع ولا  
 تفاوت بين الناس إلا بتفاوت أعمالهم ولا تفاضل إلا بتفاضلهم  
 في عتولهم ومعارفهم ولا يقربهم من الله إلا طهارة العقل من



دنس الوهم وخلوص العمل والعوج والرياء ثم بهذا خلصت  
أموال الكاسيين وتمحض الحق فيها للفقراء والمساكين  
والمصالح العامة وكفت عنها أيدي العالة واهل البطالة ممن  
كان يزعم الحق فيها بصنفته ورتبته لا بعمله وخدمته  
طالب الاسلام بالعمل كل قادر عليه وقرر ان لكل  
نفس ما كسبت وعليها ما اكتسبت « فمن يعمل مثقال ذرة  
خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » « وان ليس  
للانسان الا ما سمي » وأباح لكل أحد أن يتناول من  
الطيبات ما شاء أكلاً وشرباً ولباساً وزينة ولم يحظر عليه الا  
ما كان ضاراً بنفسه أو بمن يدخل في ولايته أو ما تعدى  
ضرره الى غيره وحدّده في ذلك الحدود العامة بما ينطبق  
على مصالح البشر كافة فكفل الاستقلال لكل شخص في  
عمله واتسع المجال لتسابق الهمم في السعي حتى لم يعد لها عقبه  
تعتز بها اللهم الا حقاً محترماً تصطدم به . انحى الاسلام على  
التقليد وحمل عليه حملة لم يردّها عنه القدر فبددت فيالقه  
المتغلبة على النفوس واقتلعت أصوله الراسخة في المدارك

ونسفت ما كان له من دعائم وأركان في عقائد الأمم صاح  
 بالعقل صيحة أزعجته من ثباته وهبت به من نومة طال عليه  
 الغيب فيها كلما نفذ إليه شعاع من نور الحق خلصت إليه  
 هينمة من سدنة هياكل الوهم « ثم فان الليل حالك والطريق  
 وعرة والغاية بعيدة والراحلة كليلة والازواد قليلة » علا  
 صوت الاسلام على وساوس الطغام وجهر بأن الانسان لم  
 يخلق ليقاد بالزمام ولكنه فطر على أن يهتدى بالعلم والاعلام  
 اعلام الكون ودلائل الحوادث وانما المعلمون منبهون  
 ومرشدون والى طرق البحث هادون صرح في وصف أهل  
 الحق بأنهم « الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه »  
 فوصفهم بالتميز بين ما يقال من غير فرق بين القائلين ليأخذوا  
 بما عرفوا حسنه ويترحوا ما لم يتبينوا صحته ونفعه ومال على  
 الرؤساء فأنزلهم من مستوى كانوا فيه يأمرؤن وينهون  
 ووضعهم تحت أنظار مرؤسهم يخبرونهم كما يشاؤون ويمتحنون  
 مزاعمهم حسبما يحكمون ويقضون فيها بما يعلمون ويتيقنون  
 لا بما يظنون ويتوهمون . صرف القلوب عن التعلق بما كان



عليه الالباء وما توارثه عنهم الابناء وسجل الحق والسفاهة  
 على الآخذين بأقوال السابقين ونبه الى أن السابق في الزمان  
 ليس آية من آيات العرفان ولا مسماً لعقول على عقول ولا  
 لأذهان على أذهان وإنما السابق واللاحق في التمييز والظاهرة  
 سيان بل لللاحق من علم الاحوال الماضية واستعداده للنظر  
 فيها والانتفاع بما وصل اليه من آثارها في الكون ما لم يكن  
 لمن تقدمه من اسلافه وآبائه وقد يكون من تلك الآثار التي  
 ينتفع بها أهل الجيل الحاضر ظهور العوائب السيئة لأعمال  
 من سبقهم وطغيان الشر الذي وصل اليهم بما انترته سلمتهم  
 « قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين »  
 وان أبواب فضل الله لم تغلق دون طالب ورحمته التي وسعت  
 كل شيء لمن تضيق عن دائب . عاب أرباب الاديان في  
 اقتنائهم أثر آباءهم ووتوفهم عند ما اختطته لهم سير أسلافهم  
 وقولهم « بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا » « انا وجدنا آباءنا على  
 أمة وانا على آثارهم مهتدون »  
 فأطلق بهذا سلطان العقل من كل ما كان قيده وخلصه

من كل تقليد كان استعبده وردة الى مملكته يقضى فيها  
 بحكمه وحكمته مع الخضوع مع ذلك لله وحده والوقوف  
 عند شريعته ولا حد للعمل في منطقة حدودها ولا نهاية  
 للنظر يمتد تحت بنودها . بهذا وما سبقه تم للانسان بمقتضى  
 دينه أمران عظيمان طالما حرم منهما وهما استقلال الارادة  
 واستقلال الرأى والنكر وبهما كملت له انسانيته واستعد لان  
 يبلغ من السعادة ما هيا الله له بحكم الفطرة التي فطر عليها  
 وقد قال بعض حكماء الغربيين من متأخريهم ان نشأة المدنية  
 في أوروبا انما قامت على هذين الاصلين فلم تنهض النفوس  
 للعمل ولم تتحرك العقول للبحث والنظر الا بعد ان عرف  
 العدد الكثير انفسهم وأن لهم حقاً في تعريف اختيارهم وفي  
 طلب الحقائق بعقولهم ولم يصل اليهم هذا النوع من العرفان  
 الا في الجيل السادس عشر من ميلاد المسيح وقرر ذلك  
 الحكيم أنه شعاع سطع عليهم من آداب الاسلام ومعارف  
 المحققين من أهله في تلك الازمان . رفع الاسلام بكتابه  
 المنزل ما كان قد وضعه رؤساء الاديان من الحجر على عقول



المنديين في فهم الكتب السماوية استشاراً من أولئك الرؤساء  
 بحق الفهم لانفسهم وضنابه على كل من لم يلبس لباسهم ولم  
 يسلك مسلكهم لنيل تلك الرتب المقدسة ففرضوا على العامة  
 أو أبا حوالهم أن يقرأوا قطعاً من تلك الكتب لكن على  
 شريطة أن لا يفهموها ولا أن يطيلوا أنظارهم الى ما ترمى اليه  
 ثم غالوا في ذلك فحرموا انفسهم أيضاً مزية انهم الا قليلاً  
 ورموا عقولهم بالقصور عن ادراك ما جاء في الشرائع والنبوات  
 ووقفوا كما وقفوا بالناس عند تلاوة الالفاظ تعبدًا بالأصوات  
 والحروف فذهبوا بحكمة الارسال فجاء القرآن يلبسهم عارماً  
 فعلوا فقال « ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا أمانى وإن  
 هم الا يظنون » « مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل  
 الحمار يحمل أسفارا » بثس مثل التوم الذين كذبوا بآيات الله  
 والله لا يهدي القوم الظالمين » أما الامانى ففسرت بالقرآت  
 والتلاوات أى لا يعلمون منه الا أن يتلوه واذا ظنوا أنهم  
 على شئ مما دعا اليه فهو عن غير علم بما أودعه وبلا برهان على  
 ما تخيلوه عتيبة وظنوه ديناً واذا عن لاحدهم أن يبين شيئاً

من أحكامه ومقاصده لشهوة دفعته الى ذلك جاء فيما يقول  
بما ليس منه على بينة واعتسف في التأويل وقال هذا من عند  
الله « فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا  
من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً » أما الذين قال انهم لم يحملوا  
التوراة وهي بين أيديهم بعد ما حملوها فهم الذين لم يعرفوا  
منها الا الالفاظ ولم تسم عقولهم الى درك ما أودعته من  
الشرائع والاحكام فعميت عليهم بذلك طرق الاهتداء بها  
وطمست عن أعينهم أعلام الهداية التي نصبت بانزالها فحق  
عليهم ذلك المثل الذي أظهر شأنهم فيما لا ياتي بنفس بشريه  
أن تظهر به مثل الحمار الذي يحمل الكتب ولا يستفيد من  
حملها إلا العناء والتعب وقصم الظهر وانهار النفس وما أشنع  
شأن قوم انقلبت بهم الحال فما كان سبباً في إسماعدهم وهو  
التنزيل والشريعة أصبح سبباً في شقائهم بالجهل والغباوة وبهذا  
التمريع ونحوه وبالذعوة العامة الى الفهم وتمحيص الالباب  
للتنمقة واليتمين مما هو منتشر في القرآن العزيز فرض الاسلام  
على كل ذي دين ان يأخذ بحظه من علم ما أودع الله في كتبه



وما قرّر من شرعه وجعل الناس في ذلك سواء بعد استيفاء  
الشرط باعداد ما لا بد منه للفهم وهو سهل المنال على الجمهور  
الاعظم من المتدينين لا تختص به طبقة من الطبقات ولا  
يحتكر مزيته وقت من الاوقات  
جاء الاسلام والناس شيع في الدين وإن كانوا إلا قليلا  
في جانب عن اليقين يتنازرون ويتلاعنون ويزعمون في ذلك  
أنهم بحبل الله مستمسكون فرقة وتخالف وشغب يظنونها في  
سبيل الله أقوى سبب انكر الاسلام ذلك كله وصرح  
تصريحاً لا يحتمل الريبة بأن دين الله في جميع الازمان وعلى  
اللسن جميع الانبياء واحد قال الله: « ان الدين عند الله الاسلام  
وما اختلف الذين أتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم  
بغياً بينهم » « ما كان ابراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن  
كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين » « شرع لكم من  
الدين ما وصى به نوحا والذين أوحينا اليك وما وصينا به  
ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر  
على المشركين ما تدعوهم اليه » « قل يا أهل الكتاب تعالوا

الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به  
شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً ارباباً من دون الله فان تولوا فقولوا  
اشهدوا باننا مسلمون » وكثير من ذلك يطول ايراده في  
هذه الوريقات والآيات الكريمة التي تعيب على أهل الدين  
ما نزعوا اليه من الاختلاف والمشاقة مع ظهور الحجة واستقامة  
المحجة لهم في علم ما اختلفوا فيه معروفة لكل من قرأ القرآن  
وتلاه حتى تلاوته . نص الكتاب على أن دين الله في جميع  
الازمان هو إفراده بالربوبية والاستسلام له وحده بالعبودية  
وطاعته فيما امر به ونهى عنه مما هو مصالحة للبشر وعماد  
لسعادتهم في الدنيا والآخرة وقد ضمنه كتبه التي انزلها على  
المصطفين من رسله ودعا العقول الى فهمه منه والعزائم الى  
العمل به وان هذا المعنى من الدين هو الاصل الذي يرجع  
اليه عند هبوب ريح التخالف وهو الميزان الذي توزن به  
الاقوال عند التناصف وان الاجاج والمراء في الجدل فراق مع  
الدين وبعد عن سنته ومتى روعيت حكمته ولو حظ جانب  
العناية الالهية في الانعام على البشر به ذهب الخلاف وتراجعت



القلوب الى هداها وسار الكافة في مرشدهم اخوانا بالحق  
مستمسكين وعلى نصرته متعاونين . أما صور العبادات  
وضروب الاحتفالات مما اختلفت فيه الاديان الصحيحة  
سابقها مع لاحتها واختلاف الاحكام متقدمها مع متأخرها  
فصدره رحمة الله ورأفته في ابناء كل أمة وكل زمان ما علم  
فيه الخير للامة والملاءمة للزمان وكما جرت سنته وهو رب  
العالمين بالتدريج في تربية الاشخاص من خارج من بطن أمه  
لا يعلم شيئاً الى راشد في عقله كامل في نشأته يمزق الحجب  
بفكره ويواصل أسرار الكون بنظره كذلك لم تختلف سنته  
ولم يضطرب هديه في تربية الامم فلم يكن من شأن الانسان  
في جملته ونوعه ان يكون في مرتبة واحدة من العلم وقبول  
الخطاب من يوم خاتمه الله الى يوم يبلغ به من الكيمان منتهاه  
بل سبق القضاء بأن يكون شأن جملته في النمو قائماً على ما  
قرّره الفطرة الالهية في شأن افراده وهذا من البديهيّات  
التي لا يصح الاختلاف فيها وان اختلف أهل النظر في بيان  
ما تفرّع منه في علوم وضعت للبحث في الاجتماع البشري

خاصة فلا تطيل الكلام فيه هنا  
 جاءت أديان والناس من فهم مصالحهم العامة بل والخاصة  
 في طور أشبه بطور الطفولية للناشيء الحديث العهد بالوجود  
 لا يألف منه الا ما وقع تحت حسه ويصعب عليه أن يضع  
 الميزان بين يومه وأمسسه وأن يتناول بذهنه من المعاني مالا  
 يقرب من لمسه ولم ينفث في روعه من الوجدان الباطن ما  
 يعطفه على غيره من عشيره أو ابن جنسه فهو من الحرص  
 على ما يقيم بناء شخصه في هم شاغل عما يلتقي اليه فيما يصله بغيره  
 اللهم إلا يداً تصل الى فمه بطعام أو تسنده في قعود أو قيام  
 فلم يكن من حكمة تلك الأديان أن تخاطب الناس بما يلطف  
 في الوجدان أو يرقى اليه بسلم البرهان بل كان من عظيم  
 الرحمة أن تسير بالأقوام وهم عيال الله سير الوالد مع ولده في  
 سداجة السين لا يأتيه الا من قبل ما يحسه بسمعه أو ببصره  
 فأخذتهم بالأوامر الصاعدة والزواجر الرادعة وطالبتهم  
 بالطاعة وحملتهم فيها على مبلغ الاستطاعة كلفتهم بمعقول  
 المعنى جلي الغاية وان لم يفهموا معناه ولم تصل مداركهم الى



مرماد وجاءتهم من الآيات بما تطرف له عيونهم وتفاعل به  
 .مشاعرهم وفرضت عليهم من العبادات ما يليق بحالهم هذه .  
 ثم مضت على ذلك أزمان علت فيها الاقوام وسقطت وارتفعت  
 وانحطت وجربت وكسبت وتخالفت واتفقت وذاقت من  
 الايام آلاماً وتقلبت في السعادة والشقاء أياماً وأياماً ووجدت  
 الانفس بنفث الحوادث ولقن الكوارث شعوراً أدق من  
 الحس وأدخل في الوجدان لا يرتفع في الجملة عما تشعربه  
 قلوب النساء أو تذهب معه نزعات الغلمان فجاء دين يخاطب  
 العواطف ويناجي المراحم ويستعطف الاهواء ويحادث خطرات  
 القلوب فشرع للناس من شرائع الزهادة ما يصرفهم عن  
 الدنيا بجملتها ويوجه وجوههم نحو المالكوت الاعلى ويقتضى  
 من صاحب الحق أن لا يطالب به ولو بحق ويغلق أبواب  
 السماء في وجود الاغنياء وما ينحو نحو ذلك مما هو معروف  
 وسنّ للناس سنناً في عبادة الله تتفق مع ما كانوا عليه وما  
 دعاهم اليه فلاقى من تعلق النفوس بدعوته ما أصح من فاسدها  
 وداوى من أمراضها ثم لم يمض عليه بضعة أجيال حتى ضعفت

العزائم البشرية عن احتمالها وضائق الذرائع عن الرتوف عند  
 حدوده والاخذ بأقواله ووقر في الظنون أن اتباع وصاياه  
 ضرب من المحال ذهب القائمون عليه أنفسهم لمنافسة الملوك  
 في السلطان ومزاحمة أهل الترف في جمع الاموال وانحرف  
 الجمهور الاعظم منهم عن جادته بالتأويل وأضافوا عليه ما شاء  
 الهوى من الاباطيل هذا كان شأنهم في السجايا والاعمال  
 نسوا طهارته وباءوا نزاهته أما في العوائد فتفرقوا شيعاً  
 وأحدثوا بدعاً ولم يستمسكوا من أصوله الا بما ظنوه من  
 أشد أركانها وتوهموه من أقوى دعائمها وهو حرمان العقول  
 من النظر فيه بل وفي غيره من دقائق الاكوان والحظار على  
 الافكار أن تنفذ الى شيء من سرائر الخلقه فصرحوا بأن  
 لا وفاق بين الدين والعقل وأن الدين من أشد أعداء العلم  
 ولم يكف الذاهب الى ذلك أن يأخذوا به نفسه بل جد في  
 حمل الناس على مذهبه بكل ما يملك من حول وقوة وأفضى  
 الغلو في ذلك بالانفس الى نزعة كانت اشأم النزعات على  
 العالم الانساني وهي نزعة الحرب بين أهل الدين للالزام ببعض



قضايا الدين فتقوّض الاصل ونخرمت العلائق بين الاهل  
 وحلت القطيعة محل التراحم والتخاصم مكان التعاون والحرب  
 محل السلام وكان الناس على ذلك الى أن جاء الاسلام  
 كان سن الاجتماع البشرى قد بلغ بالانسان أشده  
 وأعدته الحوادث الماضية الى رشده . فجاء الاسلام يخاطب  
 العقل ويستصرخ الفهم واللب ويشركه مع العواطف والاحساس  
 في إرشاد الانسان الى سعادته الدنيوية والاخروية وبين  
 للناس ما اختلفوا فيه وكشف لهم عن وجه ما اختلفوا عليه  
 وبرهن على أن دين الله في جميع الاجيال واحد ومشيئته في  
 اصلاح شؤونهم وتطهير قلوبهم واحدة وأن رسم العبادة على  
 الاشباح انما هو لتجديد الذكرى في الارواح وأن الله لا  
 ينظر الى الصور ولكن ينظر الى القلوب وطالب المكلف  
 برعاية جسده كما طالبه باصلاح سرّه ففرض نظافة الظاهر  
 كما أوجب طهارة الباطن وعدّ كلا الامرين طهراً مطلوباً  
 وجعل روح العبادة الاخلاص وان ما فرض من الاعمال انما  
 هو لما أوجب من التطبيع بصالح الماكات « ان الصلاة تنهى

عن الفحشاء والمنكر « ان الانسان خاق هالوعاً اذا مسه  
 الشر جذوعاً واذا مسه الخير منوعاً الا المصاين » ورفع  
 الغنى الشاكر الى مرتبة الفقير الصابر بل ربما فضله عليه  
 وعامل الانسان في مواعظه معاملة الناصح الهادي الرجل  
 الرشيد فدعاه الى استعمال جميع قواه الظاهرة والباطنة وصرح  
 بما لا يقبل التأويل أن في ذلك رضا الله وشكر نعمته وان  
 الدنيا مزرعة الآخرة ولا وصول الى خير العقبي الا بالسمى  
 في صلاح الدنيا . التفت الى أهل العناد فقال لهم : قل هاتوا  
 برهانكم ان كنتم صادقين وعنف النازعين الى الخلاف  
 والشقاق على ما زعزعوا من أصول اليقين ونص على أن  
 التفرق بغي وخروج عن سبيل الحق المبين ولم يقف في ذلك  
 عند حد الموعدة بالكلام والنصيحة بالبيان بل شرع شريعة  
 الوفاق وقررها في العمل فأباح للمسلم أن يتزوج من أهل  
 الكتاب وسوغ مؤاكلتهم وأوصى أن تكون مجادلتهم بالتي  
 هي أحسن ومن المعلوم ان المحاسنة هي رسول المحبة وعقد  
 الالفة والمصاهرة انما تكون بعد التحاب بين أهل الزوجين



والارتباط بينهما بروابط الائتلاف ثم أخذ العهد على المسلمين ان يدافعوا عن من يدخل في ذمتهم من غيرهم كما يدافعون عن انفسهم ونص على ان لهم مالنا وعليهم ما علينا ولم يفرض عليهم جزاء ذلك الا زهيداً يقدمونه من مالهم ونهى بعد ذلك عن كل إكراه في الدين وطيب قلوب المؤمنين في قوله: يا أيها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم فعليهم الدعوة الى الخير بالتي هي أحسن وليس لهم ولا عليهم ان يستعملوا أى ضرب من ضروب القوة في الحمل على الاسلام فان نوره جدير أن يخرق القلوب وليست الآية في الامر بالمعروف بين المسلمين فانه لا اهتداء الا بعد القيام به ولو أريد ذلك لكان التعبير « على كل واحد منكم بنفسه » لا « عليكم انفسكم » كما هو ظاهر لكل عربي كل ذلك ليرشد الناس الى أن الله لم يشرع لهم الدين ليتفرقوا فيه ولاكن ليهديهم الى الخير في جميع نواحيه . رفع الاسلام كل امتياز بين الاجناس البشرية وقرر لكل فطرة شرف النسبة الى الله في الخلقة وشرف اندراجها في النوع الانساني بالجنس

والفصل والخاصة وشرف استعدادها بذلك لبلوغ أعلى درجات الكمال الذي أعدّه الله لنوعها على خلاف ما زعمه المتحلون من الاختصاص بزايا حرم منها غيرهم وتسجيل الخسة على أصناف زعموا أنها لن تبلغ من الشأن أن تلحق غبارهم فأما توب ذلك الأرواح في معظم الأمم وصيروا أكثر الشعوب هياكل واشباحاً. هذه عبادات الإسلام على ما في الكتاب وصحيح السنة تتفق على ما يليق بجلال الله وسموّ وجوده عن الاشباه وتلتئم مع المعروف عند العقول السليمة فالصلاة ركوع وسجود وحركة وسكون ودعاء وتضرع وتسبيح وتعظيم وكاها تصدر عن ذلك الشعور بالسلطان الالهى الذى يغمر القوّة البشرية ويستغرق الحول فتخشع له القلوب وتستخدى له النفوس وليس فيها شيء يعاوى على تناول العقل الانحو تحديد عدد الركعات أو رمى الجرات على انه مما يسهل التسليم فيه لحكمة العليم الخبير وليس فيه من ظاهر العبث واستحالة المعنى ما يخل بالاصول التى وضعها الله للعقل فى الزهيم والتفكير أما الصوم فخرمان يعظم به أمر



الله في النفس وتعرف به مقادير النعم عند فتدها ومكانة  
الاحسان الالهى في التفضل بها « كتب عليكم الصيام كما  
كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » أما أعمال الحج  
فتدكير للانسان بأوليات حاجاته وتعهده له بمثل المساواة بين  
أفراده ولو في العمر مرة يرتفع فيها الامتياز بين الغنى والفقير  
والصعلوك والامير ويظهر الجميع في معرض واحد عمارة  
الابدان متجردين عن آثار الصنعة وحدث بينهم العبودية لله  
رب العالمين كل ذلك مع استبقائهم في الطواف والسعي  
والمواقف ولمس الحجر ذكرى ابراهيم عليه السلام وهو أبو  
الدين وهو الذي سماهم المسلمين واستقرار يقينهم على أن لا  
شئ من تلك البقايا الشريفة يضر أو ينفع وشعار هذا الاذعان  
الكريم في كل عمل « الله اكبر » أين هذا كله مما تجد في  
عبادات أقوام آخرين يضل فيها العقل ويتعذر معها خلوص  
السر للتنزيه والتوحيد . كشف الاسلام عن العقل غمة من  
الوهم فيما يعرض من حوادث الكون الكبير « العالم » والكون  
الصغير « الانسان » فقرر أن آيات الله الكبرى في صنع

العالم انما يجري أمرها على السنن الالهية التي قدرها الله في  
 علمه الازلي لا يغيرها شيء من الطوارئ الجزئية غير أنه لا  
 يجوز أن يغفل شأن الله فيها بل ينبغي ان يحبي ذكره عند  
 رؤيتها فقد جاء على لسان النبي صلى الله عليه وسلم «إن الشمس  
 والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته  
 فاذا رأيتم ذلك فاذكروا الله» وفيه التصريح بأن جميع آيات  
 الكون تجري على نظام واحد لا يقضى فيه الا العناية الازلية  
 على السنن التي أقامته عليها ثم أماط اللثام عن حال الانسان  
 في النعم التي يتمتع بها الاشخاص أو الامم والمصائب التي  
 يرزؤن بها ففصل بين الامرين فصلا لا مجال منه للاخط  
 بينهما فاما النعم التي يتمتع الله بها بعض الاشخاص في هذه  
 الحياة والرزايا التي يرزأ بها في نفسه فكثير منها كالثروة والجاه  
 والتموة والبنين أو الفقر والضعفة والضعف والتفقد قد لا يكون  
 كاسبها أو جالبها ما عليه الشخص في سيرته من استقامة  
 وعبادة او طاعة وعصيان وكثيراً ما أمهل الله بعض الطغاة  
 البغاة أو الفجرة الفسقة وترك لهم متاع الحياة الدنيا إنظاراً



لهم حتى يتلقاهم ما أعد لهم من العذاب المقيم في الحياة الاخرى  
وكثيراً ما امتحن الله الصالحين من عباده وأتى عليهم في  
الاستسلام لحكمه وهم الذين اذا أصابتهم مصيبة عبروا عن  
إخلاصهم في التسليم بقولهم : « إنا لله وإنا اليه راجعون »  
فلا غضب زيد ولا رضا عمرو ولا إخلاص سريرة ولا فساد  
عمل مما يكون له دخل في هذه الرزايا ولا في تلك النعم  
الخاصة اللهم الا فيما ارتباطه بالعمل ارتباط المسبب بالسبب  
على جارى المادة كارتباط الفتر بالاسراف والذل بالجبن  
وضياع السلطان بالظلم وارتباط الثروة بحسن التدبير في  
الاغاب والمكانة عند الناس بالسعى في مصالحهم على الاكثر  
وما يشبه ذلك مما هو مبين في علم آخر. أما شأن الامم فليس  
على ذلك فان الروح الذى أودعه الله جميع شرائعه الالهية من  
تصحيح النكر وتسديد النظر وتأديب الاهواء وتمديد  
مطامح الشهوات والدخول الى كل أمر من بابه وطاب كل  
رغبة من اسبابها وحفظ الامانة واستشعار الاخوة والتعاون  
على البر والتناصح في الخير والشر وغير ذلك من أصول

الفضائل ذلك الروح هو مصدر حياة الأمم ومشرق سعادتها  
في هذه الدنيا قبل الآخرة « من يرد ثواب الدنيا نؤته منها »  
ولن يسلب الله عنها نعمته ما دام هذا الروح فيها يزيد الله  
الذم بقوته وينقصها بضعفه حتى اذا فارقتها ذهبت السعادة  
على أثره وتبعته الراحة الى مقبره واستبدل الله عزرة القوم  
بالذل وكثرهم بالقل ونعيمهم بالشقاء وراحتهم بالعناء وسلط  
عليهم الظالمين أو العادلين فأخذهم بهم وهم في غفلة ساهون  
« واذا أردنا ان نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسدوا فيها فحرقنا  
عليها التول فدمرناها تدميراً » أمرناهم بالحق ففسدوا عنه الى  
الباطل ثم لا ينفعهم الاين ولا يجديهم البكاء ولا يفيدهم ما  
بقي من صور الاعمال ولا يستجاب منهم الدعاء ولا يكشف  
لما نزل بهم الا ان يلجؤا الى ذلك الروح الاكرم فيستنزلوه  
من سماء الرحمة برسائل الفكر والذكر والصبر والشكر « ان  
الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » « سنة الله في  
الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً » وما أجل ما  
قاله العباس بن عبد المطلب في استسقائه « اللهم إنه لم ينزل



بلاء الابدن ولم يرفع إلا بتوبة « على هذه السنن جرى  
سلف الامة فينما كان المسلم يرفع روحه بهذه العقائد الساميه  
ويأخذ نفسه بما يتبعها من الاعمال الجليلة كان غيره يظن أنه  
يزلزل الارض بدعائه ويشق النمل بكائه وهو ولع باهوائه  
ماض في غلوائه وما كان يغنى عنه ظنه من الحق شيئاً. حث  
القرآن على التعليم وإرشاد العامة والامر بالمعروف والنهي  
عن المنكر فقال: «فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا  
في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون»  
ثم فرض ذلك في قوله: «ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير  
وبأمرين بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون  
ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات  
وأولئك لهم عذاب عظيم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه  
فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتهم بعد إيمانكم فذوقوا  
العذاب بما كنتم تكفرون وأما الذين ابيضت وجوههم ففي  
رحمة الله هم فيها خالدون تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق  
وما الله يريد ظلماً للعالمين ولله ما في السموات وما في الارض

والى الله ترجع الامور» ثم بعد هذا الوعيد الذى يزعج  
المفرتطين وتحق به كلمة العذاب على المختلفين والمتصرين أبرز  
حال الامارين بالمعروف والنهي عن المنكر فى أجل مظهر  
يمكن أن تظهر فيه حال أمة فقال : كنتم خير أمة أخرجت  
للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله»  
فقدّم ذكر الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على الايمان  
فى هذه الآية مع ان الايمان هو الاصل الذى تقوم عليه  
أعمال البر والدوحة التى تتفرع عنها أفنان الخير تشریفاً لتلك  
الفريضة واعلاء منزلتها بين الفرائض بل تنبيهاً على أنها حناظ  
الايمان وملاك أمره ثم شدّ بالانكار على قوم اغفلوها وأهل  
دين أهملوها فقال : « لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على  
لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون  
كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون »  
فقدف عليهم اللعنة وهى أشد ما عنون الله به على مته وغبه -  
فرض الاسلام للفقراء فى أموال الاغنياء حتماً معلوماً يفيض  
به الآخرون على الاولين سدّاً لحاجة المعدم وتفريجاً لكربة



الغارم وتحرير الرقاب المستعبدين وتيسيراً لآبناء السبيل ولم  
 يحث على شيء حثه على الانفاق من الاموال في سبيل الخير  
 وكثيراً ما جعله عنوان الايمان ودليل الاهتداء الى الصراط  
 المستقيم فاستل بذلك ضغائن أهل الفاقة ومحض صدورهم من  
 الأحقاد على من فضلهم الله عليهم في الرزق وأشعر قلوب  
 أولئك محبة هؤلاء وساق الرحمة في نفوس هؤلاء على أولئك  
 البائسين فاستقرت بذلك الطمأنينة في نفوس الناس أجمعين  
 وأى دواء لامراض الاجتماع أتبع من هذا « ذلك فضل  
 الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ». أغلق الاسلام  
 بابي الشر وسدّ ينبوعى فساد العقل والمال بتجريته الخمر  
 والمقامرة والربا تحريماً باتاً لا هوادة فيه لم يدع الاسلام بعد  
 ما قرّرنا أصلاً من أصول الفضائل الا أتى عليه ولا أمماً من  
 أمهات الصالحات الا أحيها ولا قاعدة من قواعد النظام الا  
 قرّرها فاستجمع للانسان عند بلوغ رشده كما ذكرنا حرية  
 الفكر واستقلال العقل في النظر وما به صلاح السجايوا واستقامة  
 الطبع وما فيه إنهاض العزائم الى العمل وسوقها في سبيل

السمى ومن يتلو القرآن حق تلاوته يجد فيه من ذلك كنزاً  
لا ينفذ وذخيرة لا تفتنى هل بعد الرشد وصاية وبعد اكتمال  
العقل ولا بة كلا قد تين الرشد من النى ولم يبق الا اتباع  
الهدى والانتفاع بما ساقته أيدي الرحمة لبلوغ الغاية من  
السعادتين لهذا ختمت النبوات بنبوّة محمد صلى الله عليه وسلم  
وانتهت الرسالات برسالته كما صرح بذلك الكتاب وأيدته  
السنة الصحيحة وبرهنت عليه خيبة مدّعيها من بعده واطمئنان  
العالم بما وصل اليه من العلم الى أن لا سبيل بعد لقبول دعوة  
يزعم القائم بها أنه يحدث عن الله بشرع أو يصدع عن وحيه  
بأمر هكذا يصدق نبأ الغيب « ما كان محمد أباً أحد من  
رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل  
شئ عليماً »

انتشار الاسلام بسرعة لم يعهد لها نظير في التاريخ  
كانت حاجة الأمم الى الإصلاح عامة فجعل الله رسالة  
خاتم النبيين عامة كذلك لكن يندعش عقل الناظر في  
أحوال البشر عند ما يرى أن هذا الدين يجمع اليه الامّة



العربية من أدناها الى اقصاها في أقل من ثلاثين سنة ثم يتناول من بقية الامم ما بين المحيط الغربي وجدار الصين في أقل من قرن واحد وهو أمر لم يعهد في تاريخ الاديان ولذلك ضل الكثير في بيان السبب واهتدى اليه المنصفون فبطل العجب . ابتداء هذا الدين بالدعوة كغيره من الاديان واتى من أعداء أنفسهم اشد ما يلحق حق من باطل أوذى الداعي صلى الله عليه وسلم بضروب الايذاء وأقيم في وجهه ما كان يصيب تذليله من العقاب لولا عناية الله وعذب المستجيبون له وحرموا الرزق وطردهوا من الدار وسفكت منهم دماء غزيرة غير أن تلك الدماء كانت عيون العزائم تتفجر من صخور يثبت الله بمشهدها المستيقنين ويقذف بها الرعب في انفس المرتابين فكانت تسيل لمنظرها نفوس أهل الريب وهي ذوب ما فسد من طبائعهم فتجرى من مناخرهم جرى الدم الناسد من المةصود على أيدي الاطباء الحاذقين « ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركه جميعاً فيجعله في جهنم أولئك هم الخاسرون » تألبت الملل

المختارة ممن كان يسكن جزيرة العرب وما جاورها على الاسلام  
 ليحصدوا نبتته ويخنقوا دعوته فما زال يدافع عن نفسه دفاع  
 الضعيف للاقوياء والفقير للاغنياء ولا ناصر له الا انه الحق  
 بين الاباطيل والرشد في ظلمات الاضاليل حتى ظفر بالعزة  
 وتعزز بالمنعة وقد وطىء ارض الجزيرة اقوام من اديان آخر  
 كانت تدعو اليها وكانت لهم ملوك وعزة وسلطان وحملوا  
 الناس على عقائدهم بأنواع من المكاره ومع ذلك لم يبلغ بهم  
 السعي نجاحاً ولا انا لهم التهر فلاحاً. ضم الاسلام سكان  
القفار العربية الى وحدة لم يعرفها تاريخهم ولم يعهد لها نظير  
 في ماضيهم وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد ابلغ رسالته  
 بأمر ربه الى من جاور البلاد العربية من ملوك الفرس والرومان  
 فهزوا وامتنعوا وناصبوه وقومه الشر وأخافوا السابلة وضيةوا  
 على المتاجر فبعث اليهم البعوث في حياته وجري على سنته  
الأئمة من صحابته طلباً للامن وابلغا للدعوة فاندفعوا في ضعفهم  
 وفقرهم يحملون الحق على أيديهم وانها لوابه على تلك الامم في  
 قوتها ومنعتها وكثرة عددها واستكمال أهبها وعددها فظفروا



منها بما هو معلوم وكانوا متى وضعت الحرب أوزارها واستقر  
 السلطان لفتح عطفوا على المغلوبين بالرفق واللين وأباحوا لهم  
 البقاء على أديانهم واقامة شعائرهم آمنين مطمئنين ونشروا  
 حمايتهم عليهم يمنعوهم مما يمنعون منه أهلهم وأموالهم وفرضوا  
 عليهم كفاء ذلك جزءا قليلا من مكاسبهم على شرائط معينة  
 كانت الملوك من غير المسلمين اذا فتحو مملكة اتبعوا جيشها  
 الظافر بجيش من الدعاة الى دينها يلجون على الناس بيوتهم  
 ويغشون مجالسهم ليحملوهم على دين الظافر وبرهانهم الغلبة  
 وحجتهم القوة ولم يقع ذلك لفتح من المسلمين ولم يعهد في  
 تاريخ فتوح الاسلام ان كان له دعاة معروفون لهم وظيفة  
 ممتازة يأخذون على أنفسهم العمل في نشره ويقفون مساعدهم  
 على بث عقائده بين غير المسلمين بل كان المسلمون يكتبون  
 بمخالطة من عداهم ومحاسنتهم في المعاملة وشهد العالم بأسره  
 ان الاسلام كان يعد مجاملة المغلوبين فضلا وإحسانا عند ما  
 كان يعدها الأروبيون ضعة وضعفا. رفع الاسلام ما ثقل  
 من الاتوات ورد الاموال المسلوقة الى اربابها وانتزع

الحقوق من مغتصبها ووضع المساواة في الحق عند التقاضي بين المسلم وغير المسلم . بلغ أمر المسلمين فيما بعد ان لا يقبل اسلام من دخل فيه الا بين يدي قاض شرعي باقرار من المسلم الجديد انه أسلم بلا اكراه ولا رغبة في دنيا . وصل الامر في عهد بعض الخلفاء الامويين ان كره عمالهم دخول الناس في دين الاسلام لما رأوا أنه ينقص من مبالغ الجزية وكان في حال أو ثلثك العمال صدّ عن سبيل الدين لا محالة . عرف خلفاء المسلمين وملوكهم في كل زمن ما لبعض أهل الكتاب بل وغيرهم من المهارة في كثير من الاعمال فاستخدموهم وصعدوا بهم الى أعلى المناصب حتى كان منهم من تولى قيادة الجيش في اسبانيا . اشتهرت حرية الاديان في بلاد الاسلام حتى هجر اليهود أوروبا فراراً منها بدينهم الى بلاد الاندلس وغيرها . هذا ما كان من أمر المسلمين في معاملة من أظاؤهم بسيفهم لم يفعلوا شيئاً سوى أنهم حملوا الى أو ثلثك الاقوام كتاب الله وشريعته وأتوا بذلك بين أيديهم وتركوا الخيار لهم في القبول وعدمه ولم يقوموا بينهم



بدعوة ولم يستعملوا الا كراههم عليه شيئاً من القوة وما كان  
 من الجزية لم يكن مما يثقل أداءه على من ضربت عليه فما  
 الذي أقبل بأهل الاديان المختلفة على الاسلام واقنعهم أنه  
 الحق دون ما كان لديهم حتى دخلوا فيه أفواجاً وبذلوا في  
 خدمته ما لم يبذله العرب أنفسهم . ظهور الاسلام على ما  
 كان في جزيرة العرب من ضروب العبادات الوثنية وتغايه  
 على ما كان فيها من رذائل الاخلاق وقبائح الاعمال وسيره  
 بسكانها على الجادة القويمه حقق لقراء الكتب الالهية السابقة  
 أن ذلك هو وعد الله لنبيه ابراهيم واسماعيل وأن هذا الدين  
 هو ما كانت تبشر به الانبياء أقوامها من بعدها فلم يجد أهل  
 النصفه منهم سبيلاً الى البقاء على العناد في مجاحدته فتلقوه  
 شاكرين وتركوا ما كان لهم بين قومهم صابرين . اوقع ذلك  
 من الريب في قلوب مقلديهم ما حركهم الى النظر فيه  
 فوجدوا لطفاً ورحمة وخيراً ونعمة لا عقيدة ينز منها العقل  
 وهو رائد الايمان الصادق ولا عمل تضعف عن احتماله  
 الطبيعة البشرية وهي التماضية في قبول المصالح والمرافق . رأوا

ان الاسلام يرفع النفوس بشعور من اللاهوت يكاد يعلو بها  
 عن العالم السنلى ويلحها بالملكوت الاعلى ويدعوها إلى إحياء  
 ذلك الشعور بخمس صلوات فى اليوم وهو مع ذلك لا يمنع  
 من التمتع بالطيباب ولا يفرض من الرياضات وضروب الزهادة  
 ما يشق على الفطرة البشرية تجشمه ويعد برضا الله ونيل ثوابه  
 حتى فى توفية البدن حته متى حسنت النية وخلصت السريرة  
 فاذا نزت شهوة أو غلب هوى كان الغفران الالهى ينتظره  
 متى حسنت التوبة وكملت الاوبة. تبدت لهم سداجة الدين عند  
 ما قرؤوا القرآن ونظروا فى سيرة الطاهرين من حاملية اليهم  
 وظهر لهم الفرق بين مالا سبيل الى فهمه وما تكفى جولة نظر  
 فى الوصول الى علمه فتراموا اليه خفافاً من ثقل ما كانوا عليه  
 كانت الأمم تطاب عقلاً فى دين فوافاها وتطلع الى عدل  
 فى ايمان فأتاها فما الذى يحجم بها عن المسارعة الى طابقتها  
 والمبادرة الى رغبتها كانت الشعوب تن من ضروب الامتياز  
 التى رفعت بعض الطبقات على بعض بغير حق وكان من  
 حكمها ان لا يقام وزن لشؤون الادنين متى عرضت دونها



شهوات الاعلين فجاء دين يحدد الحقوق ويسوي بين جميع الطبقات في احترام النفس والدين والعرض والمال ويسوغ لامرأة فقيرة غير مسلمة أن تأبى بيع بيت صغير بأية قيمة لامير عظيم مطلق السلطان في قطر كبير وما كان يريد لنفسه ولكن ليوسع به مسجداً فلما عقد العزيمة على أخذه مع دفع اضعاف قيمته رفعت الشكوى الى الخليفة فورد أمره بردها اليها مع لوم الامير على ما كان منه. عدل يسمح ليهودي ان يخاصم مثل علي بن أبي طالب أمام القاضي وهو من نعلم من هو ويستوقفه معه للتقاضى الى ان قضى الحق بينهما!! هذا وما سبق بيانه مما جاء به الاسلام هو الذي حبيه الى من كانوا اعداءه وردت اليه اهواءهم حتى صاروا انصاره واولياءه. غلب على المسلمين في كل زمن روح الاسلام فكان من خلةهم العطف على من جاورهم من غيرهم ولم تستشعر قلوبهم عداوة لمن خالفهم الا بعد ان يجرهم الجارفهم كانوا يتعلمونها ممن سواهم ثم لا يكون الا طائفاً يحل ثم يرتحل فاذا انقطعت اسباب الشغب تراجعت القلوب الى سابق ما أفتته من اللين

والمياسرة ومع ذلك بل وغفلة المسلمين عن الاسلام وخذلانهم  
 له وسمى الكثير منهم في هدمه بعلم وبغير علم لم يقف الاسلام  
 في انتشاره عند حد خصوصاً في الصين وفي افريقيا ولم يخل  
 زمن من رؤية جموع كثيرة من ملل مختلفة تنزع الى الاخذ  
 بعتائده على بصيرة فيما تنزع اليه لا سيف وراها ولا داعي  
 امامها وانما هو مجرد الاطلاع على ما اودعه مع قليل من  
 حركة الفكر في العلم بما شرعه ومن هذا تعلم ان سرعة انتشار  
 الدين الاسلامي واقبال الناس على الاعتقاد به من كل ملة انما  
 كان لسهولة تعلقه ويسر أحكامه وعدالة شريعته وباجلته لان  
 فطر البشر تطلب ديناً وترتاد منه ما هو ايسر بمصالحها واقرب  
 الى قلوبها ومشاعرها وأدعى الى الطمأنينة في الدنيا والآخرة  
 ودين هذا شأنه يجد الى القلوب منفذاً والى العقول مخلصاً  
 بدون حاجة الى دعاة ينفقون الاموال الكثيرة والاوقات  
 الطويلة ويستكثرون من الوسائل ونصب الجبائل لاسقاط  
 النفوس فيه . هذا كان حال الاسلام في سداخته الاولى  
 وطهارته التي أنشأ الله عليها ولا يزال على جانب عظيم منها



في بعض أطراف الارض الى اليوم. قال من لم يفهم ما قدمناه  
 أو لم يرد أن يفهمه ان الاسلام لم يطف على قلوب العالم بهذه  
 السرعة الا بالسيف فقد فتح المسلمون ديار غيرهم والقرآن  
 باحدى اليدين والسيف بالآخرى يعرضون القرآن على المغلوب  
 فان لم يقبله فصل السيف بينه وبين حياته! سبحانك هذان هتان  
 عظيم! ما قدمناه من معاملة المسامحة مع من دخلوا تحت  
 سلطانهم هو ما تواترت به الاخبار تواتراً صحيحاً لا يقبل الريبة  
 في جملته وان وقع اختلاف في تفصيله وانما شهر المسلمون  
 سيوفهم دفاعاً عن أنفسهم وكفا للعدوان عنهم ثم كان الافتتاح  
 بعد ذلك من ضرورة الملك ولم يكن من المسلمين مع غيرهم  
 الا أنهم جاورهم وأجاروهم فكان الجوار طريق العلم بالاسلام  
 وكانت الحاجة لصلاح العقل والعمل داعية الانتقال اليه.  
 لو كان السيف ينشر ديناً فقد عمل في الرقاب للاكراه على  
 الدين والالزام به مهدداً كل أمة لم تقبله بالابادة والمحو من  
 سطح البسيطة مع كثرة الجيوش ووفرة العدد وبلوغ القوة  
 أسمى درجة كانت تمكن لها وابتداءً ذلك العمل قبل ظهور

الاسلام بثلاثة قرون كاملة واستمر في شدته بعد مجيء  
الاسلام سبعة أجيال أو يزيد فتلك عشرة قرون كاملة لم يبلغ  
فيها السيف من كسب عتائد البشر مبلغ الاسلام في أقل من  
قرن !! هذا ولم يكن السيف وحده بل كان الحسام لا يتقدم  
خطوة الا والدعاة من خلفه يقولون ما يشاؤون تحت حمايته  
مع غيره تفيض من الافئدة وفصاحة تدفق عن اللسان  
وأموال تخبأ أبواب المستضعفين! ان في ذلك آيات للمستيقنين!  
جلت حكمة الله في أمر هذا الدين سلسيل حياة نبع في  
القفار العربية أبعد بلاد الله عن المدينة فاض حتى شملها فجمع  
شملها فأحيها حياة شعبية مليه. علامده حتى استغرق ممالك  
كانت تفاخر أهل السماء في رفعها وتعلو أهل الارض  
بمدنيتها. زلزل هديره على لينة ما كان استحجر من الأرواح  
فانشقت عن مكنون سر الحياة فيها. قالوا كان لا يخلو من  
غلب «بالتحريك» قلنا تلك سنة الله في الخلق لا تزال المصارعة  
بين الحق والباطل والرشد والني قائمة في هذا العالم الى أن  
تقضى الله قضاءه فيه. اذا ساق الله ربيعاً الى أرض جذبة ليحيي



ميتها وينتفع غلتها وينمي الخصب فيها أفينقص من قدره ان  
 أتى في طريقه على عتبة فعلاها أو بيت رفيع العماد فهو به .  
 سطع الاسلام على الديار التي بلذها أهله فلم يكن بين أهل تلك  
 الديار وبينه الا أن يسموا كلام الله ويفقروه . اشتغل المسلمون  
 بعضهم ببعض زمنًا وانحرفوا عن طريق الدين أزمانا فواتف  
 وقفة القائد خذله الانصار وكاد يتزحزح الى ما وراء السكن  
 الله بالغ أمره فاندردت الى ديار المسلمين أمم من التتارية ودها  
 جنكيزخان وفعلموا بالمسلمين الافاعيل وكانوا وثابين جاؤا  
 لمحض الغابة والساب والنهب ولم يابث اعتبارهم أن اتخذوا  
 الاسلام دينًا وحملوه الى أتوامهم فعمهم منه ماعم غيرهم ! جاؤا  
 لشقتوتهم فعاوجوا بسعادتهم . ! حمل انغرب على الشرق حملة  
 واحدة لم يبق ملك من ملوكه ولا شعب من شوبه الا  
 اشترك فيها واستمرت المجالدات بين الغربين والشرقين  
 أكثر من مائتي سنة جمع فيها الغربين من الغيرة والحمية  
 للدين ما لم يسبق لهم من قبل وجيشوا من الجند وأعدوا من  
 القوة ما بلغت طاقتهم وزحفوا على ديار المسلمين وكانت فيهم

بقية من روح الدين فغلب الغربيون على كثير من البلاد  
الاسلامية وانتهت تلك الحروب الجارفة باجلائهم عنها . لم  
جاؤا وبماذا رجعوا؟ ظفر رؤساء الدين في الغرب بأثارة شعوبهم  
ليبدوا ما يشاؤون من سكان الشرق أو يستولى سلطان تلك  
الشعوب على ما يعتقدون لانفسهم الحق في الاستيلاء عليه  
من البلاد الاسلامية. جاء من الملوك والامراء وذوى الثروة  
والاعلياء جم غفير وجاء ممن دونهم من الطبقات ما قدره  
بالملايين استتر المقام بكثير من هؤلاء في أرض المسلمين  
وكانت فترات تنظف فيها نار الغضب وثوب العقول الى  
سكينتها تنظر في احوال المجاورين وتلتقط من أفكار المخالطين  
وتنفل بما ترى وما تسمع فتبينت أن المبالغات التي أطاشت  
الاحلام وجسمت الآلام لم تصب مستقر الحقيقة ثم وجدت  
حرية في دين وعلماً وشرعاً وصنعة مع كمال في يقين وتعلمت  
أن حرية الفكر وسعة العلم من وسائل الايمان لا من العوادي  
عليه ثم جمعت من الآداب ما شاء الله وانطلقت الى بلادها  
ريرة العين بما غنمته من جلادها هذا الى ما كسبه السفار



من اطراف الممالك الى بلاد الاندلس بمخالطة حكمائها وأدبائها  
ثم عادوا به الى شعوبهم ليذيقوهم حلاوة ما كسبوا وأخذت  
الافكار من ذلك العهد تتراسل والرغبة في العلم تتزايد بين  
الغربيين ونهضت الهمم لقطع سلاسل التقليد ونزعت العزائم  
الى تقييد سلطان زعماء الدين والاخذ على أيديهم فيما تجاوزوا  
فيه وصاياهم وحرّفوا في معناه ولم يكن بعد ذلك الا قليل من  
الزمن حتى ظهرت طائفة منهم تدعو الى الاصلاح والرجوع  
بالدين الى سداجته وجاءت في اصلاحها بما لا يبعد عن  
الاسلام الا قليلاً بل ذهب بعض طوائف الاصلاح في  
العقائد الى ما يتفق مع عقيدة الاسلام الا في التصديق برسالة  
محمد صلى الله عليه وأن ما هم عليه إنما هو دينه يختلف عنه اسماً  
ولا يختلف معنى الا في صورة العبادة لا غير . ثم أخذت أمم  
أوروبا تفتك من أسرها وتصلح من شؤونها حتى استقامت  
أمور دنيها على مثل ما دعا اليه الاسلام غافلة عن قائدتها  
لاهية عن مرشدتها وتقررت أصول المدينة الحاضرة التي  
تفاخر بها الاجيال المتأخرة ما سبقتها من أهل الازمان الغابرة!

هذا ظل من وابله أصاب أرضاً قابلة فاهتزت وربت وأنبت  
 من كل زوج بهيج جاء. القوم ليبيدوا فاستفادوا وعادوا ايفيدوا.  
 ظن الرؤساء ان في إهاجة شعوبهم شفاء ضعفهم وتقوية  
 ركنهم فباؤا بوضوح شأنهم وضعضة سلطانهم. وما بيناه في  
 شأن الاسلام— ويعرفه كل من تفقه فيه— قد ظفر به كثير  
 من أهل النظر في بلاد الغرب فعرفوا له حقه واعترفوا أنه كان  
 أكبر أساتذتهم فيما هم فيه اليوم والى الله عاقبة الامور

(تخية)

وقع غلط مطبعي في صحيفة ١٧٤ من هذا الكتاب فقد جاء في السطر  
 الثامن منها ان نهاية مدة تولى ابرهة سنة ٥٨٩ والصحيح ٥٧١ وكذلك  
 يجب التنويه بانه اختلف في زمن ولاية يكسوم فالبعض جعلها كما هو مذكور  
 بالصحيفة المذكورة في السطر الخامس عشر منها والبعض— واطنه الارجح—  
 جعله قبل ذلك بدليل ما جاء في مروج الذهب من أن آخر ولادة الحبشة على  
 اليمن هو مسروق اخو يكسوم وقد قتله وهرز الديلمي الذي جاء مع ابن  
 ذي يزن من عند كسرى انوشروان لخمس واربعين سنة من حكم انوشروان  
 وذلك يوافق سنة ١٥٧٥. والله تعالى أعلم.



### فهرست الجزء الاول

من كتاب تاريخ دول العرب والاسلام

٥٧

٧٧

صحيفة

( تمهيد )

٧٨

١١ حدود بلاد العرب

٥٨

١٢ مواطن العرب وحاصلات بلادهم ومناخها

٢١ مساحه جزيرة العرب وعدد سكانها

٢٢ تشوف الافرنج الى بلاد العرب و ذكر أشهر سياحيهم بها

﴿ الباب الاول ﴾

١٢١

الفصل الاول

١٢١

٤١ فيما كان عليه العرب قبل الاسلام

٢٢١

٤١ نسب العرب وطبقاتهم

٢٢١

٤٣ طبائع العرب وأحوالهم وصفاتهم وبعض عاداتهم

٢٢١

٦٦ أقضية العرب وترتيب حكوماتهم

١٢١

٧٠ أحكام العرب في الجاهلية

١٠٥١

٧١ حروب العرب وتعرف بأيام العرب

٢٢١

صحيفة

- ٧٤ الزواج والطلاق في الجاهلية  
٧٧ تقويم العرب في الجاهلية  
٨٣ خرافات العرب ومعتقداتهم  
٨٥ معتقدات العرب وديانتهم  
٩٠ في لغة العرب وآدابهم وأشعارهم وشعرائهم وأسواقهم  
١٠١ شعراء العرب والمعلقات السبع  
١١٥ علوم العرب ومعارفهم  
١٢٣ في الكتابة عند العرب  
١٣١ صناعة العرب في الجاهلية  
١٣٢ التجارة في الجاهلية  
١٣٤ نقود العرب ومسكوكاتهم وموازناتهم  
( الفصل الثاني )  
١٣٨ طبقة العرب البائدة  
١٤٠ قوم عاد  
١٤٣ قوم ثمود



١٤٦ قوم طسم وجديس

١٥٢ ذكر بعض من قبائل أخرى بأئدة

( التفضل الثالث )

( طبقة العرب الباقية )

العرب المتعربة

١٥٤ تمهيد

١٥٥ ملوك اليمن قبل سيل العرم

١٦٢ مملكة اليمن بعد السيل

١٧٠ استيلاء الحبشة على اليمن

١٧٣ ملوك الحبشة على اليمن من سنة ٥٢٩ لسنة ٦٠١ مسيحية

١٧٤ استيلاء الفرس على اليمن

١٧٨ مملكة العراق وملوك الحيرة من سنة ٢١٠ الى سنة

٦٣٤ مسيحية

٢٠٧ ملوك متفرقون في جزيرة العرب

٢٠٧ ملوك كندة

صحيفة

٢١٨ ومن ملوك العرب المتفرقين أيضاً

## ﴿ الفصل الرابع ﴾

( طبقة العرب الباقية )

## العرب المستعربة

٢٢٥ أسباب مجيء اسماعيل عليه السلام الى مكة ومصاهرته

لبنى جرهم

٢٢٨ عمارة البيت الحرام بمكة

٢٢٩ أمراء الحجاز وولاية البيت وسدانة الكعبة وفضل

قريش على من عداها واجتماع مناصب الشرف فيها

٢٣٣ اغارة الحبشة على مكة وواقعة النمل

٢٣٧ مولده صلى الله عليه وسلم ونسبه ورضاعه ونشأته

وتربيته وحالته وسيرته حين بعثته

٢٥٠ مجمل أحوال العالم في ذلك العهد

## ﴿ الباب الثاني ﴾

( في العرب بعد الاسلام )



## ( الفصل الاول )

٢٥٤ الوحي وابتداء النبوة والرسالة والدعوة للاسلام

٢٥٩ أذى قريش للنبي ولأصحابه والهجرة للحبشة

٢٦١ اشتداد الاذى بالرسول وأصحابه

٢٧٠ الهجرة للمدينة والانصار والمهاجرون

٢٨٢ غزواته عليه السلام

٣١٠ دعوته الملوك والامراء للاسلام

٣١٢ حجة الوداع وخطبتها

٣١٥ وفاته عليه السلام

٣٢٠ سيرته عليه السلام بعد بعثته حين وفاته

## الفصل الثاني

٣٢٥ القرآن وكونه معجزاً

٣٣٦ الدين الاسلامي أو الاسلام

٣٦٤ انتشار الاسلام بسرعة لم يعهد لها نظير في التاريخ

(تلك الساعات)

304 والساعات في تلك الساعة في وقتنا في الساعة في الساعة

305 في تلك الساعة في تلك الساعة في تلك الساعة في تلك الساعة

306 في تلك الساعة في تلك الساعة في تلك الساعة في تلك الساعة

307 في تلك الساعة في تلك الساعة في تلك الساعة في تلك الساعة

308 في تلك الساعة في تلك الساعة في تلك الساعة في تلك الساعة

309 في تلك الساعة في تلك الساعة في تلك الساعة في تلك الساعة

310 في تلك الساعة في تلك الساعة في تلك الساعة في تلك الساعة

311 في تلك الساعة في تلك الساعة في تلك الساعة في تلك الساعة

312 في تلك الساعة في تلك الساعة في تلك الساعة في تلك الساعة

313 في تلك الساعة في تلك الساعة في تلك الساعة في تلك الساعة

314 في تلك الساعة في تلك الساعة في تلك الساعة في تلك الساعة

315 في تلك الساعة في تلك الساعة في تلك الساعة في تلك الساعة

316 في تلك الساعة في تلك الساعة في تلك الساعة في تلك الساعة

317 في تلك الساعة في تلك الساعة في تلك الساعة في تلك الساعة

REPERTORIUM  
1800-1850



i 1585727x  
6 13765176



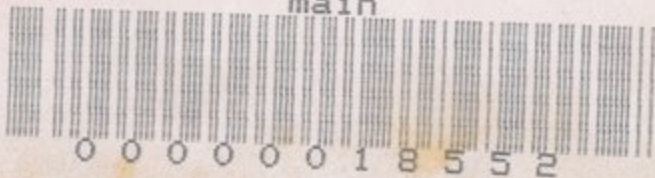
REPRODUCED FROM  
THE  
ORIGINAL  
MANUSCRIPT



9 NOV 1987

18552

main



0 0 0 0 0 0 1 8 5 5 2

DS 223 H25x 1905/v.1 c.2

